لا يوجد مكان غير إسطنبول
يمكن أن يرضى روحي

@ketab_n
Follow Me

31.7.2015

نساء إسطنبول

مجموعة قصصية

ترجمة: ريهام طه

العربي للنشر والتوزيع

روايات مترجمة

نساء إسطنبول

قصص قصيرة من إسطنبول

ترجمة ريهام طه

Twitter: @ketab_n

نساء إسطنبول

ترجمه: ريهام طة

الطبعة الأولى : 2015

رقم الإيداع: 2014/21131

الترقيم الدولي: 7-216-319-977-978

الغلاف: محمد السيد

60 شارع القصر العيني - 11451 - القاهرة

ت 27921943 - 27954529 فاكس 27947566

www.alarabipublishing.com.eg

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

This book has been published with the support of the Ministry of Culture and Tourism of Republic of Turkey in the framework of TEDA Project

بطاقة فهرسة

نساء إسطنبول: مجموعة قصصة من الادب التركي/ ترجمه ريهام طة .- اط ا . -

القاهرة: العربي للنشر والتوزيع 2014

- ص؛ سم. تدمك 9789773192167

1- القصص التركية

2- القصص القصيرة أ- طة، ريهام (مترجم) 894,353

Twitter: @ketab_n

(1)
حزنٌ مُختَصَر

إيريندِيز أتاسو

التقى المنحدر القريب من قلعة الأناضول بالبوسفور في منخفض حاد. وخفّف الغطاء النباتي الكثيف من حدة الصخرة الخشِنة. ففي أواخر شهر مايو كانت التلال الجانبية مغطّاة بالبراعم الحمراء وكافة الظلال الخضراء. ويسود الصمت؛ حتى أصوات زقزقة العصافير لم تكن لتعكّر صفوه، بل كانت تزيد من عمق الصفاء؛ تماماً كعقد من اللؤلؤ يُمعن من بساطة ثوب عادي. ثمة حفيف في خلفية هذا المشهد الصامت، والغمغمة المتناغمة لآلاف الأصوات الصادرة من الجهاز الضخم الذي سحق البشر تبدو الآن بعيدة ومستأنسة. أما البراعم الحمراء فتتجاهل ضراوة العاصمة. وهكذا أفعل؛ قالت السيدة لنفسها وهي تمسُّ عقد اللآلئ حول عنقها؛ ولكنه لطالما كان هناك، ولن يختفي أبداً، سيظل هو بعد أن تخلع فروع البراعم الحمراء كسائها، وحتى عندما تكون هي بعيدة جداً. العوادم والغازات التي تنبعث من تلال القمامة تهيمن على ضوضاء البشر، وأنّات المرضى، ونشيج المحرومين.. فمن عساه يسمع صرخات الأطفال الذين يتضورون جوعاً، أوتنهيدات هؤلاء الذين لا يتراءى لهم مستقبل؟

Twitter: @ketab_n

ولا أنا كذلك، فكّرت السيدة ولم تزل يدها فوق لآلئها، وتساءلت عمّا إذا كانت قد بالغت في تأنقها، فالأمر لا يعدو كونه مقهى في الحديقة. كانت تستمتع بالاعتناء بمظهرها أياً كانت المناسبة. ألا يعني هذا اهتمامها بنفسها وبالشخص الذي تلقاه على حد سواء؟

لم تكن ابنتها لتلتفت لأشياء كهذه، واكتفت بارتداء بنطالها الجينز وانتعال حذائها الرياضي، وعقَفَت شعرها إلى أعلى بشكل عشوائي فيما يفترض أن يكون ذيل حصان، وخلا وجهها من المساحيق. يناسبها هذا أيضاً، قالت أمها لنفسها، وأرادت حينئذ لمس طفلتها بيد أنها ابتعدت عنها في نفس اللحظة.

شرعت الابنة تذيب السكر في الشاي، وبدا صوت خشخشة الملعقة ونقرها جدران القدح زنبقيّ الشكل وكأنه بلا انتهاء. لقد سئِمَت مني؛ وتذكَّرَت شبابَها، وكيف كانت تَضجَرُ من أمَّها المتوقِّعة أن تلقى منها اهتماماً.

قالت لابنتها: "أردتُ أن أريكِ هذا المكان. فهو أحد المواقع النادرة التي شهدت إسطنبول قبل أن تتوسع بهذا الشكل الهائل".

أجابتها ابنتها الشابة: "لطيفٌ جداً، ويبعث على الاسترخاء حقاً"، ورفعت يدها عن الملعقة للحظة، وأغلقت عينيها، وشرعت تستمع إلى الصمت قبل أن تعاود تحريك الملعقة وتقليب الشاي مجدداً، حتى بدا وكأن سكيناً يمزّق هذا الصمت إلى شرائح.

"لكم يسعدني أنكِ أحببتِ هذا المكان"، قالت الأم لابنتها ولم تزل تداعب قلادتها. كانت الابنة الشابة تعرف حركة يدها تلك، والتي اعتادتها

Twitter: @ketab_n

أمها مذ كانت هي طفلة صغيرة. فإذا أرادت أمها أن تقول شيئاً هاماً، أو شيئاً اعتقدت أنه شيئاً هاماً، كانت – أولاً – تتأنّق في ملبسها، ثم تطلب اصطحابك إلى مكان جميل. وبينما تكافح لفتح الموضوع تعمد إلى مداعبة الأشياء المتدلية من ملابسها. فعلامَ كل هذا التظاهر وكل هذه الطقوس؟!

"ماذا لديكِ يا أماه؟"، سألت الابنة الشابة بلا تحفظ.

بهذه البساطة؟ وعلى هذا النحو المفاجيء؟ إنها دائماً في عجلة من أمرها.

"لا شيء .. أردتُ فقط أن نستمتع بهذا الجمال معاً".

"ماذا تعنين بلا شيء؟! .. ألهذا قطعنا كل هذه المسافة؟!"

"نعم. أردتُ أن أريكِ مجدداً الأماكن التي قضيتُ فيها طفولتي".

"أمي الحبيبة، أنا أعرف بالفعل كل هذا؛ المنزل في الشارع الجانبي للقلعة، ومدرسة قنديلي للبنات، والقبطان الذي وقع في غرامك وكان يدق صفير القارب ليرسل لكِ التحية".

ابتسمت الأم لتخفي جُرحها. أم أن ابتسامتها كانت حقيقية؟ يبدو أنها تعلّمت ألا تأخذ ابنتها بمحمل الجد كثيراً في تلك السنوات الأخيرة. كانت ترى في الأمومة شيئاً أقرب إلى العبودية تنسى معه الأم فكرة الكبرياء.

"لم أعتزم أن أخبرك بأي من هذه القصص، أردتُ فقط أن تشاركينني هذا المشهد الذي يساوي حياة بأكملها".

وبادلتها ابنتها بنظرة شاغرة، ثم قالت:

"حسناً.. فلنتشاركه إذاً!".

Twitter: @ketab_n

أسبلت الأم عينيها وراحت تستمتع بالنسيم يداعب بشرتها. وبدا أن لم يكن هناك بالفعل شيئاً ليُقال. كانت أكثر تعباً من أن تتحمل الإجابات المترددة، والتساؤلات القاسية. كما أنه لم يكن هناك شيء بعدُ لم يُقال، فيما كان هناك متسع من الوقت للشجار.

وفجأة ساور ابنتها قلق. وبرغم أنها توقفت عن تحريك الملعقة في قدح الشاي إلا أن هذا لم يرأب صدع الصمت مع هذا الشِقّ الخفيّ الذي كان ينحت طريقاً يزداد عمقاً في صميم هذه السكينة.

"هل أصابكِ مرض أو ألمّ بكِ سوء؟"

"كلا"، أجابتها أمها وقد استطاعت رسم ابتسامة على وجهها.

تلك هي مسحة الشفقة التي ستحصلين عليها اليوم، قالت لنفسها وابتسمت بعد جهد. هل تهتم حقاً بشأن صحتي أم أنه مجرد خوف من اضطرارها حمل عِبء إصابتي بالمرض إضافة إلى حياتها المزدحمة بالفعل كمخزن ممتلىء عن آخره؟ وعندما اتجه المنطق إلى الاحتمال الثاني، أخرسته الأم.

كانت ابنتها تعمل بجدّ بالغ، وكذلك زوج ابنتها. كل الشباب يجتهدون في العمل كي يزيدوا من ثراء مجموعة بعينها من الأشخاص غير المرئيين. فهم لا يعرفون لماذا يعملون، ويظنون أنهم يفعلون هذا من أجل حياة "جيدة". والحياة "الجيدة" هي الحياة "المزدهرة" في قاموسهم، بعدما اندحرت الفجوة بين معاني المفردات في حياتهم السريعة. وواقع الأمر أن عملهم ذاك لم يكن للحياة المزدهرة، والحق أن.. بدت حياتهم سلسة

Twitter: @ketab_n

وواضحة كخط مستقيم مرسوم بالمسطرة، غير أن هذا الخط لم يكن سوى حبل مشدود، وأسفله هاوية لا يعرفها أحد يقيناً. وتوالى انضمام كل الجهود إلى هذا الفراغ المرعب الذي جعل من المستقبل أكثر غموضاً؛ متعلقاً بحياة ضيقة ومحدودة، وأسنان، وأظافر..

نعم.. نعم.. ربما كان من الأفضل شرح الموقف بعد مغادرتها؛ ربما في خطاب قصير أو محادثة هاتفية. سيكون هذا أسهل، ولن يضطر أحد إلى الشعور بالأسى.

كانت تحب اللحظات المستمرة، تلك التي تعمَدُ أغشيتها الخفية إلى شطر الزمن إلى قِطَع تنحلّ تلقائياً وتصل الحياة إلى اللانهائية. مثل غابات البراعم الحمراء التي وصلت إلى البوسفور ومنه إلى الأفق الواسع للبحر الأسود. وتماماً مثل الأفيال الهَرِمة التي تتقاعد في زاوية هادئة من الغابة حتى تخبو فيها الحياة وتموت، على المسنّين أن ينسحبوا من هذه المدينة الضيقة. وبعيداً.. بعيداً جداً عن الطواحين التي ظنّت أنها ترقص مرحاً، منجذبة إلى تل النور المحيط بناطحات السحاب. وفي الوقت الذي شرعت الرؤية أمامها تنحسر كانت – في الوقت ذاته – تتسع وتصبح أكثر وضوحاً. أصبحت نظرتها أكثر عمقاً. كان بوسعها أن ترى أن الجبال الصناعية كانت ضوءاً وهمياً، وأن الواقع يتضمن جرّافات، وأن الأمر برمّته كان رقصة موت تتصاعد من حولهم.

بلدة صغيرة على شاطيء بحر إيجه. وبيت للمسنّين لا تنقصه الرحمة. أما الترحاب فمستمر زمنياً فحسب، بدون أي توقع بائس لأي اهتمام من جانب هؤلاء الأقرب والأعز. فالحياة قد سلبت منك كل ما تملك، إلا

Twitter: @ketab_n

احترامك. كانت قد ابتعدت عن أحبائها لفترة طويلة الآن، وباتت عالقة في شَرَك الغابات، والمنحدر، والبحر معاً، كما لو كانت تدور في دوامة. لكنها لم تعد تشعر بالألم، ولم تعد تستاء. لم يعد هناك وقت لأي من هذا، وكل ما بقي كان صمت الطبيعة. نعم.. من الأفضل أن تخبرها بعد أن تغادر.

وفي حركة مفاجئة خلعت الأم عقد اللؤلؤ ووضعته حول عنق ابنتها، واندهشت الأخيرة.

"أريدكِ أن تحتفظي بهذا، كهدية. سوف يبدو أجمل عليكِ".

"ولكن لماذا؟"

كانت ابنتها مندهشة بحق. وفوق قيمصها القطني الرثّ بدا العقد وكأنه اقترضته لتوّها.

"ولكنك تحبينه بشدة".

"نعم.. ولهذا أعطي عقدي الذي أحبه كثيراً لابنتي التي أحبها أكثر من أي شيء آخر في هذا العالم. فما الخطأ في هذا؟"

"ولكن لماذا؟"

ترددت ابنتها مجدداً. بدت الفجوة المنحوتة في الصمت وكأنها تمتلىء للحظة، ولكن هذا لم يكن حقيقياً. كانت على وشك أن تسألها: "هل تشعرين بسوء؟"، ولكن غلبها الصمت. ربما لأنها قد وجّهت التساؤل ذاته منذ برهة، وربما لأنها كانت تخشى أن تسمع "نعم" المتوقعة.

Twitter: @ketab_n

وابتسمت الأم. المسكينة لم تستطع التفكير في أي شيء آخر لتقوله سوى "ولكن لماذا؟"!.. كيف ستثرثر كطفلة.. ففي حياتها سريعة الإيقاع ارتفعت عالياً في السماء كنفاثة وأسقطت كلماتها؛ ولأنها لم يكن لديها الوقت كي تتوقف وتميل لالتقاطها اكتفت بأن تتركها تنتثر كحبات عقد مكسور..

قالت الأم وهي تشير إلى العقد: "اعتنِ به. اعتبريه تذكاراً مني لكِ، فلا تضيّعيه".

"أرجوكِ يا أماه، دعكِ من هذا الحديث المؤثر".

كان مزاج ابنتها السيء دلالة على أن ما حدث قد مسّ إحساسها. وشعرت السيدة بحزن لبرهة لأنها تسبّبت في حزن ابنتها، بيد أنها قرّرت ألا تحزن. ففور عودة الإبنة إلى عملها سوف تنسى هذا الحزن المختصر برمّته؛ بل وربما قبل ذلك.. قبل أن تفارق لوحة منحدر البراعم الحمراء.

Twitter: @ketab_n

إيرنديز اتاسو

ولدت في أنقرة عام 1947. تخرجت من كلية الصيدلة بجامعة أنقرة في عام 1968 وعملت أستاذا للعقاقير في نفس الجامعة حتى تقاعدها عام 1997. نشرت قصصها القصيرة المكتوبة بوعي نسوي في المجلات الأدبية، كما نشرت مقالاتها التي تدور حول الموضوعات الأدبية وقضايا المرأة والمجتمع المدني والاصلاحات الجمهورية بالصحف اليومية.

نشرت خمس روايات وثماني مجموعات قصصية وست مجموعات من المقالات في كتب، وتلقت العديد من الجوائز. ترجمت لها قصصا قصيرة إلى لغات أخرى ونشرت في المختارات الأدبية في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وهولندا وسويسرا وإيطاليا وجمهورية التشيك وكرواتيا. ونشرت دار ميليت روايتها "الجانب الآخر من الجبل" Dagin öteki Yüzü.

Twitter: @ketab_n

(2)
الفجر في تارلاباشي
(العالم في المنفى)

سفينتش تشوكوم

حاملة كتفيّ النحيلين والضيقين شرعتُ في أولى مغامراتي في الشوارع غير المعروفة. هكذا صرتُ معتادة على رائحة العفن. فكلما وطأت قدماي أرض هذه الشوارع أسمع من بعيد الجلبة الشديدة التي يُحدِثها بائعو الأسماك في السوق، كأغنية تشظّت عن البحر لتضرب الشاطيء بقوة. أصوات صاخبة جداً في انسجام تام. وترى أسماك السرطان وقد دبّت في أقدامها الحياة مجدداً، والمحار ينقّب قشرته عن فتحة يسيرة لينسل منها. وفي الركن، ثمة بائع لحساء رؤوس الأغنام يرمي برؤوسها في القِدر لتغلي فتُحدّق عيونُها السوداء في نظرة بشرية قبل أن يخبو فيها الضيّ.

أما المنازل المهجورة، الباهتة، بجدرانها الصدئة المتآكلة، فلا تخبر عن الأحياء بداخلها؛ حيث غالبيتهم يعصف بهم الفقر فيما أفئدتهم لا تخلو من طيبة ولين. هكذا تسقط البطاقات؛ نقرة واحدة ويسقط الجميع. ومن

Twitter: @ketab_n

بعض النوافد المتهالكة يُطِّل هؤلاء الأشخاص غريبو الأطوار على الشارع، كمن يؤدّون أدواراً صامتة في مسرحية ما.

ويستيقظ عِدنان في ساعة غير معتادة من اليوم، فيرتدى ثوبه الحريري الفضفاض الذي لا يخفي نحالته المفرطة، فيجول في المكان بعينيه معتادتين على الليل ومثقلتين بالكسل، وتفوح من جلده الرائحة العفنة المميّزة لفندق غراند لندن. وأحياناً يقع عِدنان عازف البيانو في فخ النوم ولا يستطيع الانفلات منه، فتبدو ملابسه الداخلية من فتحة جلبابه، بل وأحياناً ما يفتح الباب بسحب سلسلة ربطها بمزلاج الباب.

- (يتعالى صوت أعلى الدرج ينادي) سعدية هانم، سعدية هانم، أخاكي هنا! واعتقدتُ أنه بائع الحليب. هل أنتِ الإبنة الصغرى أم الوسطى؟ سوف تحضر لي أختك الكبيرة سعدية هرّة صغيرة. علّها نسيت! ذكّريها حين ترينها..

أما أنا - الأخت الصغرى لسعدية هانم - فمُغرمة بالأصابع العاجية لعِدنان عازف البيانو.

ولعِدنان عينين تشبهان عيون الماشية؛ مفعمتين بالطيبة والإنسانية، ووجهٌ شاحب. وكان قِبيل الفجر يخرج ليدخن سيجارته الأخيرة تحت أضواء الشارع؛ منهكاً تماماً، ولم تزل أغنية "قبلة محمومة" أو أية أغنية أخرى تطّنُ في أذنيه. وأحياناً كان عِدنان يبقى هنا في تارلاباشي، في منزل "كانيتي" قبل أن يذهب إلى منزل أسرته في بوستانوستو، بالقرب من منطقة بشيكتاش. واعتادت كانيتي أن تخطر بدلال في ثوبها الصباحي وهي تحاول تغطية ثدييها. ولعلّ اسمها الحقيقي هو "كاتينا" قبل أن

Twitter: @ketab_n

يرى أحد الريفيين الحمقى أن من الأسهل أن يدعوها كانيتي حتى التصق بها الإسم؛ من يدري؟ أو ربما كان هناك كاتينا أخرى تختلف عن كانيتي؟ فكانت تفتح الباب بزجاجه الملوّن المكسور وهي تصيح وتلعن: "ماذا، هل قامت الحرب؟!". ولكنه كان عِدنان عائداً من لندن غراند كلوب. وكان من باب الغَنَج دعوته بـ "عِدنان" بدلاً من اسمه الحقيقي "عَدنان".

كان الآذان لصلاة الصبح يتردد بينما عِدنان – عازف البيانو – يمر أسفل المنحدر في شارعنا، بمنديل سترته الأحمر ويديه في جيبيه، ولم تزل بقايا وأصوات الضحكات من لندن كلوب عالقة بملابسه، والتي تظل هكذا طوال النهار حتى تزداد طبقة فوق أخرى في كل ليلة. كان عِدنان سجيناً؛ أسير لندن كلوب.. أسير الليل. وكان هناك قاطع الطريق البلطجي المجذوب، عاشق كانيتي، وحيثما ظهر تنطلق في إثره اللعنات والشتائم.

وعاءٌ بعد وعاء كانت "ألفية هانم" تُطعِم أبنائها حساء مرق رؤوس الأغنام المغلية قبل أن ينطلقوا إلى الجامعة. وفي بعض الليالي التي تشعر فيها أنها بمفردها مع الله بعد أن يأوي أبناؤها إلى الفراش، كان البكاء ينتاب ألفية هانم وهي قابعة فوق سجادة الصلاة، فتتندّى بدمعاتها السجادة ثم تجف. فمنذ انفصالها عن زوجها وجوفها يَميدُ كالبحر في مدٍ وجزر، وقد هشّمتها آلاف الويلات؛ بثلاثة من الأبناء تحمل عبء تربيتهم. وبعد أربعين عاماً لاحقة ينتحر ابنها الأكبر – المعماريّ – بلا سبب على الإطلاق. بلى .. كان هناك سبب؛ علّه رأى كثيراً مما لم نستطع رؤيته. فمن داخل رقعة مظلمة من الحزن رأى هو الحقيقة بينما كنا نحن نعيش في الخرافة.

Twitter: @ketab_n

في تلك الأيام كان طعاماً مجرداً من البروتين. وكنت أزور ألفية هانم بشكل متكرر وهي تطهو الفاصوليا الخضراء في وعاء ضخم، وكنا نقوم بتحضير سلاطة الطماطم والبصل بعناية، ونغمس الخبز والحمص في الصلصة، باحثين فيما بينها عن قطع اللحم. وبعد أن نتناول الطعام نروح نبحث عن ثمرة فاكهة؛ ربما تفاحة نصف مأكولة. كانت ألفية هانم تذهب لبيع بطاقات الحفل في كيرفانساراي لتحصل على عمولتها.

أما الغرفة التي دخلتها فكانت أشبه بأنقاض قصر قديم؛ الأبواب والنوافذ متقوسة، وحطام النوافذ تغطيها أوراق التغليف. وفي غرفة ألفية هانم الخلفية، والباردة إلى حد ما، مرآة طويلة بإطار محفور بأشكال الزهور. وفي تلك المرآة تشابكت أطراف رجل وامرأة حتى غَمَرهُما غرامَهُما، وسافرا عبر المرآة دون أن يراهما بشر، حتى اختفيا، وانكسرت المرآة.

وكانت تلك النقوش للمعامريّ الذي قرر قطف حياته بيده.. وفعلها حقاً في وقت لاحق؛ بعد أربعين عاماً، متسائلاً: "ما الذي يستأهل العيش لأجله؟".

ما الذي يستأهل العيش لأجله؟

لا تتحدث بهذه الطريقة

– ولكنها الحقيقة. ربما كانت كذلك بالنسبة لك.. .. لكن بالنسبة لي؟ لا أستطيع تجاوز موت أمي. (أتى مرض السرطان على حياة ألفية هانم وأرداها قتيلة. وقالت ذات يوم: "حتى آخر خصلات شعري استسلمت للسرطان"، متذكرة كيف كان زوجها يبيع شعرها للحصول على الإيجار).

– كل الأمهات يرحلن.

Twitter: @ketab_n

- نعم.. لكنني لا أستطيع قبول هذا. أريد شيئاً يجعل الأمر هيّناً. أريد نقطة يصبح فيها الموت حقيقة أسهل استيعاباً. أرني الطريق.. أرني الطريق نحو موتي.

لا بد أنه يمزح. وهل الموت مدعاة للمزح؟

كلا.. هو لم يقل هذا، بل قالته عيناه. أرى في عينيه الرعب من الحياة كأنها فوهة كهف معتم. وأفكّر حينئذ في أنامل عدنان. البعض يحصل على الحياة بلمسة، والبعض يهبها طواعية. أعساها الحياة فوق هاذي الأرض مجرد مزحة يلهو بها الرب؟

ومن هنا أمُرُّ بالفنادق القديمة على الطريق إلى تيبيباشي، وقد غشِيَت الأمطار معطفي، ثم أستقلُ المعديّات إلى القرن الذهبي في طريقي إلى منزل عمّي وعمتي، وأمرق من فتحة "أيوب" الطينية كصفير. صناديق الحلوى والملبن. والجسور تنبعث منها عوادم المعديات. وقد اعتاد عمّي أن يكتب قصائده – بلا بدايات أو نهايات – وهو يحدّق في مياه القرن الذهبي، مع الضوضاء المنبعثة من أحواض بناء السفن، والعمّال ورؤسائهم يتنادون طوال الوقت، فضلاً عن صوت خفقان أجنحة طيور النورس والحمائم، وهو يفكر في "سابيتي". كانت المياه ملهمته؛ تماماً كأم تعلّم طفلها الهجاء.

وفي بعض الأمسيات أفتح هذه الأبواب السحرية فأرى ألفية هانم وهي تطهو الفاصوليا الخضراء في قِدر هائل من الألمنيوم، وأولادها في الطابق الأعلى يختالون في صخب وقد تعالى لديهم هرمون التستوستيرون حتى

Twitter: @ketab_n

أوشك على الانفجار، وهم على أهبة الاستعداد لإشعال حرائق وإخماد أخرى، والموت في سبيل اللواتي أغرموا بهن، بل والقتل من أجلهن.

وكان البيانو في ردهة منزل كانيتي شاهد عصر يخبر عن أيام العروض الموسيقية القديمة والاحتفالات التي كانت تقيمها قبل أن يقتلها ذاك السكّير الذي كان مهووساً بها. ولكن حتى بعد موتها كانت تأتي وتزوره من حي لآخر. كان جسداً تتواجد فيه. وكانت ألفية هانم تقول: "إن كانيتي تأتي في الأمسيات، فتدور في المكان، ثم ترحل دون أن تأذي أي شخص".

كان المعماريّ يعكف على رسوماته حتى الصباح؛ بأوراق منبسطة فوق منضدته، وعينين منتفختين، وحبوب الطاقة، والكراهية الحاقدة على أبٍ بعيد. صِرنا في العصر الحديث؛ قد لا يحصل الأبناء على البروتين الكافي، ولكنهم قطعاً يدركون الرياضيات والحساب. فحقّت عليهم المعرفة، ومعرفة الحب والولاء كذلك.

وبطول جدار السفارة البريطانية هناك العاهرات، وسائقو سيارات الأجرة، وماسحو الأحذية، والقطط التي تخدش الجدران بأظافرها. وعلى الجانب الآخر من الجدار نوعٌ آخر من البشر؛ الإنجليز الذين لم نرهم قط، ولكنهم متواجدون ولا شك. وكانت ساقا كانيتي متباعدتين دائماً، تماماً كما يسير الفرسان، هكذا كانت تمشي. وكانت ألفية هانم تحكي للجيران في جولاتها لبيع بطاقات حفل "جاستس" عن سبب تقوّس ساقي كانيتي. كان ذلك بسبب مواقعة رجال كثيرين لها. كما اكتسب صوت كانيتي بحّة ذكورية بعد إزالة أحد مبيضيها؛ "كان متعفناً" كما قالت. كائنان غريبان هي وقطّها المُعقّم. تعرفون أن القطط تتحول إلى بشر بعد تعقيمها.

Twitter: @ketab_n

وهل طوى النسيان عدنان؟ بأنامله الجميلة تلك التي تشبه أنامل "ليزست" وهو يعزف مقطوعة شوبان "كونشيرتو البيانو الثاني" وسمفونية "ضوء القمر" لبتهوفن على البيانو في قاعة كانيتي فتتحوّل طرقات تارلاباشي بفعل أنغامه إلى ليالٍ من بولندا وأرصفة من وارسو. وأحياناً كان يعزف سيمفونية تاتيوس أفندي "كورديلي هيكازكار ساز سيماسي" فترتفع ستائر إسطنبول المخملية. وكان سكّان الطابق العلوي في شقة كانيتي عادة ما يرتدون شورت السباحة. فهم أبناء ألفية هانم. كانوا يرتدون شورت السباحة المصنوع من مادة اللاتيكس، ويسيرون مختالين بأجسادهم مثلثة الشكل وبشرتهم الداكنة. ونباتات الفاوانيا هي آخر ما تبقّى من الحديقة... والشوارع المظلمة الملتوية كالكهوف. وفراش ألفية هانم يعجُ فيه السرطان. وطريقتها التي انتهجتها كي تصبح بعيدة ومختفية عن الأنظار، بل وغريبة عنّا كلما زحف الموت نحوها؛ فكان إقصاؤنا.. وكان عالم في المنفى.

وخارج النفاذة هناك نباتات الفاوانيا، والزهور الوردية الداكنة والبائدة، ومن خلفها مدينة من الأطلال؛ شارع بائع المظلات موردو يوكسيك كالديريم وغالاتا، حيث برج غالاتا الأسود والقذر الذي لم يأنف قط من الظلمة والقذارة. وهناك عبق الحكمة؛ البرج القديم المنعزل، حيث للآثار صوت يقول "هَبني خبرة الحياة!"، مصحوبة بآثار الأقدام وشظايا الزجاج.

ما الذي حلّ بشعرك يا عمّتي ألفية هانم؛ أين ذهب شعرك البُنّيّ المُحمَر؟ وكانت تجيب قائلة: "تناولي الفاصوليا الخضراء كي تكبري قوية"، وتزيد

Twitter: @ketab_n

من حصّتي عن الآخرين. وأحياناً – بدون أن أطلب منها – كانت تأخذ إحدى ثمار الكمثرى من الأطفال الآخرين الجائعين في ضراوة، لتمرّرها لي.

واعتدتُ أن أدخّن في المرحاض، والذي لم يكن مرحاضاً بالمعنى؛ مجرد حفرة من السيراميك، من مخلفات الماضي كذلك. وقبل أن ينتقل شباب المنزل إلى الطابق العلوي كانت تعيش هناك مغنية، وكانت كنبات الفاوانيا الذابلة. وفي أيامها الأخيرة كانت تشدو بأغنيتها "هل هكذا ينتهي بي الأمر؟" ولكن المسرح كان لها. كانت شقراء على نحو يختلف عن الأخريات، وقد لعبت – قبل مولدي – دوراً في فيلم أناضولي، والذي لم يشبه الأناضول في شيء. ثم باتت امرأة من المدينة، وكل ما خلّفته حين رحيلها كان حفنة من المقتنيات؛ حفنة لمقتطفات من الحياة.

وكانت تروي أجزاءاً وقُطَفاً من حياتها، فتقول وهي تتكيء على فراش فوق الأرضية: "لم أكن أبداً أسيرة لأحد". وكانت تعود ثملة في الليل فتتعثر في كل خطوة، فعَلَت الندبات وجهها، وذراعيها، وركبتيها، "ربما أكون قد فقدت كل شيء، لكنني لم أزل محتفظة بكرامتي".

سياراتي الحدباء، ومقاعدي ذات الأيادي الطويلة. وكنت أستطيع رؤية الحديقة الخلفية من دورة المياه، ونباتات الفاوانيا، وتذكارات كانيتي هانم. كانت تبدو كما لو أنها مصنوعة من الورق، مطوية واحدة فوق الأخرى في لون وردي عميق. ولكن لا شيء كان بعُمق آثامها. كان بوسعي رؤية المدينة القابعة خلف الفاوانيا، وهي تمتد صوب القرن الذهبي.

نفث عدنان دخان لفافة تبغه وهو ينظر إلى الأعمدة والتماثيل على واجهة فندق جراند لندن. وببهوه العاجي كان الفندق يبدو كدولة

Twitter: @ketab_n

تأسست على ذاتها. وحين تلتف مع الزاوية يستمر معك بنوافذه المظلمة والمتربة. وكان عدنان يحلم بحمل أحد هذه التماثيل على كتفه ليصحبه إلى المنزل. وبصوتها ذكوري النبرة كانت كانيتي تُبعد الكلاب، فهم أعداء القطط. وكانت تطلق لعناتها وشتائمها في تلك الليالي على عشيقها المهووس عندما كان يأتيها ويدق على الأبواب.

وفي الظلام تصلّي ألفية فوق سجادتها التي تفوح منها رائحة الريف. ويدخل زوجها ويمضي كغريب وهو يصيح في أبنائه الذين يتسكعون في لباس السباحة؛ ثم يتخلّى الظلام الدامس عن بقايا الضوء، ويأتي برغيف من الخبز تحت ذراعه كي يعقد السلام مع ألفية، وبضع أرطال من الموز أو البرتقال. وتدب الحياة في السرطانات، وعند نقطة من الليل تنفتح عيون الماشية وتبكي جرّاء العالم الخسيس الذي يبصرونه، وينتحبون شفقة على البشر، لا على أنفسهم.

إذا آثر اثنان الانفصال عن بعضهما البعض فهما لا يعودان مجدداً أبدا. وهكذا فعلت ألفية وزوجها السابق. ويُجمع الإيجار من المنازل الموشكة على السقوط في بيوغلو، والأنفاس الضجرة للسكارى والمغنيين، وسعالهم المكتوم بطبقات القار؛ والدرابزين المتسخ، والنوافذ الحالكة التي لا تحوي شيئاً ورائها – أين ماغنوليا التي أعرفها؟ والنساء اللواتي يرتدين التنانير الماجنولية؟!

اليوم رأيت ثوب عدنان في سوق الأشياء المستعملة. بزة سهرة، وقبعة فيدورا، والعباءة. كانت تبرق بزخارفها التي تشبه أقراص العسل. واعتاد

Twitter: @ketab_n

عدنان تدخين لفافة تبغه الأخيرة تحت أضواء الشارع؟ فهل مات عدنان؟ وماذا تبقى منه؟ سحابة من غبار.

وفي تلك الأيام حين كنا نذهب إلى تيبيباشي كلوب لرؤية المرأة التي هام بها عمّي عشقاً، كان متزوجاً بالفعل ولديه ثلاثة من الأبناء. وبينما كان صوت تلك المرأة التي أحبها يرتفع صوب عنان القرن الذهبي.. نعم، تلك الأغنيات لم تصبح شهيرة بعد؛ كانت تشدو "سابيتي" وهي ترتدي ثوباً ترتديه فتاة توشك على الزواج. ولقد أحبّها عمّي قبل إرساله إلى أقبية كاميالتي لقراءة ماركو باشا، وهي الصحيفة التي اجترأت على انتقاد الحكومة.

ولقد جاءت كانيتي في تلك الليلة، وراحت تتجول في أرجاء المنزل، محدثة أصوات بوقع قدميها فوق الأرض. كانت الأرضية من الخشب، ولا عجب أن كان مخلخلاً في بعض المواضع ويحدث صوتاً كصرير الأسنان.

- "هل سمعتي هذا؟"، سألتُ أختي بصوت خافت؛ "ثمة شخص يجول في المنزل. لا بد أنها ألفية هانم، أليس كذلك؟!"

- "كلا.. إنها كانيتي. اغمضي عينيكي! وسرعان ما ستذهب".

وحبستُ أنفاسي. كيف يبدو وجهها؟ فمٌ بلا أسنان وتجويفان شاغران محلّ العينين؟ ماذا أفعل؟؟

- "لا تتحركي!".. همست لي أختي.

كنّا تحت غطاء الفراش؛ بطانية سميكة من القطن يغلّفها الساتان الأزرق. مين أين أتت كانيتي التي قتلها المغروم بها؟ شعرت بريح رطبة تسري في الغرفة، أو ربما نسيم معطّر بتربة الورد البرّي. ثم اقتربت وشدّت

Twitter: @ketab_n

الغطاء فوق أقدامنا. ثم شعرت بأنفاسها تهمي على وجهي في رائحة عوان بين أوراق الغار وأكاليل الجبل. تراجعتُ يسيراً وغامرتُ بفتح عينيّ. ورأيتها ترتدي ثوب نوم واسع العنق، وشعرها أشعث. لم أستطع تبيان ملامح وجهها، وعلّها كانت بلا وجه. بَدَت وكأنها نفثت بخوراً فوق رؤوسنا بمبخرة فضية تحملها في يدها، وكانت حركاتها منهجية جداً؛ فأغلقت النافذة، وعدّلت وضع ستائر الدانتيل والتي دأبت على التشابك، حتى بات كل شيء منظماً، فيما كانت أغنية عدنان "كيساس كيساس" تهيم عبر الشارع كصفير.

وكانت كانيتي تروي لخليل بيه - المسؤول الصحي – عن عشيقها السابق، فتقول: "سيقتلني ذات يوم لا ريب". وعن هذا كان المسؤول الصحي يقول: "ليتَك رأيتها وهي في السابعة عشرة من عمرها. لم تكن كانيتي لتخطُر عبر طرقات بيوغلو؛ كانت شديدة الجمال والفتنة".

وكان خليل بيه مسؤول الصحة – أو خليل أكاي كما كان يدعوه اليونانيون – أحد ضباط النظام القدامى، ولقد دأب على حمل حقيبة من الجلد الأسود المتين، وقبعة فيدورا، ومعطف مبطّن بالفراء. وكان ينطلق إلى جولاته في تمام الخامسة ليجوب كافة أرجاء بيوغلو. وعُرف عنه شدة مواظبته وانضباطه في هذه الجولات؛ فيعطي حقنة "فوسفوتيزم" منشطة، أو "كالسيبرونات" أو "كاسيوم-ساندوز" للنبلاء في السفارات الفرنسية، والإيطالية، والإنجليزية.

ولقد أصبحت جرعات الحقن التي يعطيها لزوجات الضباط - اللواتي عادة ما كنّ يرقدن عاريات تحت فُرُشهن – بمثابة عادة، وكانت تلك الساعات المعتادة لنومهن، فيأتي خليل أكاي ويرفع الأغطية عن أجسادهن

Twitter: @ketab_n

في حركة واحدة دون أن يصدر عنهن أي صوت، ثم بنظرة ولمسة يسلُكُ المِحقَن مسلكه فوق مؤخراتهن البيضاء العاجية، ثم يتركهن ليخامرن مجدداً عالم الأحلام. وبعد السنوات لم يعد الرجل يبالي بتلك الأجساد العارية.

"الحق أنني لا أرى المنطق في غسل الجسد بأكمله من أجل الصلاة! فأنا أرى كل يوم عشرات الأرجل، والمؤخرات، والأجزاء الجنسية: فأيها ينبغي أخذها في الاعتبار؟ ما الفكرة في هذا ولم تغوني أي منها لاتباع الشيطان!" فإذا كان المرضى من الأتراك أو اليونانيين فهم بعدُ ينامون في التاسعة أو العاشرة صباحاً، وكان يعنّفهم بقوله: "جميعكم تغطّون كزوجات كاديوكي الثريات".

وبعد الزوجات الثريات كان يحين دور كانيتي، وكانت تشكو في تلك الأيام من أمراض نسائية. عَرِف خليل أكاي صميمُها، ومعها فقط كان يحتسي القهوة أثناء ساعات العمل. قهوة وفيرة السكر في قدح بنفسجي. "كان الأمر مختلفاً مع كانيتي بعينيها العسليتين".

أما تعاسة ألفية هانم فسُطِرت على وجهها حزناً بعد حزن. فحين تُخفِض عينيها إلى أسفل، ثمة شيء كان ينطفيء؛ وكأن روائياً من مسقط رأسها قد كتب سيرتها؛ فتاة من الجنوب تزوجت في سن صغيرة. ولكن ألم يكن هناك أية ذكريات سعيدة؟ تمنّت لو استطاعت فصل الأجزاء الجميلة من حياتها وجمعها في حزمة واحدة، بيد أنها كانت شديدة الندرة.

كان هذا وجها مختلفاً من إسطنبول. أراه وأنا أصقل مرآة قديمة. لقد ذهبت ألفية، وذهب المعماري، وكذلك كانيتي وعدنان. ولم يبقَ أي منهم. بل وعمِد شخص ما مؤخراً إلى خلع الباب الحديدي للمنزل بأجزائه العلوية الزجاجية!

Twitter: @ketab_n

سفينتش تشوكوم

ولدت في إسطنبول عام 1943. تكتب الشعر والقصص القصيرة والروايات والسيناريوهات. تخرجت من قسم اللغة التركية وآدابها بجامعة إسطنبول وعملت كمدرسة لمدة خمس سنوات قبل التركيز على كتاباتها. عملت كرئيس تحرير لمجلة "الأدب التركي". وكتبت في صحيفة "تركيا".

نشرت قصصها القصيرة في العديد من المجلات الأدبية قبل أن تنشر أول مجموعة قصصية "الأشجار المائلة" Egik Agaç عام 1972. ومنذ ذلك الحين نشرت عشر مجموعات قصصية، وأحد عشر رواية وثلاث مجموعات من المقالات وسيناريوهين، تتركز بشكل أساسي على أفكار اجتماعية وتاريخية.

Twitter: @ketab_n

(3)

إضحاك مارلين مونرو

سبنم اسيجوتزل

لا بديل عن الحب

ـ وونج كار واي

كنت عصبيا، منتظرا، اتطلع من نافذة مكتبي اثناء انتظاري. لقد وصفت لها الطريق بدقة. قلت لها: "أهبطي من المترو في محطة ميدان كاراكوي"، بل رويت لها نبذة تاريخية عن المترو. بدت على وجهها تلك النظرة اللطيفة تعبيرا عن الموافقة، وظلت مرتسمة على وجهها. قلت لها: "عند خروجك من المترو انظري أمامك مباشرة" لهذا لم أفتح الستائر، باعدت بينها فقط كي القي نظرة خلال انتظاري. لم أرغب في أن تراني انتظرها على هذا النحو.

Twitter: @ketab_n

ظلت سكرتيرتي تواصل الدخول والخروج من مكتبي. فهمت أني أنتظر. ولكن انتظر من؟ زوجتي السابقة كانت تدفع لها. ليس نقودا فقط، من الممكن أن يكون عطرا أو قفازا جلديا أو إيشارب انيق، وأحيانا علبة شوكولاتة، وهي هدايا مرغوبة هذه الايام.

لم تستطع تمالك نفسها اكثر من ذلك، سألتني: "هل تنتظر ضيفتك الأمريكية؟".

هل هذا سؤال يوجه إلى شخص خبير بالافلام السينمائية مثلي.

اجبتها: "لا، لماذا؟ هل وصلت؟".

كان أبي يقول لي: "يا بني يمكنك حكي كذبة لها أربعين ذيل وانت واقفا على قدم واحدة. العمل بالسينما مجال مناسب لك تماما". الضيفة التي كنت انتظرها سألتني منذ بضعة أيام ونحن في طريقنا إلى فندق بيرا بالاس، حيث كنا سنقيم هناك تحت اسماء وهمية بالطبع: "هل كنت شديد الحماس لأن تصبح منتجًا سينمائيًا؟".

كانت هناك أمامي .. كإعصار يبتلعني .. شعاع من ضوء لا اتحمل فتح جفوني والنظر إليه. أول سؤال وجهته إلي بأمريكا: "هل تتساقط الثلوج في إسطنبول؟". يا إلهي، من أين أتت بمثل هذا السؤال؟

Twitter: @ketab_n

كم كانت سعيدة عندما ذهبت لزيارتها لاحقا في المصحة. كانت المصحة تقع بولاية داكوتا الشمالية. وهي أحدث حيلة قام بها طبيبها النفسي رالف جرينسن_ الاسم الحقيقي لذلك الحقير المتآمر كان روميو أو شيء من هذا القبيل. حدث كل هذا عام 1960 بالطبع، قبل أن تأتي إلى إسطنبول بعامين. كان اللقاء القصير بالمصحة مهما بالنسبة إلي نوعا ما، لأني ظننت أني لن اراها ثانية بعدها. من أنا حتى يسمحوا لي بالدخول، وأن توافق هي على استقبالي؟ يمكنني أن اكون بالكاد احد معجبيها. إلى جانب أنني كنت أعرف بالفعل أسماء جميع من نبذتهم في لوس انجلوس. وكيف أنها لم ترغب في رؤية أحد، وكيف ارتدت البيجاما الرجالي التي ارسلها إليها مدير أعمالها _ حسب اختيارها_ ونامت وحدها أو بفعل الأدوية.

لكنها استقبلتني. كانت الثلوج تغطي كل مكان. غريب أمر الذكريات التي تبقى عالقة بأذهاننا، أليس كذلك؟. كانت هناك نافذة كبيرة بحجرتها، ثم ادركت أنها نافذة منزلقة تمتد حتى الأرض. كنت قد درست الهندسة المعمارية في البداية، لكن بعد ذلك أصبحت منتجًا سينمائيا. لذا اثارت اهتمامي المباني وناطحات السحاب في أمريكا .

اخذت معي زهور لها في المصحة. كنت أجيد هذا النوع من السلوكيات. دربت نفسي جيدا وهذبتها. كان من المفترض أن تبدو الباقة وكأنها زهور التقطت عشوائيا من حديقة أو غابة. لم تكن فخمة، لكن زهورا طبيعية من المنطقة، كأنها باقة جمعها طفل. لكني دخلت في مشادة مع السيدة المشاكسة

Twitter: @ketab_n

التي اشتريت منها الباقة. لذا فرقت الزهور على المقعد الامامي للسيارة ثم رتبتها ثانية بعد ان تخلصت من كل الاوراق الخضراء التي وضعتها بعناية.

لقد أحبت الزهور حقا. كانت تجلس على سريرها. تتدلى احدى قدميها الحافيتين من على حافته. كانت ازرار البيجاما الرجالي التي ترتديها مغلقة جميعها حتى أعلى. وشعرها به تموجات كبيرة وغير مرتب. لم تكن تضع أية مساحيق تجميل وتبدو شاحبة. كانت عيناها منتفختان، ربما بسبب النوم أو الأدوية. بما أني كنت أراها دائما في كامل اناقتها وبما أنها كانت ترتدي دائما مشد للخصر، لهذا فقد بُهت من مشهد تقوس بطنها الممتلئ. نظرت هي أيضا إلى معدتها، ثم وضعت يديها ببطء معا على حجرها. كان هناك شيئا غريبا بها، نور لا يوجده إلا الله. نور قوي جدا حتى أن من يحترقون بداخله لا يمكنهم السيطرة عليه.

هكذا كان حالها. همست لنفسي خلال تفكيري بأني قد فقدت عقلي "يا "رضا" يا بني، أعلم أن هذه أسعد لحظة في حياتك". كنت سعيدا جدا وترقرقت الدموع في عيني. بدأ الثلج يتساقط، فالتفتت كأنها شعرت به. أدارت ظهرها للمنظر وكأنها تدير ظهرها للعالم. في وضعها هذا لم تستطع أن ترى شيئا، فقط تحس.

كان لديها صوت لطيف جدا بشكل لن تصدقه.

Twitter: @ketab_n

قالت: "تلك الثلوج في الحديقة لم يلمسها أحد من قبل، لم يخطو عليها أحد. هناك فقط آثار خطى العصافير التي اطعمها والغربان. أنظر، أترى؟" . لم أكن أرى شيئا. فلكي تكون قادرا على رؤية علامات خلفتها مخالب غراب أو عصفور على هذه الثلوج البكر فأما أن تكون يائسا من الحياة، أو العكس: متشبثا بها للغاية. كان رأسي يدور مثل البندول من الارتباك والإثارة، رغم أنها رأتني من قبل، أتدري أين؟

في حفل اقامه الاستوديو في الأول من يونيو للاحتفال بعيد ميلادها الخامس والثلاثين. الحقيقة أني حضرت الحفل بمحض الصدفة. كان لدي لقاء مع أحد مديري شركة فوكس القرن العشرين للانتاج السينمائي، لأننا كنا سنشتري منهم فيلما لعرضه في تركيا. لم أكن اتوقع أكثر من أن يتم تقديمي إليها بالصدفة وأصافحها. حتى لو حدث ذلك فسيكفيني .. لكن حينها حدث أمرا أكثر أهمية. صادفت إدوينا، المرأة التي أقمت عندها كطالب خلال دراستي بأمريكا.

ياه .. "إدوينا"! صاحبة الفندق المجنونة التي لديها حساسية مرضية تجاه مياه الصنبور الجارية! الشيء الوحيد الذي اتذكره من الجولة التي اصطحبتني خلالها لمشاهدة المنزل والحجرة التي سأقيم بها هو ذلك الالتهاب الحاد الذي اصاب مثانتي. ماذا وضعت بذلك الشاي؟

Twitter: @ketab_n

وكأنها قرأت ما بذهني، فقالت: "الشاي به مزيج من الأعشاب. عندما سمعت أنك تركي، نظرت إلى الخريطة وعثرت على بلدك. فخمنت أنك ربما تكون مولعا بتناول مثل هذه المشروبات".

بعد رؤيتي للحجرة قلت: "لو أن بها فقط رفا خاليا للكتب".

عند ذكري للكتب اتسعت عيناها وقالت: "اتعرف أن ابني كاتب مسرحي؟". عندما سمعت اسمه فقدت اهتمامي على الفور: توماس لانير كذا وكذا وكذا. ثم اخبرتني وهي تحرك يديها أمام رأسها مصدرة ضجيجا كأنها راديو صاخب أن الاسم المستعار الذي يستخدمه ابنها ككاتب هو: تينيسي وليامز. كدت أسقط اسفل الدرج!

بينما كنت اقوم بجولة في غرفة المعيشة التي تفضي إلى حديقة مصممة على طراز وصفه الفرنسيون بالامبراطوري، ثبتت عيناها على ظلال الاوراق العريضة لأشجار الباولونيا الصينية العطرة التي تخطت عتبة المنزل لتغزو المكان بالداخل.

أخذت إدوينا تشرح بالتفصيل أصل تسمية الشجرة وكيف اطلقه عليها عالم لغويات عادي نسبة لوالد السيدة المسالمة آنا بافلوفنا رومانوف التي تزوجت ملك هولندا، مخطئا الاسم الثاني واللقب، وهي أبنة "باول" امبراطور روسيا المعروف بـ (بيتر _ناقص_ بول) .. أما زيمسكي عالم النباتات ..الخ. كنت على وشك الصراخ.

Twitter: @ketab_n

رغبتي برف للكتب بحجرتي كانت مجرد حجة للتملص من الاقامة بهذا المنزل. لكن لم تسر الأمور على هذا النحو بعد أن علمت أن تينيسي ويليامز ولد ونشأ في هذا المنزل. فلربما تينيسي _ الفائز بجائزة بوليتزر لذلك العام_ يمر على المنزل. لكنه لم يفعل.

في حفلة عيد الميلاد المذكورة، كان هناك مع أمه إدوينا. أو بالأحرى كانت إدوينا هناك بفضل إبنها. لو قرأت ما بذهني لوجدتني أقول "يا له من مهرج خرف مسن". حسنا سأخبرك من كان. فهذا هو السبب الذي من أجله تتابع هذه القصة_ لكن من الخطأ أن اطلق على ما أحكيه لك قصة. أليس كذلك؟

هكذا التقيت بمارلين مونرو في عيد ميلادها! وبينما كنت انتظر احتمال أن يتم تقديمي إليها_ كما لو كانت هناك فرصة_ صادفت إدوينا الثرثارة. تذكرت شخصية الأم المتسلطة "أماندا" التي كانت تعيش مع أحلام ماضيها في مسرحية "حديقة الحيوانات الزجاجية" التي يحكي من خلالها تينيسي ويليامز قصة عائلة جنوبية فقيرة، لابد أنه كان يقصد إدوينا بهذه الشخصية.

كنت اتخيل مارلين مونرو لو تم تحويل المسرحية إلى فيلم ولعبت دور "لورا" الخجولة المصابة بالشلل التي كانت تنتظر أن تعثر لها أمها على زوج مناسب من بين التحف والأشياء الغريبة التي تجمعها، ثم شعرت إني انجذب إلى شيء كانجذاب دبابيس صدئة سقطت من دفتر منتفخ بفعل الرطوبة إلى مغناطيس. كنت عصبيا جدا عندما عرفتنا إدوينا، حيث أخبرتها بما كنت أفكر به.

Twitter: @ketab_n

قالت لي وكأنني المنتج وأني أعرض عليها الدور جديًا: "نعم. يمكنني أن العب دور لورا". كانت غير واثقة. نقلت عرضي إلى تينيسي ويليامز وكأني أبارك تمثيلها. كان يريد أن يقول شيئا. لكنها تحولت إلى آرثر ميلر ـ زوجها في ذلك الوقت ـ وقالت: "ماذا يمكن أن تفعل فتاة مثلي يا بابا، أنهم دائما ما يكتبون أدوار الفتاة الجميلة من أجلي". الغريب أنها نادته "بابا".

لقد طرحت موضوعا منح الفرصة لإدوينا الثرثارة كي تبدأ حديث غبي متلاحق. قالت: "أنتِ. ببساطة لا اتخيلك في شخصية لورا. حتى لو لعبتي دورها فسيجعلونك ترتدين نظارة طبية سميكة العدسات وشامة مشعرة على خدك. سيضحك الناس من شخصية كهذه". تدخلت في الحوار وقلت: "لدينا مثل في تركيا يقول: لو أن مجنونا رمى حجرا في بئر، فإن أربعين رجلا حكيما لن يمكنهم إخراجه"

قال "بابا": "ماذا؟".

عندما حضر "بابا" مارلين إلى وطني إسطنبول عام 1985 كي يدعم المثقفين الأتراك ـ عندما كانت تحت نظام ديكتاتوري ـ قلت له ذلك المثل بالضبط كما أقوله الآن، فقال على الفور "لقد استخدمت هذا المثل في واحدة من مسرحياتي".

ثم سأل: "هل حقا اتت مارلين إلى إسطنبول؟".

ما أن فرغت من إخباره بحكايتي، تبقى لدي بعض التركيز كي أسأله كيف عرف. أتعلم بما أجاب؟. "لقد أخبرتني فنانة المكياج الخاصة بها". فقد شرحت لها مارلين سبب الكدمة على ذقنها والتي كانت الماكيرة

Twitter: @ketab_n

تحاول اخفاءها خلال تصوير فيلم Something's Got to Give الذي لم يكتمل تصويره بسبب وفاتها. قالت لها: "حدث هذا في إسطنبول. انزلقت يدي بينما كنت أحاول الصعود على متن قارب فارتطمت ذقني به".

برز ذلك المشهد على الفور أمام عيني كما لو كان مشهدا من أحد الأفلام التي انتجتها. كنت أخبر مارلين حينها بشيء. أمكنني تذكر كل كلمة، إن لم تكن ذاكرتي تخدعني كثيرًا، أيا كان ما كنت أقوله لها كان يجعلها تضحك. الآن كيف انتهى الأمر بيننا؟ التذكر في بعض الأحيان يكون مستحيلا مثل إعادة تشغيل كاميرا سينما قديمة.

نعم، يمكنك أن تجد اسمي في تلك السجلات، أعني سجلات المصحة. كتبت الممرضة اسمي عندما زرتها. ووجدت صعوبة في تهجئة اسمي الأخير، لهذا اضطررت لأن أخرج جواز سفري. عندما رأتني مارلين قالت: "رضا بك". نطقت اسمي بطريقة جميلة اذهلتني، وغمغمت بسطور من دور "لورا":

"أعلم أن هناك مستقبل ينتظرني. لكني لا استطيع انتظاره".

اخبرتها من أي مشهد وأي فصل بالضبط يأتي هذا السطر بالمسرحية. ابتسمت.

Twitter: @ketab_n

مشاهد هذه اللحظة مسجلة بذاكرتي، هل تصدق هذا؟ تلك اللحظة سريعة الزوال التي تبادلنا فيها جملا قليلة .. قالت لي: "الزهور .. رائحتها جميلة. أليس كذلك؟".

ثم قالت فجأة: "واحد واربعون".

كنت مشدوها في البداية. لم أكن قد خلعت معطفي بعد والذي اشتريته على عجل في الطريق إلى هناك ولم أكن معتادا عليه. كان العرق يتصبب مني، زاد التوتر الذي سببه لي العرق من دهشتي عند قولها "واحد واربعون" بهذا الشكل. أو ربما تسبب العرق في أن تبدو الدهشة علي بشكل أكبر.

قالت وهي تشير بأصبع سبابتها الجميل: "هناك نافورة غريبة في الحديقة". أحيانا أخلع قبعتي كي اتذكر، وأعجب من كيفية احتفاظ ذاكرتي بهذه اللحظة الواحدة الثمينة. ظلت مارلين ساكنة وكأنها تستمع لشيء ما، مارلين أسطورة البشرية جمعاء. هناك، في تلك اللحظة، كانت وحدها معي. كان هناك بالفعل صوت، صوت جهاز يحتاج تزييت.

قالت مارلين: "عندما تمتلئ الأداة المعدنية بفوهة النافورة بالماء فإنها تسقط على الأرض. وفي تلك اللحظة نسمع صوت سقوطها، أظن لمدة اربعين ثانية. وقد تكونت بركة صغيرة في مكان سقوطها".

سكنت مارلين. فسمعنا الصوت للمرة الثالثة والأربعين.

Twitter: @ketab_n

"ربما تجمد الماء الذي بحمام السباحة. لهذا تجمعت عصافير كثيرة بالحديقة كي تشرب من البركة، لكن الغربان أخافتهم. خرجت في أحد الأيام وأخفت الغربان لتبتعد".

الآن، وأنا أحكي هذا، اتعجب ما الذي كان سيحدث لو كنت حكيت كل هذه الحكاية في وقت سابق؟ ربما كانت ستصبح مادة للمجلات. وربما وجدت طريقها إلى بعض الكتب الوهمية عن سيرة حياة مارلين، هذا كل شيء. كان من الممكن جدا أن آخذ هذا السر معي الى القبر: أن مارلين كانت هنا. أنها جاءت إلى إسطنبول، وكانت ضيفتي هنا في الجزيرة.

ثم حدث شيء غير رومانسي تماما خلال زيارتي للمصحة: أضاءت المرضة النور فجأة! كانت مصابيح فلورسنت مثيرة للاشمئزاز. أعطيت مارلين بطاقتي وشكرتها لتذكرها لي رغم قصر الفترة التي أمضيناها معا ولاستقبالي.

قالت: "وأنا ممتنة للحديث الممتع".

أردت أن أسأل: "أي حديث؟" لم يكن أحد قد تحدث أواستمع إليها، أو ربما ظنت أن حياتها كلها كانت مونولوج واحد طويل؟ رأيت أنها كانت تحاول قراءة المعلومات على بطاقتي بصعوبة بسبب ضوء الفلورسنت الذي ملأ الحجرة فجأة.

Twitter: @ketab_n

تلك كانت اللحظة التي سألتني بها: "هل تتساقط الثلوج في إسطنبول؟".

تركت مارلين هناك أمام المنظر الطبيعي للثلوج، بداخل شيء أشبه بلعبة كإحدى ألعاب القباب الزجاجية الثلجية التذكارية عندما تقلبها، وذلك تحت ضوء الفلورسنت الرديء. كان هناك رجلا يقف بجوار الممرضة التي سمحت لي بدخول المصحة. أدركت إني رأيته من قبل، ولكن أين؟ كنت قد رأيت صورته في الصحف، لكنه لم يكن منتجا سينمائيا. عندما وصلت إلى نهاية القاعة، اتضح لي أنه كارل ساندبيرج كاتب سيرة لينكولن. لم تستقبله مارلين. كان التالي بعدي مباشرة.

عندما خرجت إلى الحديقة، سمعت صوت تلك الآلة الغريبة في النافورة مرة أخرى. توقفت. استدرت ونظرت. استطعت رؤية نافذتها الكبيرة التي تعزلها الأشجار. كانت مارلين هناك.

حضرت مارلين إلى إسطنبول بعد عامين. أخبرتني بالتليفون بصوت مرهق نوعا ما أن رحلتها إلى إسطنبول يجب أن تظل في إطار من السرية الكاملة، وانها تثق بي في الحفاظ على هذه السرية. قلت لها وأنا أشعر أني أعيش في حلم من أحلام اليقظة: "لا تشكي في ذلك لحظة واحدة". عندما وضعت سماعة التليفون ساورني شك في أن هذه المحادثة قد جرت بالفعل. تذرعت بأية حجة كي أنادي سكرتيرتي للحضور إلى المكتب وسألتها: "من الشخص الذي كان يحادثني للتو". أجابت: "المرأة المتصلة

Twitter: @ketab_n

قالت اخبريه فقط إني مارلين". ثم ضحكت وقالت: "من تظن نفسها .. مارلين مونرو؟".

لا يمكن أن يكون ما حدث مجرد مزحة. لم أخبر أحدا إني قابلت مارلين، وإني زرتها في المصحة. كانت هي، هي التي اتصلت، وهي الآتية إلى إسطنبول.

اصطحبتها بنفسي من المطار. أحكمت ربط الساعة حول يدي حتى لا أظن أن اللحظة مجرد حلم. أعاني من دورة دموية ضعيفة، وصف لي الطبيب خطورة الموقف بقوله إن ارتدائي لملابس داخلية ضيقة حول خصري أو ارتداء حزام أو حتى شراب من الحرير الخالص سيكون بمثابة وضع حبل مشنقة حول رقبتي وركل المقعد من تحت قدمي.

عندما رأيت مارلين التي كانت ترتدي ضمادات طبية حول رأسها، كان ذراعي قد أصابه الخدر بالفعل. مرة أخرى كانت لا ترتدي مشدا للخصر. كانت ترتدي بنطلون يكشف عن كاحليها وقميصا ذا اكمام قصيرة. كانت تحمل حقيبة تحت ذراعها، ولم تكن تضع أي مكياج. حتى وهي بهذه الهيئة العادية كان الناس يحدقون بها. من يستطيع لومهم، فقد كانت كائنا فوق العادة.

Twitter: @ketab_n

قالت ونحن في طريقنا إلى المدينة: "لا يمكن لأحد أن يتخيل إني اتيت إلى إسطنبول". كدت أعدو وأنا على الطريق ومارلين بجواري، كدت أطير ناحية البحر، على الطريق الذي ردم "مندريس"* جزء من البحر ليمهده.

رتبت لها الإقامة بنفسي بالفندق تحت اسم مستعار. كذبت وقلت لهم: "نسينا جواز سفرها في مكتبي. سأرسله لكم غدا".

قلت: "لدي منزل بالجزيرة. تعالي امكثي لدي، ستشعرين براحة أكبر".

أجابت: "طالما أنه لا أحد سيكتشف إني في إسطنبول".

شعرت بالإهانة. كنا نجلس في صالون الشاي في فندق بيرا بالاس. كانت تستند إلى السور لتراقب الشارع وتشرب الشاي مع الحليب. قالت: "اكتسبت هذه العادة بفضل أرثر". عندما أخبرت أرثر بذلك، صحح لها "من امي. هي عادة اكتسبتها من أمي إيزودورا".

كانت مارلين تأخذ رشفة من الشاي عندما سمعت أصوات بعض الأمريكيين دخلوا المكان. تجمدت تماما من الخوف كأرنب سلطت عليه الأضواء فجأة. ظل الفنجان معلقا في يدها في الهواء بينما هي تستمع إلى الامريكيين الذين استقروا خلفنا مباشرة.

"لا استطيع أن أدعهم يتعرفون علي".

---

* رئيس وزراء تركيا في الخمسينات.

Twitter: @ketab_n

لا يمكن لاحد أن يتعرف عليها، لأنها كانت تلعب دور شخصا أخر غير مارلين مونرو. دور إمرأة خجولة خائفة غير قادرة على مزيد من التحمل فهربت من بلدها، لكنها سعيدة حيث هي الآن. لم يتعرف عليها أحد في تلك الليلة.

اصطحبتها إلى ملهى ليلي متوسط المستوى. في هذه المرة لملمت شعرها بطريقة غير معتادة. وضعت قليل من أحمرالشفاه، ولا شيء أخر. ما الذي جعلها تبدو مختلفة جدا هكذا؟ هل لأنها لم تكن تضع رموشا صناعية ومشدا للخصر وخصلات شعر شقراء متموجة؟.

قال أرثر ميلر: "لا. كان بإمكان أي شخص التعرف عليها عند أول فرصة". عرضت عليه رشفة من الكونياك وأكمل. لابد أنه يعرف أفضل مني ما حدث لها في إسطنبول. عندما صعدت الراقصة الشرقية إلى المسرح في الملهى التركي، فغر فاه مارلين في ذهول. وفي طريق العودة إلى الفندق أخذت تتمايل قليلا في فرح وتقوم ببعض الحركات التي تتذكرها من دروس اليوكليلي أو رقص هاواي التي تلقتها من أجل تمثيل فيلم "البعض يفضلونها ساخنة" خلال سيرنا معا جنبا إلى جنب على الرصيف.

Twitter: @ketab_n

في اليوم التالي أرادت أن تجرب زيارتي في مكتبي بنفسها. كان يمكن أن تضل الطريق. مارلين مونرو تتوه في إسطنبول. من يعرف أنها هنا؟ لا أحد. كل ما تعرفه سكرتيرتها "مايو ريس" أنها في رحلة قصيرة وفقط.

قال المنتج: "سوف تنهين الفيلم عند عودتك. أليس كذلك؟".

قالت مارلين: "سألني هذا السؤال مرارا وتكرارا".

في تلك اللحظات من التعاسة، تصبح مارلين شخصيتها الحقيقية وتفشل في لعب دورها.

قال شخص يسير نحونا: "هذه السيدة .. أنها تشبه مارلين مونرو كثيرا". كان مقاولا معروفا هو من تفوه بهذه الكلمات. أشاهده أحيانا في فندق بيرا بالاس. سأل وهو يكور قبعته بين يديه السمينة: "هل هي تدرك ذلك؟".

أجبت: "نعم. أنه مجال عملها. فهي تكسب عيشها من هذا التشابه". سأل الثعلب الماكر: "وهل تعلم الصحف بهذا الأمر؟". عندها تذكرت إني أعرف هذا الوجه المنتفخ من مكان أخر. كان أحد أعضاء البرلمان عن حزب مندريس، عندما صعد مندريس إلى السلطة عام 1957. وكانت صورهم تملأ الصحف والدعاية التي سبقت الانتخابات. أجبته: "نعم. الصحف تعلم ذلك".

قال وهو تقريبا يضرب على صدره وهو ينطق بهذه الكلمات: "أنا .. اتفق مع ما قاله إيزنهاور أن مصلحة أمريكا هي من مصلحة العالم. لكن أنظر إلى ما يحدث الآن".

Twitter: @ketab_n

ملت ببطء نحو الرجل الذي كان يتوقع أن اترجم ما قاله إلى مارلين وقلت له: "انها ليست أمريكية". كان هناك كتلة من الشعر اللزج في مؤخر عنقه. أدار رأسه سريعا وقال: "حقا! من أي بلد هي؟". أجبت: "أنها سويدية".

قام الرجل من على طاولتنا وابتعد عابسا وهو يطأ الأرض بقوة.

كان يجب علي اصطحابها إلى الجزيرة بأسرع ما يمكن.

كنت منتظرا بمكتبي. لقد توقفنا عند هذه النقطة، أليس كذلك؟. أصرت على القدوم من الفندق بالمدينة التي تقيم بها. رسمت لها خريطة مفصلة للطريق من فندق بيرا بالاس إلى محطة المترو الصغيرة في ميدان تونيل. رغم ذلك، لازلت أظن أنها من الممكن أن تتوه وتختفي. عندما رأيتها تخرج من محطة كاراكوي كدت أقفز من النافذة، لأنها لم تعرف إلى أي طريق تتجه. فتحت الستائر، أردتها أن تراني، لكنها لم تفعل. كان هناك اثنان من الحمقى يتبعونها مثلما تنجذب الفراشات إلى اللهب. كانت ترتدي فستانا مطبوعا عليه شكل أزهار تشتبك مع الرياح. كانت جميلة بشكل خطر.

ثم فقدت أثرها فجأة. كنت أقف عند نافذة المكتب لكن مارلين لم تكن بأخر مكان رأيتها به، ولا كانت تعبر الطريق أو تسير في الاتجاه المعاكس. فتحت النافذة في يأس ونظرت إلى أسفل، لكنها لم تكن عند مدخل المبنى أيضا. كان ذلك الشعاع القوي من الضوء الذي لا اتحمل النظر إليه خلفي

Twitter: @ketab_n

مباشرة. قالت لي مارلين فيما بعد عندما تذكرت هذه اللحظة: "كان بؤبؤ عينيك يدور كالمجنون".

قلت: "لقد انخفض ضغط دمي كثيرا وشعرت بضيق وانقباض في صدري، كما أن لدي دورة دموية ضعيفة".

تطلعت في وجهي وكأنها ليست السبب في هذا كله. ثم نزلنا الدرج إلى محل حلويات بايلان، كان هناك فرع للمحل آنذاك في ميدان كاراكوي. تناولنا طبق آيس كريم بايلان الذي يشتهر به المحل. أسألوا صاحب المحل هاري ليناس ـ إن كان لا يزال على قيد الحياة ـ إن كنت لم أظهر هناك مع إمرأة جميلة تخلب الألباب. لكن أنا غير مضطر لأن أثبت لأي إنسان الوقت الذي أمضيته مع مارلين في إسطنبول.

في ذلك الوقت كان يزعجني سؤال واحد: انت تعلم أنه بالنسبة للشركة التي تعمل لها، كانت مارلين كأوزة تضع ذهبا. لا يمكن أن تنهض وتختفي بهذه السهولة. لكنها أخبرتني بأشياء غريبة جدا لو حدث معي مثلها فسأفعل ما بوسعي كي أختفي. اتضح أنه عندما زرتها في المصحة كان المنتج الذي نفذ منه المال ولم يعد قادرا على إنهاء الفيلم هو الذي أجبرها على دخول المصحة. وفعل أشياء أخرى من هذا القبيل. تعجبت، لماذا لم يكن أرثر ميلر قادرا على فعل شيء بهذا الشأن؟. قلت لميلر، لماذا لم يفعل أحد شيئا لحماية هذه السيدة؟

Twitter: @ketab_n

لم أكن أريد لها أن تكون غير سعيدة. لأنها عندما تكون كذلك تصبح شخصيتها الحقيقية. فعندما تكون عيناها دامعتان قليلا، تبدو وكأن جسدها كله مضاء. وكأنها مغطاة بفلاشات أضواء نيون تطالع وتفحص "مارلين مونرو" وبذلك يلاحظها الناس.

قلت: "هيا. لدينا مهمة نقوم بها. ستكون مشوقة جدا".

ستصدم إذا عرفت أين ذهبنا!

إلى قصر فلوريا الساحلي الذي يقيم به الرؤساء عندما يأتون إلى إسطنبول. قد تسألني لماذا؟.

لأن آلة العرض السينمائي هناك كان بها كسر. وكنا قد أمددناهم بهذه الآلة في عهد الرئيس الثاني. فقد كنت في ذلك الوقت استورد هذه الأجهزة بجانب عملي بالانتاج السينمائي. تعجبت، لماذا كسر هذا الجهاز.

ذهبنا إلى القصر وكانت مارلين تشعر برهبة من القصر الذي يطل على البحر مباشرة. قدمتها باعتبارها زوجتي الامريكية. ثم التفت واخبرت مارلين بذلك، ورغم إني كنت أهمس فقط إلا أنها تضايقت لسبب ما. ووبختني قائلة: "لا تفعل شيء مثل هذا أبدا مرة أخرى".

جعلونا ننتظر عند الشرفة، لم يكن الرئيس بنفسه ظاهرا بالأفق، لكن كان هناك بعض الضيوف. اتعرف، لقد كانوا بريطانيين! لويت شفتي. ففي النهاية، ألم يسقط الرئيس جمال جورسيل أسيرا لدى البريطانيين على الجبهة الفلسطينية؟

Twitter: @ketab_n

على أية حال، لاحظت ابتسامة على وجه مارلين. أدركت أن سبب هذه الابتسامة حديث يجري بالطاولة المجاورة. أحد البريطانيين، وهو قصير وجريء ويبدو حزينا، بدأ يتحدث عن قائمة الطعام. كان القصر به قائمة تماما كالفنادق.

قال البريطاني: "سأبدأ بالموز".

"أنه ليس موز. أنه أناناس، عصير أناناس".

"نعم نعم. في هذه الحالة أجلب لي بعضا من شوربة اللحم".

الغريب أن تلك المحادثة الخاصة القصيرة على الطاولة المجاورة قد أذابت الجليد بيني وبين مارلين. طلب كلانا عصير ليمون وتبادلنا الحديث. قلت: "أود أن أحول رواية "آدا" أو "الوهج" لنابوكوف إلى عمل سينمائي".

أنهم يجهزون آلة العرض وكأنها مريض على وشك الخضوع لعملية جراحية. اصلحت المشكلة التي سببتها الرطوبة.

في تلك الأثناء انطلق شخص مسرعا كي يوصل بعض الصودا إلى الرئيس جمال غورسيل الذي كان يعاني من نزيف بالمعدة ولا يمكنه أخذ قيلولة منتصف النهار. أظن أنني رأيته في نهاية القاعة الطويلة في هذا القصر الذي يشبه السفن. كانت الصحف قد كتبت أنه أصيب بجلطة خفيفة.

Twitter: @ketab_n

"تهنئتي للسيدة الجميلة"، قال هذه الجملة خادم ضئيل الحجم لفت انتباهي. رأيته من قبل عندما سلمنا الكاميرا السينمائية، وعندما كنا نقوم بالصيانة الدورية لها، وعندما حضرنا لإستخراج فيلم تسبب أحد أبناء الرئيس في أن يعلق بالكاميرا. أضاف "لماذا لا تصحب السيدة في جولة بالقصر". ثم ثبت نظره نحوي. رجل غريب حقا. تصنعت ابتسامة سطحية. كانت جدتي تقول أن بعض الناس يرون بعيون قلوبهم. يعرفون أشياء قبل أن يتم إخبارهم بها، ويرون أشياء قبل أن يكشف النقاب عنها، ويقرأون الغيب.

أخذنا جولة في القصر. يا لهول القصص التي أخبرنا بها الخادم! كيف أفلت القصر يوما من العوارض التي تدعمه وارتفع فوق البحر وطار. وكيف أنه في أحد الأيام، عندما كان الرئيس مستغرقا في نوم عميق ولم يستطع الاستيقاظ، وجد الخادم نفسه مضطرا لتسلية الملحق التجاري الإيطالي. وفي أحد الأيام ضل أسد بحر طريقه ووقف على الجسر الذي يربط القصر بالبحر، ووقف وتكلم مثل إنسان، ثم خاف من الناس الذين خرجوا إلى الشرفة ليعرفوا سبب اهتزاز القصر بهذا الشكل. وبدلا من أن يغطس عائدا إلى الماء استسلم ليتم تسليمه إلى حديقة حيوان جولهان. ثم في أحد الأيام ...

قمت بترجمة كل قصة كلمة كلمة. جعلت مارلين تضحك. ليس بسبب ذلك الخادم وحكاياته غير المعقولة، لكن بسببي أنا والتجارب التي

Twitter: @ketab_n

جعلتها تمر بها. فيما بعد اصطحبتها إلى الجزيرة. اصطحبتها في أخر صيف عاشت به مارلين مونرو.

إذا كان القراء يرغبون في نصيحة -إن كانوا يتوقعون واحدة- أود أن أقول لهم إنه عندما تفقد ذاكراتك، فإنك تفقد خلودك. ثم إذا انتهى بك المطاف في مستشفى للأمراض العقلية مع وسادتك ووعاء للتبول، فلن يكون رفاقك بالغرفة شكسبير أو ايهان اسيك*. سيضعونك مع المتخلفين عقليا وعازفي الشوارع.

أعتقد أنه شرح كاف إذا قلت أن فهم السعادة والحب أمر بسيط مثل فهم ما إذا كانت السماء ستمطر أم لا. قضيت بضعة أيام على هذه الأرض تساوي العمر كله، تساوي كل شيء. الآن، اواصل اجترار ذكريات تلك الأيام ذهابا وإيابا، معتمدا على تلك الأرجوحة الدوارة المسماة بالذاكرة. تملأني نفس احاسيس الحب والسعادة التي ملأتني في ذلك الزمن.

لم تمكث معي على الجزيرة لفترة طويلة. ولكن اذا طلبت مني أن أواصل الحكي، يمكنني أن استمر. يمكنني أن أعطيك لمحة موجزة عن يومين أخرين، معرض ممتلئ بالزهور .. أسقف مزخرفة .. مرح العشاق

* مخرج ومؤلف وممثل ومنتج تركي.

Twitter: @ketab_n

في مطاردة بعضهم فوق الزهور الزرقاء المسماة "لا تنسني" إلى جوار حوض للطيور .. فراشات على شاطئ بحر الحب .. زهور أوركيد الفراشة على المنحدر المؤدي إلى البحر .. على مرأى من درج رخامي يلفه ضباب .. غزال يأكل بحديقة قصر عائلتي، أحضرته كي تشعر بالسعادة عندما تنظر إليه .. وأكثر من ذلك بكثير، أكثر من ذلك بكثير ...

سبنم اسيجوتزل

ولدت عام 1973. كتبت مجموعتها الأولى من القصص القصيرة "أسرة تعيش على سطح القمر" Hanene Ay Dogacak في سن 17. وعندما نشرتها عام 1993 حصلت على جائزة يونس نادي السنوية للقصة القصيرة، ولكن الرقابة التركية حظرت الكتاب على الفور بعد أن اعتبرته إباحيا نظرا للمعالجة الصريحة لسفاح القربى. حظى الكتاب بنسبة قراءة عالية وبأشادة على نطاق واسع. ثم نشرت مجموعة أخرى من القصص القصيرة بعنوان "من ذا سيروي قصتي" öykümü Kim Anlatacak عام 1994، تلتها أربع روايات. ونشرت روايتها Sarmasik باللغة الإيطالية والإسبانية، و Ciplük عام 2004 باللغة الألمانية. تعيش سبنم اسيجوتزل في إسطنبول.

Twitter: @ketab_n

(4)
زرّ تفعيل النسيان

نازلي إيراي

أمام المرآة؛ أمشّط شعري، وأمسّد بشرتي بمستحضر التجميل، وأضع الماسكارا الزرقاء فوق أهدابي، ثم أَهَبُ شفتيّ لمسة طفيفة من أحمر شفاهي الفاتح رقم 146.

أرتدي رداء سُفلي نصفي وصديرية من الدانتيل الأسود.

أما أنت، بحجم إصبعي الصغير، فتقبع محشوراً بين نهدي الأيسر وتجويف الصديرية؛ حيث وضعتك.

ترقد مستلقياً فوق نهدي؛ ويتدلّى ذراعك من حافة الصديرية الدانتيل السوداء.

لم يزل نعاس الصباح المتكاسل يعربد في عينيك بينما تسترخي بلا حراك في صديريتي، كما لو أنك تستريح في أرجوحة، فوق قلبي تماماً.

وأواصل استعدادي للذهاب.

Twitter: @ketab_n

"اغمض عينيك! سوف أنثر مضاد العرق تحت إبطيّ!"

وتغمض عينيك بالفعل وتدفن رأسك داخل الصديرية فيما أنثر عطر "بينكي" تحت إبطيّ قبل أن أضع المسحوق فوق عنقي وثديي لإضفاء لون طبيعي، فتعاني الاختناق والسعال والعطس.

ثم شرعتُ أحادثك بينما أرتدي سُترتي.

"هل تشعر بالارتياح في مكانك هذا؟"

"بلى.. فقط أربكتني رائحة العطر بعض الشيء.."

"رائع، فلهذا تحديداً أضعه!"

"أرماني؟"

"بلى .. هو كذلك".

أحكمتُ أزرار سُترتي تاركة أحدها حتى يمكنك التنفس.

ثم انتعلتُ حذائي، وارتديتُ معطفي تاركة إياه مُشرّعاً.

"سوف أزور صديقة لي كي أحتسي معها قدحاً من القهوة. أرجو ألا تشعر بالضجر حيث أنت".

"لا بأس .. قد أغفو قليلاً".

تركتُ سيارة الأجرة وارتقيتُ الدرج مسرعة حتى شقة جولبين، وطرقتُ الباب.

Twitter: @ketab_n

فتحت غولبن الباب ونظرت إليّ وقالت:

"تبدين على نحو أفضل اليوم؛ بل تبدين جميلة"، ثم عانقتني وقبّلتني، حتى أنني خشيتُ للحظة أن تنسحق بيننا في هذا العناق! ثم خلعتُ معطفي ودخلتُ غرفة المعيشة.

كانت أيتن قد وصلت قبلي وأشعلت لفافة تبغها، وكانت تجلس في مقعد بذراعين بجوار النافذة.

"كيف حالك؟"

"حسناً.. أعتقد أنني أفضل قليلاً.."

"هل من جديد؟"

"كلا".

"كم يوم مضى حتى الآن؟"

"عشرون.."

أقبلت جولبين من المطبخ وجلست أمامي.

"أتساءل لماذا لا يأتي ويتحدث إليكِ؟"

"لأنه يهرب.."

"علّه يرى أنه قد قال كل ما لديه بالفعل".

فقلت: "لكم هي صعبة هذه الأيام يا بنات.. ".

Twitter: @ketab_n

أيتن: "ينبغي عليكِ الضغط على الزر تفعيل النسيان! .. اضغطي عليه وتحرّري! دعيه يبدأ ميقاته. إنكِ توقفين عقارب الزمن باحتفاظك بهذا الأمل بداخلك، وتستهلكين ذاتك مع مرور كل يوم. ومع كل يوم لا يتصل بك فيه تنهارين مجدداً. استمعي إليّ! اضغطي على الزر لتفعيل النسيان!".

فقلت لها: "لا أستطيع أن أصدّق يا أيتن! .. كيف أصدق أنه يمكنه أن يفعل بي هذا؟! أو بالأحرى.. لا أصدق بالفعل.. وليس من السهل أبداً أن أفعل .."

غولبن: "لا بد أنه كان يواجه بعض المشكلات. أعني عندما ذهب.. لا شك أن كان لديه بعض المصاعب.. وربما واجه ضغوطاً من أسرته كذلك. ربما راحوا يغووونه بكونه قد أصبح طبيباً ويجني الكثير من المال، وشجّعوه على أن يجد العروس المناسبة له".

فقلت: "نعم .. ولم يستطع أن يقدمني لهم. كان خائفاً من الشائعات والقيل والقال؛ أسرته، ودائرتهم الصغيرة في البلدة، أناس مزعجون.. أليس هذا رهيباً؟ كل هذا الحب الذي كنا نُكنّه لبعضنا البعض طوال ثلاث سنوات، وتلك العلاقة المثالية .. لا يمكن أن ينتهي الأمر على هذا النحو!"

وكانت أيتن قاسية.

"ولكن هذا هو ما حدث بالفعل. لماذا ترفضين رؤية الحقيقة؟ سوف تتحرّرين فور أن تفعلي. سوف تكرهينه لأنه تركك وذهب! وليس هذا ما تستحقينه منه!".

"لكنني لا أريد أن أكرهه".

وسمعتك تصرخ من داخل صديريتي: "كفى! .. فكل هذا ليس حقيقي!"

Twitter: @ketab_n

حدّقت فيّ جولبين وايتن في دهشة، وسألت أيتن:

"ما الخطب؟"

"لا شيء. لا تُلقي بالاً لي، فأنا أشعر ببعض التوتر ولا أعرف ما أقول".

أجبتها وولّيت وجهي شطر البنفسج والسراخس الأفريقية فوق أفريز النافذة.

وأردفت أيتن: "لكم أكره الرجال! أكرههم فحسب!. التقيتُ ذاك الرجل القبيح منذ عدة سنوات. كان نحيلاً كعصاة. أعزب، ويصغرني سناً. واختطفوه مني كذلك. لم ألتفت لكونه قبيحاً طالما أنه كان يهبني راحة البال. حتى أتاني ذات يوم وزفّ إليّ خبر زواجه من فتاة ذات ثلاثة وعشرين ربيعاً. يا إلهي! لكم جرحني هذا! اللعنة عليهم جميعاً! كنت هناك أثناء مراسم زواجه.. أتجول في المكان كشبح، قبل أن أفقد وعيي وأنهار فوق الأرض. وحين رفعوني كنت أهمس (إنه زوجي).. فماذا غير ذلك كان يمكنني أن أقول؟ وظللتُ أبكي لشهور في منزل خاوٍ على عروشه، كله لي بمفردي. ودأبت على زيارة العرّافة، حتى أنها طلبت مني ذات مرة أن أحضر ديكاً أسود اللون! ثم طلبت مني مرة أخرى أن أحضر بعض الماء من الحمّام! وبالفعل ملأنا قنينة من ماء الحمّام.. إلا أن كلها محاولات ذهبت أدراج الرياح".

كانت شديدة الصدق وهي تروي حكايتها حتى أنني شرعتُ أضحك. نظرتُ إلى خصلاتها الشقراء، وعينيها السوداوين كحبتيّ خرز، وروحها الحيّة، وضحكت.

Twitter: @ketab_n

قلت لها: "كان رجلك خائناً فحسب".

وضحكت هي وسألتني:

"وكيف كان رجلك؟"

وفجأة شرعتَ تصرخ بأعلى صوتك من داخل صديريتي:

"كفى! .. اكتفيتُ منكن! .. اكتفيتُ من هذا الهراء! .. ولا أريد أن أستمع إليكن ولو للحظة أخرى!"

لم أعرف ماذا أفعل أو ماذا أقول.

وحدّقت في الفتاتان في دهشة بالغة.

لم أكن أعرف ماذا سمعتا أو فهمتا.

فقلت: "لقد بدأ قلبي يقصف بشدة. سامحاني.. فأنا أعاني من الاكتئاب، ولا أعرف ماذا أقول!"

فصرخت أنت: "أنا أعرف تحديداً ما أقول!".

ضغطتُ براحتي فوق نهدي في محاولة لتهدئتك.

ودقّ جرس الباب.

كان هناك شخصان يقفان على عتبة الباب، ونظرتُ إليهما مشوّشة. كانت شابة بصحبة شاب. بدا الأمر كما لو أنهما قد انبثقا من يوم شتاء ثلجي ووقفا أمام بابنا. وتعرّفتُ عل الفتاة على الفور. كانت أنا.. منذ سبعة عشر عاماً خَلَت. أما الشاب بجواري فكان صديقي السابق الذي

Twitter: @ketab_n

انفصلتُ عنه بعد كثير من المشاحنات وكثير من الأسى. كانا بعيدين جداً عنّي، وكنتُ غريبة عن تلك الأشياء التي عشناها سوياً، عن تلك الأيام الخوال. وسلّمتُ عليهما ببرود.

بدا واضحاً أنهما كانا يتشاجران لتوّهما. ولعلّهما قد أنهيا الحوار بسرعة خارج بابنا ليقفزا إلى حياتي من الفراغ في هذه اللحظة شديدة الاضطراب، عميقة الألم.

جلس الرجل فوق الأريكة، وكان من الواضح أنه غاضباً من الفتاة؛ أو مني أنا بعبارة أخرى. بدا منزعجاً بحق، وكانت كل حركاته تشي بهذا. من الغريب أن الفتاة لم تفطن إلى هذا. وكان الحزن يعلو وجهيهما كما لو أن تلك كانت نهاية العالم.

وسمعتك تهمس: "ما الذي يحدث؟ ومن هذا الرجل بصحبتك؟"

"اهدأ.. إنها أنا منذ سبعة عشر عاماً، مع صديقي. فلتصمت وتبقى هادئاً".

وفقط بغية إقامة حوار رفعتُ صوتي وسألت الزائرين الجدد: "كيف الحال إذاً؟"

لم تعجبني تصفيفة شعري القديمة تلك. كان أسود اللون طويلاً. وحتى شكل البنطال الذي كنت أرتديه؛ أقل ما يُقال أنه كان مضحكاً. لكم تتغير صيحات الأزياء ..

بل كم تتغير كل الأشياء. ولماذا أرتدي ذات الحذاء قصير الكعب؟ بدا جلياً أننا كنا نجوب الشوارع على غير هدى. لا بد أننا قد وصلنا لتوّنا من إسطنبول.

Twitter: @ketab_n

غريب جداً هذا الأمر؛ هذا الشخصان يحلسان قبالتي ولا أجد شيئاً واحداً أتحدث عنه معهما، برغم أنهما جزءاً من تاريخي. شعرت بالأسى، وكنت منفطرة الفؤاد!

وألفيتُ الفتاتان أكثر لُطفاً مما ظننت. وشرعتا تتحاوران عن هذا وذاك، وقدمتا القهوة للزائرين.

نظرتُ إلى ذاتي القديمة وعجزتُ عن تحديد ما إذا كنت أبدو جذابة آنذاك أم لا.

كان الرجل أحمقاً، وبالكاد يستطيع صياغة جملة مكتملة. لا شك أنه كان يعاني مشكلات خاصة؛ كان معتاداً على الشراب حسبما أتذكر. ولكن سقطت من ذاكرتي التفاصيل.

جلستُ ساكنة يقتلني الملل، فقلت:

"سامحوني، لديّ موعد في مكان آخر".

تركتُ العاشقين القديمين مع الفتاتين واندفعتُ تاركة المنزل، وبدأتَ توجّه لي الأسئلة في الطريق:

"هل كان هذا هو الرجل الذي أحببتيه؟"

"ربما .. لا أعرف. كان هذا منذ سنوات بعيدة ونسيتُ كيف كان يبدو".

"كنتِ لطيفة جداً في الماضي".

"وهل صرتُ فظّة الآن؟"

Twitter: @ketab_n

"أعني ذاتك القديمة كانت رقيقة جداً تجاه هذا الرجل.. كنتِ تُحدّقين في عينيه".

"أستطيع أن أحدّق في عينيك الآن. ماذا تحاول أن تقول؟"

"لا .. ليس هذا ما كنت أعنيه. ولكنكِ كنتِ تدللين حتى ذاك الرجل التافه".

"فعلت هذا لأنني كنت أحبه. هل تشعر بالغيرة؟"

"بل بالغضب!"

"حتى أنا كنت غاضبة. ألم ترِ هذا؛ لم أستطع حتى أن أجلس أمامهما".

مشينا دون أن ننبس ببنت شفة، وكنت أعرف أن قدميّ تأخذانني إلى "شارع الأحلام".

وما أن دلفتُ إلى الشارع حتى تناهى إليّ أصوات شخصين يطاردانني، فالتفتُ إليهما.

يا إلهي! كانت ذاتي القديمة وصديقها قد غادرا لتوّهما شقة جولبين وذهبا في إثري.

"هلا قدمتِ لنا المساعدة؟.. ففي نهاية الأمر تعرفين أكثر منّا. ثمّة شيء ما يحدث لنا. نحن نعاني!"

وقالت الفتاة: "أنتِ الشخص الوحيد الذي يفهم الأمر؛ أرجوكي ساعدينا".

دائماً أجد نفسي في أغرب المواقف!

وبدأتَ تتململ في صديريتي.

Twitter: @ketab_n

قلتُ لهما: "يا رفاق، أنتما لم تزلا صغيرين، فما الذي تتوقعانه من علاقتكما هذه؟ وعلاوة على ذلك، أنتما معاً بالفعل! اذهاب وتجولا في الشوارع، واذهبا إلى مناطق بالمدينة لن تريانها من قبل. سوق تستقيم الأمور وتتحسّن الأحوال. ربما كنت سأحاول أن أفعل أي شيء إذا كان أي وقت آخر سوى هذا، ولكن صدّقاني أنا الآن في موقف أسوأ من موقفكما بكثير".

نظرتُ إلى الفتاة ولاحظتُ الحزن يداهم ملامحها، وعينيها المنتفختين. بدا واضحاً أن هذا الأحمق المتهور - المفترض أنه صديقها - يغضبها حدّ البكاء.

ثم نظرتُ إلى الرجل، ورأيتُ أنه من النوع الذي لم يستقر بعد؛ كيف التقيا؟.. كيف تحابّا؟ والأهم من ذلك، كيف يتمكّنا من التسبّب في كل هذا الألم والحزن لبعضهما البعض؟

ألا نفعل كل تلك الأشياء التي نفعلها فقط كي نكون سعداء؟

أياً كان..

لا أصدق ما يحدث بالفعل!

نظرتُ إلى ذاتي القديمة في دهشة، وأخذتها جانباً.

"هل تحبين هذا الرجل؟"

نظرت إليّ بعينين تبرقان، بيد أن الأسى لم يغب عنهما، وقالت:

"نعم أحبه.. أحبه جداً" (كم كانت ساذجة .. ساذجة جداً!)

"وهل يحبك هو كذلك؟"

"بلى .. يحبني.."

Twitter: @ketab_n

"ما المشكلة إذاً؟"

"نحن نؤلم بعضنا البعض. لا نستطيع أن نكون معاً، ولا يسعنا الفراق.."

"ماذا يفعل هذا الشاب لكسب قوته؟"

"إنه يبحث عن عمل".

"وهل لديه أية أموال؟"

"والده ثري .."

"ماذا يعطيكي؟ .. أعني ما الذي تحبينه فيه؟ .. لا يبدو لي ودوداً بما يكفي".

أغضبَ هذا ذاتي القديمة، واغرورقت عيناها.

"أنا أحب طباعه السيئة".

"ألم يكن هناك رجل آخر لتحبينه؟"

"..."

"لماذا لا تختارين شخص آخر مناسباً لك؛ شخص يهبك السعادة..".

وهنا قفزتَ فجأة من صديرتي. وكقلب انفلت من مكانه انطلقتَ مُخترَقاً بسهم لتهبط في منتصف شارع الأحلام.

كنتَ في حجمك الطبيعي تقف إلى جواري مباشرة مثل باب صلد.

ونظر إليك الفتى وذاتي القديمة في دهشة بالغة فيما كنتَ تشتعل غضباً في التفاتك إلى الرجل لتصرخ في وجهه قائلاً:

Twitter: @ketab_n

"أنت! لماذا تصر على كل هذا العِند وتغضب هذه الفتاة؟"

فغر الرجل فاه لكنه لم ينبس ببنت شفه، حتى لكمتّه في وجهه، وانفجرت أنفه بالدماء! وشعرتُ بالخوف.

حاولت ذاتي منذ سبعة عشرة عاماً أن تتدخل، لكنك دفعتها جانباً والتفتَ مجدداً إلى الرجل:

"هل ستتزوج هذه الفتاة؟ أرجو أن تكون حسن النية في هذا الأمر!"

ولدهشتي أجاب الرجل:

"وما شأنك أنت! ومن تكون على أية حال؟ من تظن نفسك؟ فلتعتنِ بشؤونك الخاصة!"

واحتدم النزاع حيث رحتما تركلان وتلكمان بعضكما البعض؛ ضربة منه جهة اليسار في مقابل لكمة جانبية منك، بينما كنت أنا وذاتي القديمة ندور حولكما ونصرخ!

"بل إنه شأني! فأنا آخر رجل أحبّته هذه المرأة! أنا جزء من عالمها.. فهمت؟ .. ويمكنني حمايتها!"

فصرخ بدوره:

"وأنا ماضيها، فلا تقلّل من شأني أيها الغيور الأحمق! بل من الواضح أنك جعلتها تعيسة أكثر مما فعلت أنا. اغرب عن وجهي!"

"كيف تجرؤ؟! .. أنت مجرد ظلال من الماضي!"

وشرعتما تتعاركا مجددا، وقبضتيكما تطعنان الهواء جيئة وذهابا.

Twitter: @ketab_n

وانتابتني فكرة أصابتني بالرعب.. ماذا لو أن أحدكما أخرج سكيناً ليطعن الآخر؟!

ثم سمعنا صفير الحارس يأتي من بعيد، وصرخ أحدهم: "الشرطة في الطريق إلى هنا!"، وكان هذا ابن عمك آدم.

حتى فروع الأشجار ارتعدت، وساد الاضطراب شارع الأحلام.

تسلّق عاصم الجدر، وصرخ:

"يا علي أبي! اضربه، بل اقتل هذا الأخرق!"

فصرختُ به: "توقف عن هذا!"، وكان يثير استفزازك أكثر وأكثر.

ومكثنا – نحن الاثنتين – نشاهد المعركة مستمسكتين ببعضنا البعض، ونشعر بمنتهى الخزي والإحراج.

وظهرت سيارة الشرطة على مسافة، ووصل الفريق.

وعلى الفور قفزتَ في الهواء، وانكمشت، واختفيتَ مجدداً داخل صديريتي.

وترجّل من السيارة أربعة من رجال الشرطة وراحوا ينظرون حولهم.

"أين ذهب الرجل الآخر؟"

"أي رجل؟"

"ألم يكن هناك رجل آخر؟"

"كلا!"

"بلى.. كان هناك رجل آخر"

Twitter: @ketab_n

"عمّا تتحدث؟ أي رجل؟"

دفع ضباط الشرطة بصديقي السابق وذاتي القديمة في السيارة واصطحبوهما إلى قسم الشركة لأخذ إفادتهما.

وغرق شارع الأحلام في الصمت كمعتاده. وبدا الشتاء جلياً في كل مكان؛ في المُعشّبات بالقرب م حواف الجدران، وفي اللبلاب الملتف حول المنازل؛ قد حلّ الشتاء في أنقرة.

ولم يكن هناك شيء آخر يستأهل الملاحظة.

ورحتُ أتحدث إليك في هدوء.

"لم أعرف أبداً أنك عصبي المِزاج إلى هذا الحد".

"لم أحتمل .. لم أحتمل أن أرى هذا الأحمق يغضبك على هذا النحو. لعمركِ لا تدعي أي شخص يغضبك على هذا النحو في حياتكِ أبدا.. اتفقنا؟"

"اتفقنا".

وشعرت بدمعات تنهمر فوق وجنتيّ.

كلا .. لن أدع أي شخص يزعجني هكذا مجددا أبدا.

ثم اختفى شارع الأحلام واندهشت حين وجدتني أقف أمام البحر. كان يومض بزرقته ويمتد أمامي. وعرفتُ على الفور أننا كنا في بودروم، بالقرب من الرصيف. كنا في ساعات الصباح الأولى، والقليل من ضباب الصيف لم يزل عالقاً في الهواء. كنتَ تمسك ببطاقات السفر التي أبقيتها داخل جواز السفر. وأمامنا مجموعة من السائحين يقفون في طابور.

Twitter: @ketab_n

وبعد لحظة كنا نعبر الجمارك، ثم إلى واحدة من معديات "ميندر" كي نبحر إلى الجزيرة اليونانية التي تقع إلى الأمام مباشرة.

أخرجتُ من جيبي نظارتي ذات الإطار الأحمر ووضعتها أمام عيني.

وبسرعة اجتزنا نقطة التفتيش الخاصة ببطاقات وجوازات السفر، وسرنا حتى الرصيف حيث يرسو القارب.

كانت تلك هي المرة الأولى التي سافرتَ فيها، وكنت ممتلئاً بالحماسة والإثارة والرغبة. وكذلك كنت أنا. ثم ارتقينا الدرج الجانبي المؤدي إلى السطح العلوي للقارب وجلسنا على أحد المقاعد المصفوفة، حين أخرجتَ آلة التصوير كي تلتقط صوراً لبوردوم، ولي أنا، وللقارب.

وامتلأ سطح القارب بالسائحين، وشرعوا يثرثرون بحيوية.

ثم تحرك القارب.

وبعد مناورة ومراوغى استطاع شق طريقه تاركاً الميناء، مُخلّفاً فقاعات بيضاء، وتوجّه صوب "كوس".

وراحت بودروم تتضاءل تدريجياً، وغدت الأطياف البيضاء على الشاطيء غير مميزة الملامح.

وبعد فترة صرنا في مواجهة كتلة هائلة من الظلام.

وكنا قد شرفنا على الوصول إلى كوس.

Twitter: @ketab_n

نازلي إيراي

واحدة من أهم وأغزر القصاصين انتاجا في الأدب التركي المعاصر. ولدت عام 1945 في إسطنبول، درست القانون والفلسفة بجامعة إسطنبول. عملت كمترجمة في وزارة السياحة في أنقرة، وبعد أن كونت أسرة كرست نفسها للكتابة. نشرت 25 كتابا منذ عملها الاحترافي الأول عام 1967 وهو مجموعتها "أه يا سيدي أه" Ah Bayım Ah.

معظم كتبها مجموعات قصصية، لكنها كتبت أيضا مسرحيات مثل Erostratus عام 1985، وروايات مثل كتابها الأخير "بعد فوات الأوان في بيوغلو"Beyoglunda Gezersin عام 2005. حصلت مؤلفات نازلي إيراي على جوائز مرموقة في تركيا، منها جائزة خلدون تانر للقصة القصيرة عن مجموعتها "حكايات العابرين"Yoldan Geçen öyküler) عام 1988، وجائزة يونس نادي عن رواية "أحب الرجل الأنيق"Aşkı Giyinen Adam عام 2002. ترجمت ثلاثة من قصصها القصيرة إلى اللغة الإنجليزية، كذلك ظهرت مجموعة مختارة من قصصها القصيرة باللغة الألمانية.

Twitter: @ketab_n

(5)
في كآبة ويستيريا

سوزان سامانسي

لكأني بندول وقع في شرك أصوات عَصَفَت بأحلامي. ومرارة الحلق تُعلن عن ذاتها. والهمهمة المتكاسلة لمدينة لم تزل تهجع في سباتها، وعبير "ويستيريا" الغامض! كانت الشمس تتسربل عبر شرائح المصاريع، شأن الأصوات. وشعور بالغربة يكتنفني وأنا أروم في فراشي جيئة وذهاباً، كما لو أني أحاول الانفلات من جسدي، ولا أعرف ماذا أفعل بيديّ.

إنها إسطنبول.. التي تستوعب كل الأصوات؛ نهر يتدفق، وزهور الثالوث البرية، والنِكات العِرقية.. أنثرها جميعها كعِقد من اللؤلؤ على وجه الذاكرة الصلب. وفيما تُذكِّرُني رائحة اللافندر التي عبّأت الغرفة بحريتي، لا يسعُني الفرار من الرائحة النفّاذة للرطوبة التي لازمتني طيلة اثني عشر عاماً، تماماً كعجزي – في تلك الحالة بين الغفوة والصحو – عن أن أنتقل من فكرة لأخرى. لم يعبأ شخص واحد بملاقاتي عندما أُطلق سراحي! كانت ساقاي كسلاحي مقص صدئ، وذراعاي عَصاتين لا تألوان على شيء. التجأتُ لحقيبة ظهري كملاذ، وعِمدتُ إلى الذوبان وسط الحشد في محاولة لحذو هؤلاء الذين ظننت ربما كانوا الخيار الصحيح. وكنت ألتقط أنفاسي عند محطات

Twitter: @ketab_n

الحافلات، فأقرأ العلامات، ومتى اجترأتُ السؤال عن عنوان أو عن الوقت كانت الكلمات تتشابك في حلقي، بينما وَشَت عينا رجل كان يجلس على أحد المقاعد عمّا جال في ذهنه آنذاك؛ " غريبة هي لا مِراء!".

أي عذاب كان في عدم إبلاغي بتاريخ إطلاق سراحي! وعندما سمعتُ صوت السجّان قذر الفم يُعلن تسريحي المفاجيء رغِبتُ كما لم أرغب من قبل في ارتكاب جريمة تستأهل سجني مدى الحياة؛ "ثمة عالم صاخب كبير بالخارج!" وضحكت السجينات الأخريات. ثم راح عدّ السجينات المفرج عنهم يتردّد في رأسي كأشنع كلمات السباب فيما يعبرن البوابة الحديدية الصدئة، مروراً بالصنبور تتساقط منه قطرات المياه..

لا أذكر كم من الوقت مكثتُ في المحطة وقد دأبتُ على الشرود في أفكاري، والتحديق في ناطحات السحاب، واللوحات الإعلانية الضخمة، والصور التي تنتقل من الجانب الآخر لتلك الرياح الأجنبية. كنت أرقبُ الخطوات المتلاحقة لهؤلاء الذين يسيرون سراعاً مُعلّقة هواتفهم على آذانهم مع الحركة المتزامنة لأذرعهم، وشعرت بالدوار. هكذا يطلقون سراحك؛ يقذفون بك إلى الخارج فحسب. ربما لو أخبروني بالأمس عن إطلاق سراحي المزمع لأتَت أختي لاصطحابي! وعندما استقلّيت الحافلة أخرجتُ العشرين ليرة من جيبي وقبضتُ عليها وأنا أسأل، "كم الأجرة؟". بدا الاستهجان واضحاً في عيني السائق المنتفختين وهو يهز رأسه قائلاً: "يا إلهي.. هل كنتِ تعيشين تحت الأرض؟! أنتِ بحاجة إلى شراء تذكرة .. تذكرة.. قبل صعودك إلى الحافلة!". فتطوعت امرأة ذات شعر أحمر كانت تجلس في الصف الأمامي وقالت: "لديّ تذكرة إضافية"، وجلستُ إلى جوارها. رمقتني السيدة من فوق حافّة نظارتها

Twitter: @ketab_n

وابتسمت: "مممم .. يبدو لي أنكِ من الريف!"، فأينما ذهبنا تتراءى للجميع سِمات هويتنا؛ يقرأونها في أصواتنا وفي وملامحنا. وبينما كنت أركّز على صرير الحافلة وتحديق الشبان بوجوههم التي تحمل الأوشام، والأصوات التي تنفجر في العقل كقطع صغيرة من الكريستال، شرعت طيور الماضي تخفق بأجنحتها في قلبي. أغمضتُ عينيّ، ورأيتُ بعين الخيال جياداً نحيلة تجر مركبات، وطائرات تختفي في الأبدية الزرقاء.. ومنازل بأسقف طينية، وناطحات سحاب.. وبقرة تخور في مُعشّبة صفرا، وأطراف الأشجار تهتز على قمة التل. أما أنا فعلى متن سفينة. وقبالتي "برج العذراء"! وفراعنة بعيون كحيلة بكثافة يلوّحون بأيديهم. وعندما أقمتُ صلة بين العنف الذي باعَدَ بيني وبين ما هو لي وهؤلاء الذين وضعوني في هذا الموقف، أَفَقتُ فجأة وكأنني ابتلعتُ سارية. وسمعتُ الجالسين خلفي يهمسون ضاحكين: "لا بد أنها فرّت لتوّها من العيادة النفسية!"، بينما قالت لي السيدة بجانبي في صوت خفيض وابتسامة رقيقة تعلو وجهها السمح: "أكملي نومك.. أكملي نومك فحسب".

وعندما تركتُ الحافلة في ميدان تقسيم، لم أعرف في أي اتجاه أمضي. وبينما كنت أنظر حولي بعينين شاغرتين، رأيتُ أطفالاً يبيعون المحارم والعلكة وقد التفوا من حولي كالقرادة. وسألتهم عن أسمائهم؛ كانوا "روجدا، وميزجين، وويلات، وسيلان.. " وضحكت فتاة منهم وهي تصيح قائلة: "يا أختاه.. هذه اسمها أجدا.. أجدا!".

وحلّ المساء مندفعاً على إسطنبول المتكاسلة بمعدة ممتلئة! وشعرت برجفة أسفل عمودي الفقري. وكهؤلاء الذين يتوقون للحرية ولكن يخشونها في آن، قصدتُ كابينة الهاتف. وعندما صادفتُ مشكلة في

Twitter: @ketab_n

استخدام البطاقة التي اشتريتها، طلبتُ المساعدة من هؤلاء المنتظرين في الطابور. فقال أحدهم متذمراً: "إنكِ تضعينها مقلوبة". ثم شعرت بأنفاسي تتلاحق سراعاً حين همى إلى أذني صوت أختي، "مرحباً". وعندما أخبرتها أنني في ميدان تقسيم تكسّر صوتها؛ وخفق قلبي. جلستُ على المقعد بجوار بائعي الزهور. النساء الرومانيات الصاخبات بنهودهن الكبير وأفخاذهن المتأرجحة كنّ يحدثن الضجيج، ويُدَخّن لفافات التبغ، وبعيون ثعلبية يرمقن أهدافهن. ابتسمت لتبجّحهن وهن يتبادلن الشتائم كما يفعل البحّارة؛ كلمات كنت أسمعها للمرة الأولى تهتاج في هذا الظلام.

في تلك المرة الأخيرة التي رأيتُ فيها أختي كانت في حالة معنوية سيئة، بيد أني لم أسألها ما خطبها. كنت أعرف أن الأمر يتعلق بـ "سينان"، والخلاف بينهما، وعجزهما عن الاتفاق سوياً. ولكن إلى أي مدى كانت مخلصة وقادرة على الحماية عندما شرعنا العمل على قلب النظام. كانت قد قابلت سينان ذات ليلة عند أحد النصب التذكارية حيث قرأ بصوته الجهير قصائداً لكل من سيغريكسوين ونظيم. وعندما بدأت أختي تعود إلى المنزل متأخرة قامت الدنيا ولم تقعد. وطلب منها والدي أن تنضبط؛ "المدرسة أولاً ثم الزواج!". وعندما تم احتجازها ثم إطلاق سراحها، ألقى عليها باللوم كلّه. أما سينان فالتزام المكان أمام منزلنا، يكتب رسائله القصيرة ويضعها في علب الثقاب ثم يلقي بها إلى النافذة. وفي هذا اليوم انتقلا أختي للعيش مع أسرة سينان، فتبرّأ منها والدي، "لستِ ابنتي بعد الآن، فلن تكون لي ابنة مثلكِ أبداً!". وسَكَنَت أمي الأرصفة حيث يسكنون

Twitter: @ketab_n

حتى تتمكّن من رؤية ابنتها، وأرسلت لها الطعام، وحذّرتها بقولها "أياً كان ما تفعلين، احذري ألا يعرفه والدك".

تعساً للنساء اللواتي يتخلّين عن أنفسهن من أجل الزواج أو الأطفال..!!

كانت الأجواء تغشى عينيّ بالوميض وأضواء الليزر. وبينما أتأمل المسافة الشاسعة التي أُنشئت على هذا النحو الفاخر، سمتُ أختي تصيح، "أيتن!".. وتجمّدت مكاني فيما احتضنتني وهي تنتحب. خبّأتُ رأسي في عنقها وكان لها رائحة أمي. نظرتُ إلى أختي بطرف عيني وتساءلت: هل هذه هي أختي بحق؟ اكتسبت وزناً، وخفّ شعرها، وزحفت التجاعيد إلى وجهها قبل الأوان. فقالت وكأنها قرأت أفكاري: "أبدو في حالة مزرية تماما". وفي سيرِنا في شارع الاستقلال ظللتُ أتعثر، ولم أجد ما أقوله، بل وكنت مرتعبة من الأضواء والزحام. كان الشباب يمرحون من حولنا، يمشون في خطوات إيقاعية وفق الأنغام التي تطّن في آذانهم. وأخبرتني أختي أن سينان يدير عملاً جيداً في مجال النسيج، وأنه توسّع في هذا حتى صار يصدّر إنتاجه للخارج، ثم تنهّدت قائلة: "المال يغير البشر، يغيرهم كثيراً".

توقفنا أمام بناية بَدَت كقطعة من العمارة الرومانية. وبينما لقطات من الأبيض والأسود كانت تفتح الباب أمام إدراكي، شعرت فجأة أنني أعيش في زمن آخر مختلف. أما الأسقف العالية المزيّنة، والمِصعد المُعلّق، والأعمدة الرخامية، كانت كلها تخبر عن كثير. دَسَستُ يديّ في جيبيّ وصعدتُ على أطراف أصابعي وأنا أقول: "لا بد أن هذه المباني قديمة بحق". أجابتني أختي بلهجة ارتياح لا يمكن كبحها: "مائة وثلاثون

Twitter: @ketab_n

عاماً". جلستُ فوق مقعد بذراعين وسألتني أختى وهي تصيح من داخل المطبخ: "لماذا لا تغتسلين؟ سوف يجعلكِ تشعرين على نحو أفضل". وفي استرخائي تحت الماء الساخن تذكرت تلك البالوعة القذرة؛ الماء المضغوط، والصراصير الضخمة، وحين استحممتُ في الحوض. كانت أختى تعمل لدى مهندس معماري أثناء دراستها بالجامعة. وأذكر أننا قضينا ليلة ذات مرة في منزلهم حتى نعتني بالأطفال. كانت تلك المرة الأولى التي أرى فيها حمّاماً بهذا الجمال؛ وأي استمتاع كان الاستحمام هناك.

وعلى مائدة العشاء صارت أصواتنا أكثر هدوءاً ونحن نتحدث عن طفولتنا، وأيام السجن، والانقلاب العسكري. كنا قريبتين جداً ولكن كلٌ في مكان، وساد بيننا صمت خفيف جرّاء الألم الخفيّ والغضب المكبوت. ثم فتحتُ إحدى النوافذ وسمعتُ أختي تقول: "المنظر جميل جداً من هنا ولكن.. حسناً..."، وكمضيفة تحاول إنقاذ أمسيتها من التوتر. وتعلّقت عيناي بيديها الملطختين بالنيكوتين بينما ابتسمت هي وهزّت كتفيها. وعندما بكيت شرعت تتحدث مثل ساعة انفلت شريطها الحلزوني: "ليس الأمر وكأن لي حياة بالفعل يا أختاه!.. أتعلمين؟ أنتِ من تعيشين حياة حقيقية بالفعل! فألا تستطيعين أن تكوني ذاتك، وأن تستمري في علاقة فقط من أجل الأبناء، .. ثم العيش مع سينان، إنه .. ".. وطفقت عيناها تجولان حتى ارتكزتا على بقعة بعيدة، "ولم يسامحني أبي قط، حتى وهو على فراش الموت".

كانت تخبرني عن بؤس كل أصدقائها، وهجرة مجموعة منهم إلى إسطنبول، عندما دق جرس الباب، وكان سينان. ضمّني بين ذراعيه بعاطفة جياشة؛ لكم تغير! ملابسه، ووزنه الزائد، صار رجل أعمال من

Twitter: @ketab_n

الطراز الأول. وبسلاسة لا تخلو من خيلاء توجّه سينان صوب خزانة الشراب كما لو أنه يخطو للترحيب بعدوّه، ثم سأل: "وكيف حالكِ إذاً هذه الأيام؟". أزعجني وجهه المُفعم بأيديولوجية السوق وأدائه المُشبّع "بالحوكمة الاستعمارية". ولم أكن في عينيه سوى مخلوق مثير للشفقة، مجرد شخص سُرقت منه حياته؛ بل مستهلكة عن آخري. ثم قالت أختى "يجدر بك أن تأوي إلى الفراش قبلما نبوح بأسرارنا!"، ورفعت رأسها وكأنها تقول "أرجوك لا تفعل!" كان سينان قد بدأ يفقد صوابه، ويسيل لعابه، وبات لسانه أكبر من فمه، ويتحدث بالهراء. كان الإحساس بالذنب يدفعه إلى تصرفاته تلك، وكنت أعرف هذا.

جلست أختي على طرف الفراش. "إلى أين كان يمكنني الذهاب بطفلين، وبلا أي نقود على الإطلاق؟" كان لديّ الكثير لأقوله لكنّي لم أشأ إيلامها، فقلت: "فقط دعيني أحاول"، ثم غادَرَت الغرفة مسرعة، وقلتُ متمتمة: "تنقصكِ الشجاعة.. فأنتِ .. أنتِ..".

وراحت ألف ليلة ولية في إسطنبول تتردّد أصداؤها بداخلي. رُحتُ أستمع إلى همس وحدتي في سريانه صوب النافذة، وإبحاره صوب سفن الميناء المرتحلة كعرائس تغدو لملاقاة الفاتحين وتنتحب لهزيمة الأبطال.

استيقظتُ على اصوات تنبعث من المطبخ. كان البحر يهتز على طول الشاطيء المقابل ليملأ قلبي بالأمل. تمدّدت، وفكّرت في صديقاتي اللواتي تركتهن في السجن. فتلك كانت ساعة ندواتنا. ابتسمت أحتي وهي تقول: "جميل أن سينان قد غادر". وسألتها:

- "أين الأولاد؟"

Twitter: @ketab_n

- "قلّما نراهم في المكان، فهم يعودون إلى المنزل في وقت متأخر ويبرحون في الساعات الأولى من الصباح للعمل".

- "لقد كبروا".

- "ونحن كذلك".. قالت متمتمة، كما أنها تنتظر مني بعض العزاء.

نظرتُ إلى صورة ابن أختي وهو يبتسم، وسألتها: "هل يعرفون كم يتكلف الخبز؟". أجابتني بقولها: "لا بد أنكِ تمزحين" كأنها تتكلم من قلب بئر، وتفكيرها منصب على المقانق والبيض. لم أستطع أن أقول لها أن صوتها قد فقد كل أثر لجذورها. وفي محاولتها لرأب الصدع بيننا لجأت إلى عاطفة الأمومة. "تناولي شيئاً من هذا كذلك. ما رأيك لو ذهبنا للتسوق؟ أو رحلة إلى حمّامات السباحة؟" وبينما كانت تبحث عن سبب منمّق لغياب سينان وكيف أنه مثيراً للشفقة، كان ذقنها المشقوق يرتجف، فقالت: "هيا .. تناولي طعامك". خرجتُ إلى الشرفة، إلى النسيم الدافيء يداعب حزن ويستيريا. فكّرت في عدم توافق ذراعيّ وساقيّ، وشعرت بقشعريرة الخوف تثير بشرتي. ورُحتُ أستمع إلى الصوت بداخلي، ثم التقطتُ حقيبتي وهرعت إلى الشارع وكانت أختي تصيح: "إلى أين تذهبين؟ إلى أين .. ؟". مشيتُ فوق التل وأنا أستنشق التفاؤل المتسرب من البيون القديمة قِدَم القرون إلى جانب الشوارع الضيقة المرصوفة بالحصي. واستمعتُ إلى الأصوات الشعبية الإيقاع لهؤلاء الذين يستيقظون مبكراً؛ نساء ثرثارات يسقين الزهور، ومُسّنين يستمتعون بالشمس عند أبواب منازلهم الأمامية ويظلّلون أعينهم بينما يرقبون المارة. وعندما وصلت إلى جسر جالاتا كنت أحث الخُطى وقد فقدتُ الشعور بساقيّ وذراعيّ. اتكأت على سور الجسر وذاب شعوري بالحرية في

Twitter: @ketab_n

اتساع البحر الأزرق. وارتعدتُ لفكرة الجبال والمرتفعات في وطني، ثم سرتُ حتى التقاطع، وأوقفت سيارة أجرة، "إلى محطة الحافلات!".

سوزان سامانسي

ولدت عام 1962 في محافظة ديار بكر بتركيا. وقد نشرت أربع مجموعات قصصية: "تركت تذوب ليلا" Eriyip Gidiyor Gece عام1991، وReçine Kokuyordu Hêlîn عام 1993، وKiraç Daglar Kar Tuttu عام 1996، و"الصمت في الظل"Suskunun Gilgesinde عام 2001، بالإضافة إلى روايتين.

حصلت قصتها القصيرة Kiraç Daglar Kar Tuttu على المركز الثاني في جائزة أورهان كمال للقصة القصيرة عام 1997. ونشرت مجموعة Reçine Kokuyordu Hêlînhas باللغات الألمانية والفلمنكية والإسبانية والإيطالية والسويدية، ونشرت مجموعة Kiraç Daglar Kar Tuttu باللغة الألمانية. وقد نشرت قصتها "المدن المسكونة" Perili Kent في مختارات أدبية ثنائية اللغة بالتركية والألمانية.

كما نشرت Reçine Kokuyordu Hêlîn و Suskunun Gilgesindeباللغة الكردية. وترجمت العديد من قصصها القصيرة المفردة إلى الإنجليزية والإسبانية والفرنسية والألمانية والعربية والسورانية. وهي تكتب أعمدة صحفية منذ عام 1995 لصحف "ديموكراسي" و"جندم" و"أوزجور بوليتيكا"، وحاليا لصحيفة "طرف".

Twitter: @ketab_n

(6)
نهاية سولماز

نيلوفر آجيكالين

كانت إسطنبول جوهرة ثمينة لا تضاهى، تمتد كتجسيد لابداع الله في الكون. مشرقة .. مشعة .. تتألق ليلا تحت ضوء القمر.

سافرت على الطريق لمدة تسعة عشر ساعة. ستة عشر ساعة منها في الهواء الطلق، ناهيك عن ست ساعات قضيتها في مطار ميونيخ. خلال فترة فاصلة من ست ساعات رأيت القمر بدرا مرتين في قارتين مختلفتين. عندما بدأنا نتجول في أنحاء إسطنبول، عادت روحي التي كانت قد هجرتني حتى هذه اللحظة واستقرت في مكانها.

كان الأمر يبدو وكأنني كنت حلما يتحول ببطء إلى حقيقة. كأنني رغوة قهوة، على وشك أن يتم سكبي في فنجان. وشخصا واثقا كان سيخبرني بطالعي.

كم افتقدت كل شيء ...

Twitter: @ketab_n

لا، لم أكن أنوي وضع قائمة.

أكثر شيء افتقدته الطريقة التي كان كل شيء يجري بها بابتهاج دون حمل هم المستقبل، والتي كانت عرضة للتغير في أية لحظة.

لا، لم أكن أنوي وضع قائمة.

مدينة تنبض بالحياة، تجعلك تشعر بأنك على قيد الحياة، كما تذكرك باستمرار بالموت. تتركك مندهشا بما يحمله العالم مما لا يمكن التنبؤ به. مدينة تأخذ شهيقا وتطلق زفيرا، تمنح حياة وتأخذ حياة، تحمل حياة حتى نهايتها. مدينة يمكن أن تضحي بنفسك من أجلها.

كنت أتمنى لو لم أضع قائمة.

عندما أسافر خارج حدود هذا البلد يتحول المشهد كله إلى خشبة مسرح، ثم كأن المسرحية تنتهي عندما تطأ قدمي أرض بلادي مرة أخرى.

كما لو كان مواطني البلاد الأخرى يقومون بادوارهم التمثيلية منذ عهد بعيد، وليسو بشرا طبيعيين في الحياة، ولكن شعبنا كان دائما وأبدًا وراء الكواليس.

في بلدي، كل شيء حقيقي بشكل مفرط.

Twitter: @ketab_n

أنا أعجب بعابسي الوجوه الوقحين من أهل بلدي. يسيرون طوال اليوم مملؤون بالثقة، يختال كل منهم بتصرفات متعجرفة منتصرة تمتص كل ما لديه من غضب. كل منهم عبارة عن قنبلة مستعدة للانفجار. لا أحد ينحني لأحد. لا ابتسامات مزيفة. لا قوانين. لا قواعد. لا خوف.

لو أن مساعدة في متجر تعاني من مزاج سيء، فإنها لن تنظر حتى إلى وجوه الزبائن، ولن يعطيك البقال الخبز قبل أن ينهي مكالمته التليفونية. موظف الحكومة سيعاملك بجلافة وإزدراء إذا كانت معنوياته منخفضة. الناس راغبون في الجدال، مستعدون للشجار. لكن إذا تعثر أحدهم وسقط فانهم يمسكون به سريعا ويساعدونه كي يقف على أقدامه.

في لغتي الكلمات سحرية، يمكن أن تستنتج منها معاني متعددة، وليس معنى واحد. المعاني تتبدل وفقا لنغمة الصوت، حتى ابسط الجمل عرضة للتأويل. مع ذلك، تواصل الأسر تعليم أبنائها الكلمات القابعة في القواميس. ويحافظون على عاداتهم بشدة وباستمرار رافضين للتغير.

بعد كثير من الاشتياق، ينظر المرء بعين محبة، لهذا يبدو كل شيء جميلا جدا.

أنا حقا سعيدة بتواجدي في هذه المدينة الحية، بين هؤلاء الناس المفعمين بالحياة، وأن أكون واحدة منهم.

Twitter: @ketab_n

تناولت طبقا كبيرا من الكباب. لا يوجد شيء يضاهي معرفتك بما تأكله. الآن بعد أن عدت إلى مدينتي، انتهى عهد فحص قوائم الطعام في المطاعم. انطق الكلمة ببساطة فيأتيني الطبق الذي اريده. كفتة، سلطة فول، بيض مقلي، هوت دوج، عيران، دولمة، لحمة راس، فاصوليا، شوربة، كل المذاقات المألوفة.

افتقدت الزيتون أكثر من أي شيء. صوت الترام، بهجة الأطفال بداخله وهم متشبثون بإحكام خشية الوقوع. تغيرت وجوه المجانين قليلا. سقط الفاشلون والمهزومون لأعماق أكبر، مما زاد من أعداد المجانين في الشوارع، بينما اختفى البعض تماما.

كان هناك دائما تخفيضات في المتاجر. منتجات تباع بنصف السعر في كل موسم. الجميع يعرف أن السلع تباع خلال "التخفيضات" بأسعارها الحقيقية، لكنهم يميلون لابتلاع وهضم الكذبة ثم نسيانها مرارا وتكرارا. أن تعرف وتتظاهر بالجهل ثم تنسى أصبحت تقريبا قاعدة. بالطبع نفس القاعدة تنطبق أيضا على الصحافة الصفراء ووسائل الاعلام والسياسة.

أعين الرجال تتفحص الفتيات دون كلل، بينما تتظاهر الفتيات بعدم ملاحظة ذلك ببراعة.

الجميع سعداء. أو هكذا يبدو.

Twitter: @ketab_n

مكتبة الاستقلال. ياه، لكم افتقدتك. كتب الجديدة وكتب مستعملة، وكتب معاد طباعتها وخصم على اسطوانات الكمبيوتر ...

بعض الاستعدادات تجري بأقصى سرعة لبناء مركز تجاري جديد غير ضروري في هذا الشارع السحري. تمنح الرأسمالية أولئك الذين يمتلكون رأس المال الفرصة لتغيير كل ما يشتهون، ولا ينتج رأس المال الذي بيد الرأسمالي سوى رأس مال جديد. ما يحتاجه الشارع السحري ليس مركز تسوق جديد، ولكن مسرح جديد .. سينما جديدة .. قاعة معارض جديدة .. مكتبة جديدة. بالطبع أولئك الذين يمتلكون رأسمالا بالفعل ليس لديهم أدنى اهتمام بالفن أو الثقافة. كل ما يهمهم هو صنع المزيد من المال.

كنت أفترض أنه حالما سعى المرء إلى سبب كي يغضب سيكون متاحًا بسهولة، ولكن اتضح لي أن الأمر ليس بهذه البساطة. كل شيء جميل، ببساطة جميل. طوال الوقت الذي ابتعدت خلاله حاولت أن أفهم ثقافة أخرى، ولكن بسبب رفضي العنيد للتكيف، لم أشعر أبدا إني واحدة منهم.

ساعدني هذا على الرد على كل خطأ أقوم به بقولي: "وماذا في ذلك!"، وبالتالي أشعر إني أكثر هدوءًا. نعم، وجدت دائما صعوبة في التأقلم. هجرت مدينتي وكأني أهرب من شيء، واستمر شعوري بأني غريبة في ذلك المكان البعيد الذي هبطت به.

Twitter: @ketab_n

صدمت مرارا وتكرارا من ذلك الحشد من القواعد، وكلما لاحظت جهدهم لإخفاء أكبر مخاوفهم وراء الاحترام المصطنع، ومدى انهاكهم من محاولة تجنب التوتر والصراع، كلما انسحبت وتراجعت أكثر.

ما نحتاج إليه هو سرقة الابتسامة المألوفة التي تسربت واستقرت في وجوه جميع الأميركيين. ولكن للأسف هذا مستحيل. لا يمكنني أن أثق بالذين يبتسمون لأي شخص عابر، لكل المارة، لأي شخص يقف بجوارهم، لأي شخص تلتقي أعينهم به، ثم تدرك بعد ذلك أن ابتسامتهم العريضة انكمشت وفرغت مثل بالون انفجر.

لا تحتاج إلى قناع مثل هذا في شوارع بلدي. كل شخص يمكن أن ينظر إلى الأخر. هناك شيء نسميه "حق العين". أنهم ينظرون، ثم يستمرون في طريقهم. إذا قال لك أحد المارة يوما ما "نهارك سعيد" أو "مرحبا"، ستشعر بالدهشة في البداية، ثم تقف لبرهة وتفكر "هل أعرفه من مكان ما؟ أنا لم أقل له مرحبا، يا لوقاحتي"، وسينتهي الأمر عند هذا الحد.

هناك في الولايات المتحدة. مر بي شخص ما عابرا وقال مرحبا، ورددت عليه تحيته. كنت قد وصلت لتوي ذلك الصباح، وأيا كانت حالة التمرد التي كنت اعيشها، لم تكن لتمنعني بالتأكيد عن رد تحية مصحوبة بابتسامة حقيقية. ربما قلت مرحبا إلى على الأقل خمسمائة شخص قبل

Twitter: @ketab_n

أن افهم تلك التحية المألوفة هناك. الآن أقول مرحبا دون سبب محدد، مجرد تعود.

"سولماز!"

"نعم؟"

"أنه أنا!"

"نعم بالطبع، انه أنت! سامحني، فأنا شاردة الذهن قليلا، لم ألحظ وجودك ".

"لكنك أومأتي برأسك إلي مرحبة!"

"نعم فعلت ولكن أنا لم أقصد ذلك. لقد عدت لتوي، فقط هذا الصباح".

أنا حائرة ومشغولة البال قليلا، ارجو أن تسامحني. كيف حالك؟ "

"بخير. ماذا عنك؟ "

"أنا بخير أيضًا. عظيم، حسنا، اعتن بنفسك، أراك لاحقا".

"وأنت أيضا. إلى اللقاء".

لقد رحل. ماذا كان اسم الرجل، ما اسمه؟

"سولماز! سولماز!".

Twitter: @ketab_n

"نعم!"

لقد عاد. ماذا كان اسمه؟

"لقد غيرت محل سكني يا عزيزتي. لكن ليس بعيدا، على بعد شارع واحد فقط من مسكني القديم بشارع "سمسار"، خلف منزل "المجنون". تعرفينه، أليس كذلك؟ "

"هاه ..."

أنا لا ... لا استطيع التذكر ... ماذا كان اسمه؟

"أنا أعيش الآن قبالة منزل "المجنون" مباشرة، بالمبنى الأصفر، رقم 17، بالطابق العلوي. سنحتفل الليلة. سيحضر كل من عثمان وناجي وسيفو وميلدا، وهناك عازف الطبلة الجديد بالفرقة، وهناك أيضًا ...".

الآن تذكرت.

"ماذا حدث للعازف القديم؟"

ماذا حدث؟ ما حدث لحبيبي عامر؟

"آه، تقصدين عامر؟"

"أكان ذلك اسمه؟"

Twitter: @ketab_n

"عامر ترك الفرقة لكنه لا يزال يحضر، أعني انه مدعو أيضا. انضمي إلينا أيضا إذا استطعتي".

"حسنا. سأرى ما يمكنني فعله. أود الحضور، لكن لدي بعض الأشياء علي القيام بها. كما قلت لك أني وصلت لتوي، سبق أن اخبرتك بذلك. رغم هذا سأحاول الحضور".

"انه المبنى رقم سبعة عشر. أراكِ لاحقا! "

"إلى اللقاء".

مشيت طوال الطريق إلى النفق وأنا افكر بعامر. قبل شهر واحد من سفري نمت علاقتنا بشكل غير متوقع ودون قيود. أخفيت عنه العواصف التي كانت تختمر بداخلي، وهو لم يقل كلمة واحدة أبدًا. لم نتحدث ولو لمرة عما يجري بيننا، عن مشاعرنا أو أفكارنا. بدا أن الأمور ستكون أفضل بهذه الطريقة.

عندما اكتشف أني سأهاجر، إما أنه لم ينزعج ولو قليلا، أو أنه لم يفصح عن مشاعره مثلي. تعرفون كيف نجذب الجميع حتى يشبهوننا .. حسنا، ما حدث قد حدث. سأذهب مساء الغد إلى ذلك العنوان. فإذا

Twitter: @ketab_n

استدعى الأمر ان يحدث شيء أكبر بيننا، حسنا فليحدث. وإن كان لا، فقط سأواصل طريقي. ماذا يمكن للمرء أن يفعل غير ذلك؟

كان علي المرور لرؤية طبيبي. فقد تأكدت نتائج التحاليل، وقال أنه يجب علينا أن نتحدث. حسنا سأذهب لرؤيته. لكن سأحتسي قهوة من الطراز الأول. قهوة تركية، مع سكر مضبوط.

شربت القهوة.

ذهبت إلى الطبيب.

نبأ هام: لدي سرطان.

غريب ... شعرت بشعور غريب جدا.

قال الطبيب المسكين وهو يتلعثم: "أنا آسف جدا أن أقول هذا، ولكن لديك سرطان". في حين أطلقت أنا تنهيدة تعبيرا عن ارتياحي للبوح وانكشاف الأمر أخيرًا في مسألة بدت دائما معروفة لي.

هذه هي الروح المطلوبة يا دكتور. استرخ، وخذ نفسا عميقا، وأعطني التفاصيل كاملة.

لا لا، أنس أمر العلاج. ليس هناك حاجة له، أنا لا أرغب في أن أعالج.

Twitter: @ketab_n

سيكون في حالتي تبديد للدواء دون فائدة.

في النهاية، ما هي فرصي في البقاء على قيد الحياة؟ هل هناك احتمال لأن اشفى؟ أم أنك ستحاول أن تجعلني ابقى على قيد الحياة لبعض الوقت بصحبة الكثير من العذاب والمعاناة؟

هل انتشر هذا الوباء في كل مكان داخل جسمي؟

نعم.

انتشر في جميع أنحاء جسمي كله ولف نفسه حولي. إذن، فهو يحبني!

قل لي، كم تبقى لدي من وقت لأعيش؟ فقط أخبرني بذلك، وسترى أنني لن أتألم، هذا كل ما أطلبه. لا تقل أنك لا تستطيع، فأنت تعرف جيدا. وسينتهي الأمر عند هذا الحد.

يا له من طبيب! بارد ومقطب الجبين ومزعج. كما لو كان هو الذي لديه السرطان. أعتقد أنه يشعر ببعض الإذلال. فما فائدته إذا كان المريض يرفض علاجه؟. لو كنت مكانه لكنت طردتني. إلى جانب أن إيجابيتي الزائدة لابد استفزته. قال أنه لم يرى شخصا مثلي. بصراحة تامة، أنا ايضا لم أرى شخصا مثلي.

Twitter: @ketab_n

إذن سأنضم للأغلبية العظمى خلال ثلاثة أشهر إذا لم أتلقى العلاج. هذه هي الروح المطلوبة، دعنا نسمع ذلك! سوف أعاني الألم؟ نعم. بالطبع سأفعل. أنا معتادة على ذلك، أليس كذلك؟ لا يهم، دعونا لا نسهب في الحديث عن ذلك. الأمر بسيط، حالة معروفة يعاني منها كثير من الناس، انا فقط واحدة منهم.

سرطان الرئة. تماما مثل جدي.

غادرت عيادة الطبيب، اشتريت علبة سجائر، واشعلت واحدة سريعا ونفثت الدخان بعيدا. اتصلت بالشخص الذي أحبه، الرجل الوحيد الذي أعتقد أنه أحبني. لو لم أتلق هذا الخبر لتوي لكان من المستحيل أن اتصل به. أعجبتني الشجاعة التي منحتها لي معرفة متى سأموت. كلما أصبحت أكثر إدراكا، كلما زاد استمتاعي بكل لحظة.

"كيف حالك؟ "

"رائع! كيف حالك أنت؟"

"أنا أيضا رائع، رائع حقا ".

أخذت رشفة أخرى من السيجارة، وانتابتني نوبة من السعال، ثم استأنفنا محادثتنا من حيث توقفنا.

لم أذكر السرطان أو أي شيء. ما هو الفائدة على أي حال؟

Twitter: @ketab_n

لن أخبر أحدا .

أعتقد أن حالتي سوف تمنحني فهم أعمق للأشياء.

"إذن، ما الذي تنوين فعله؟".

"لا شيء. وصلت هنا هذا الصباح فقط. اسمع، سأسألك مباشرة: هل أخبرت أحدا عما حدث بيننا؟"

سألته هذا السؤال دون سابق إنذار. أكثر الاجابات صدقا هي التي تأتي بعد طرح الأسئلة الصحيحة في وقت غير متوقع. وهذا كان جوابه:

"بيننا؟ في أية مناسبة؟"

"آه، كنت أفكر بالمناسبة الخامسة "

"أستميحك عذرا؟"

سيل من اللعنات ورد بذهني، لكن لم انطق به.

أخذت رشفة أخرى من سيجارتي، كانت دون فلتر، تبغ فقط .

"ما جرى بيننا. العلاقة الخاصة!"

"آه، هذا. اسمعي، دعينا ننسى تماما أن ذلك قد حدث. لقد كنا في حالة سكر، ولم نكن نفكر بشكل سليم. كان مجرد حادث عرضي، هذا كل شيء".

"حسنا كما تقول!".

Twitter: @ketab_n

"ألا توافقيني على ذلك؟ ".

"أوافق!".

أغلقت السماعة. كذلك فعل الرجل ذو العيون الجميلة الذي تزحف ابتسامته المائلة من زاوية فمه وصولا إلى الغمازة في خده.

ثم واصل شرب الخمر.

كنا في حالة سكر، ولم نكن نفكر بشكل سليم.

لقد تهاويت من التل الإيطالي حتى حي طوفان.

إذن هكذا كان الأمر! ما حدث بيننا كان حادثا عرضيا.

كل شيء كان مجرد حادث عرضي ... وبالتالي مطلوب نسيانه.

يجب أن ننسى، ونتظاهر بأننا افلتنا دون وقوع أي ضرر.

حسنا، ما الذي سيمنعني من ذكر ذلك؟

تفوح من الهواء رائحة رياح لودوس الموسمية العذبة. كان لدي صداع خفيف ولكن لم أدعه يعكر صفوي. لدي سرطان يا صديقي! فلن يهزمني صداع!

فجأة، شعرت بتورم جلدي وبثور بدأت تنمو على شفتي. انها مرحب بها جدا أن تستقر وتنشر بقعها بما أنه لن يكون هناك قبلات من الآن فصاعدا.

Twitter: @ketab_n

حادث عرضي! كان علي أن أسأل كم عدد المرات التي يتطلبها تكرار نفس الحادث حتى لا نعتبره حادث عرضي. لابد أن لديه رأيا في هذا الشأن. يمكنه أن يحاضرك في أي موضوع مطروح لساعات وساعات. لكن هذه المرة ربما سيلفه الصمت. سحقا له ولإجابته ...

لم أطلب شيشة لنفسي أو أي شيء. أصوات نقر وقعقعة قطع الطاولة يتردد صداها في رأسي. قررت ألا أجلس، وواصلت طريقي.

مشيت عبر كاباتاش .. بيشكتاش .. أورتاكوي. شعرت برغبة في الاتصال مرة أخرى، لكن لم أفعل.

ذات يوم بعد فترة قصيرة من تلاقينا، قبلني. كانت حالة من الاندفاع والارتطام، وكان الضرر عظيما. كل شيء تبدل، وبعد أن كنا اثنين من الغرباء المتباعدين أصبحنا تقريبا كيانا واحدا. كان الوقت الذي نقضيه معا جريء ومليء بالعاطفة، ولو كان هذا حقًا حادث عرضيا، إذن لقد تبعثرنا إلى أشلاء. ظننت إني أعرفه جيدا. يا له من وهم!

Twitter: @ketab_n

تعبت، ليس من المشي لكن من أفكاري. لذلك قررت ألا ادع الندم والافكار السلبية تلتهمني، فهناك بالفعل شيء أخر يفعل ذلك بداخلي، وليس بحاجة إلى مساعدة مني.

قفزت الى سيارة أجرة وأعطيت السائق العنوان .

إسطنبول، كيف تحافظين على بهاءك بينما يتم التعامل معك بكل هذا الطيش والإهمال؟

لا يوجد شيء يضاهي علمك بأنك على وشك الموت. ستنتابك حالة ظاهرة من الاسترخاء الذهني. وستملؤك شجاعة هائلة غير متوقعة، وتصبح غير متأثرا بالحياة، ستكتسب اسلوبا ساخرا، ضاحكا من كل الاشياء سواء كان ذلك ملائما أم غير ملائم.

ليس لأن مشاكلك اصبحت أقل. لكن رد فعلك تجاه الأحداث المؤسفة هو الذي تغير.

انعطف السائق فجأة إلى شارع جانبي وعذره الغريب كان كالتالي:

"أنا آسف يا أبلة ولكن أنا حقا في حالة مزاجية سيئة. وأنت ترين صعوبة حركة المرور، فإذا علقت في هذا الزحام سأصبح مجنونا تماما! هناك شخص تافه بموقف سيارات الأجرة يصر على إزعاجي. وإذا لم أخذ حقي منه الآن وأضربه بعنف، فلن استطيع أن أهدأ. إذا كنتِ لا تمانعين،

Twitter: @ketab_n

فسأنزلك هنا حتى تستقلي سيارة أخرى. ولا انتظر منك أجرة حقا. أنت تفهمين يا أبلة أليس كذلك؟".

فهم أنني كنت اتظاهر بالفهم. أدركت الموقف سريعا وقبلت الوضع الذي كان غير مفهوم بأي حال من الأحوال، وخرجت من السيارة.

شعرت على الفور وللمرة الأولى بشعور شخص سيموت على أية حال، وليس كشخص خرج من تاكسي في بقعة سخيفة لسبب سخيف. تحولت السخافة على الفور إلى دعابة.

صعدت بضع مئات من الخطوات حتى حي جيهانغير، ومن هناك سرت ببطء حتى وصلت إلى ميدان تقسيم، ثم إلى الشارع السحري.

إسطنبول .. بينما أقف على بعد شبر واحد من فراقك إلى الأبد (أي كان معنى الأبد)، لازلت تلعبين حيلك الآسرة معي. وكأنك بحاجة إلى، وكأنك سترفضين السماح لي بالرحيل. ولكنني فعلت كل ما بوسعي. اعتنيت بك جيدا، تعاملت معك بشكل جيد بأقصى ما يمكنني. ساعدت المحتاجين الذين تمكنت من الوصول إليهم. حتى لو لم أقم حقًا بإصلاح أي شيء مباشرة، لكنني قمت على الأقل بتغيير بعض الأشياء الصغيرة للأفضل.

لقد كتبت ما اعتقدت أنه انتصاراتي على أجنحة فراشة. ورفرفت الفراشة بجناحيها وطارت بعيدًا.

Twitter: @ketab_n

يعلم الله كم مرة قطعت هذا الطريق السحري ذهابا وإيابا. أحفظ عن ظهر قلب كل بقعة، نقطة، فاصلة، علامة قطع، قوسين، كل الإيجابيات والسلبيات، والضرب، والقسمة، والكسور، وكل اسماءه الأخرى، الأسماء والصفات والضمائر تتحد مع كلمات جديدة لخلق المزيد والمزيد من العبارات داخل رأسي.

مع كل خطوة يولد حادث جديد .

كيف من المفترض أن يفهم موظف البلدية صبي يشم الغراء؟

الطفل مربوط بحبل ذا عقدة محكمة تجعله يصرخ.

والناس محدقين كما لو كانوا يشاهدون ما يحدث في نشرات الأخبار المسائية.

أنا الوحيدة التي ارتعش بينهم. صراخ الصبي من الألم يقطع الشارع مثل شفرات الحلاقة. بدا الموظف الضخم كأنه مجرد جدار فاقد الحس يبكي عليه الصبي. عندما اقتربت لمحت الدموع وقد شقت ممرات مائية نظيفة على وجهه القذر. لديه عيون صغيرة وجميلة للغاية، ورأس ذا تكوين جميل وحليق تماما.

Twitter: @ketab_n

ظل الصبي يقول مرارا وتكرارا: "أعطني علبة الغراء، أعطني الغراء، أعطني الغراء ...".

أمر بسيط ومعقول إلى حد ما. طلب بسيط: يريد شيئا يخصه. لم يكن موظف البلدية ليعرف كيفية التعامل مع الصبي. انه ملتزم بإزالته مثلما يفعل مع كشك بيع مخالف في الشارع، غير قادر على إدراك أهمية استخدام عقله وقلبه. يظن أن قوته ستفي بالغرض. سيصل ضابط الشرطة على دراجته النارية خلال أي دقيقة. لكن لو واصل الصبي البكاء بهذه الطريقة، فستهبط قبضة موظف البلدية على وجه الصبي وكأنها قالب طوب سقط من الجدار.

قلت له "حسنا، أهدأ يا عزيزي!". ثم ادركت فجأة كم اقتربت منه، ظننت أنه لن يسمعني. لكنني كنت مخطئة، لقد سمعني، أنا واثقة من ذلك. فقد توقف عن البكاء والعويل لمدة دقيقة كي يستمع ويبحث عن الاتجاه الذي اتى منه صوتي. كررت بسرعة:

"حسنا، يا عزيزي، كل شيء سيكون على ما يرام، فقط إهدأ!".

يالها من قوة تختبئ في صوت الأنثى.

شعرت بأعين الحشد كله تتجه نحوي. في مواجهة التعاطف، بدا أن الصبي المسكين خشى من تجريده من سلطته، لذلك أستجاب لصوتي غير المرحب به بصراخ أعلى. فقد موظف البلدية صبره فجأة وثار غضبه وأمسك بذراع الصبي الهزيلة.

Twitter: @ketab_n

يا إلهي، كيف انثنى الصبي مثل علبة من الكرتون بين هذه اليد غير المبالية. يا للمسكين!

قلت: "لا ..لا .. لا تؤذه، إياك أن تجرؤ على إيذاءه!".

في توقيت مثالي وفي مكان المثالي، أوقف شرطيين دراجاتيهما النارية وانتزعا الصبي من يد موظف البلدية. كانا مثل تمثاليين، يعيشان ويتنفسان. تمثالان تشكلا من نفس القالب.

أمسك الضابطان بيدي الصبي كما لو كانوا ثلاثة من الأصدقاء. وساروا به على طول الطريق حتى جدار المسجد. تبعتهم، كنت أخشى أن يضرباه. أسنده أحدهما إلى الحائط وبدأ يتحدث إليه بصوت ذو نغمة هادئة لطيفة. اقتربت بما يكفي لسماع ما كان يقوله.

"يا بني، أنت معتاد على ذلك ولديك سوابق، فلمَ كل هذا النحيب؟ أن هذا لا يناسبك. هيا، استجمع نفسك. نحن نعرف أنك قوي وشجاع. هيا، استعد اتزانك. سيقوم الرئيس بتسجيلك في المدرسة، رئيس الشرطة "سامي". يمكنك حتى أن تصبح ضابط شرطة إذا أردت. ألا تعرف "سامي" رئيس الشرطة؟. هاي أنت، أنا اتحدث إليك! أنظر إلي يا "بوراق"!

Twitter: @ketab_n

انظر إلى وجهي! الرئيس سامي ... هيا يا فتى، استجمع شتات نفسك. أنت تعرف، أليس كذلك؟".

"نعم، نعم يا آبا. حسنا أنا موافق؟".

نعم، حسنا. لقد سمعت ما أردت سماعه. مشيت مبتعدة مع بقية الحشد.

حان الوقت لاستجمع شتات نفسي أنا أيضا. شققت طريقي نحو متحف خان المولوية في خطوات سريعة. كان مغلقا من أجل التجديدات. المبنى من الداخل بحاجة إلى تجديد كامل. لماذا؟ لأنه قديم. كيف يغلقون خان المولوية تماما؟ حسنا، لقد قاموا بذلك بالفعل.

"تعال، تعال، أيا كنت. والآن أذهب وتعال بعد انتهاء التجديدات!".

جلست في الحديقة لبعض الوقت. هناك، كنت لا أزال قريبة. أغمضت عيني واستغرقت بلطف في صلاة . لاحظت في أحد الزاويا مجموعة من القطط تلعب لعبة الشجار.

غروب الشمس في ميدان النفق يشبه رائحة حلوى (أكيد*) التركية. استعراض أثير من الألوان.

---

* حلوى صلبة من السكر تباع في اناء غير مغلفة.

Twitter: @ketab_n

مشيت إلى كوليديبي. قادتني قدماي إلى ذلك العنوان الذي أعرفه. طرقت الباب وأنا أشعر بعدم الارتياح. ابتسم بمجرد ما أن فتح الباب. شعرت براحة. قبلته في مكان الغمازة بخده. وبدأت في الحديث دون تردد. فأنا في عجلة من أمري، كما تعلمون أن إحدى قدماي في القبر. لا وقت لدي لأضيعه.

قلت: "هيا، أكمل إذن.احكي لنا عن هذا الحادث العرضي".

ضحك. وكان في حالة سكر شديد.

"سأفعل، ولكنك لن تصدقيني أبدًا".

"ومع ذلك، هيا، أحك لي!"

قال: "أنا عضو في منظمة".

"لا تمزح! من هو رئيسك؟ "

"نعمت سانوجلو".

أنا التي لفني الصمت هذه المرة. يمكنك أن تستشف من تعبير الندم على وجهه بعد أن افشى معلومات سرية، أنه لم يكن يخدعني. واصل حديثه. لقد كان ضابط من الفرق الخاصة. يطلبونه من أجل مهام معينة عند الحاجة، ويذهب.

"ثم؟".

Twitter: @ketab_n

ثم يبدأ في محاصرة هدفه. لم يكن المطلوب اسقاط شخص ما. لكن كان تدمير الهدف. لا يهم أن الهدف كان إنسان. فالهدف هو الهدف بكل بساطة. قال أنه كان قاتل محترف بارع في استخدام السلاح. يمكنه أصابة عين ثور من مسافة ثلاثة كيلومترات. كان قائده شخصية شخصية مهمة. واحد من من أهم رجال الدولة.

"ماذا يستفيدون من سكير مثلك؟"

قال: "نحن جميعا مخمورين، كلنا في حالة ثمالة".

لقد كسر ذقنه خمس مرات. كنت أعرف بشأن كسر ذقنه، لكن ظننت أنه سقط من على دراجة عندما كان طفلا. كان هذا ما قاله. وكان يكذب. كان عليه أن يكذب.

إذن من كان هدفه؟

"الأكراد، الأميركان ... لا يهم حقا. أي شخص يسبب قلقا للدولة".

ربما كان يكذب، وربما كان يقول الحقيقة. بدا الأمر أكثر مثل الحقيقة. كان لعاب السكارى يسيل عند زاوية ابتسامته الملتوية وهو يقول أنه اغتال أشخاصا. لو كانت نيته خداعي، فلماذا بحق السماء يختار أن يفعل ذلك بهذه الطريقة؟

Twitter: @ketab_n

بدأت أراه بشكل مختلف. بدا الآن أكثر واقعية. نغمة صوته أصبحت أكثر طبيعية وأكثر غلظة، سلوكه تغير قليلا. تشنجات مترددة ظهرت على وجهه وارتعاشات غريبة سرت عبر جسده. وجوده المضطرب اكتسب معنى في عيني. عندما نرى أن حقيقة شخص أكبر بكثير مما ظننا فإن حجم الإثارة تجعلنا ننسى كل شيء لدقيقة.

كيف يمكن للمرء أن يتكفل بالانفاق على حياته من خلال العزف على الطبول في فرقة بلا اسم مرتان في الاسبوع في بار بشارع جانبي؟ إذا حكمنا من خلال الحياة البائسة التي يوحي بها هذا الوضع، فإن عدم معاناته من أي قلق بشأن الامور المالية رغم كونه عاطلا، تجعل القصة التي يرويها تلائم الرجل تماما.

أنه يعمل كسلاح حي يتنفس يتم استدعاءه عند اللزوم. يتعرف على الهدف ويحدده، ثم يقضي عليه في زاوية مهجورة من المدينة. حياة لن تفضي أبدا إلى أي مكان. الطريقة التي كان يختفي بها أحيانا ثم يظهر وكأن شيئا لم يحدث، كيف كان يسقط ثملا غير قادر على الوقوف على قدميه، وكيف كان يبدو متزنا وبصحة جيدة عند عودته. كم كبير من التفاصيل تحيرك.

وبمجرد عودته يبدأ في شرب الخمر مرة أخرى، ولا يتوقف حتى يكف نظامه كله عن العمل.

Twitter: @ketab_n

"ماذا يستفيدون من شخص سكير مثلك؟" سألته مرة ثانية رغم إدراكي أن السؤال ضايقه.

"اسمعي ..." قالها بلهجة هادئة تليق بقاتل محترف مما فاجئني مرة أخرى.

"ثلاثة أيام. يأخذونني إلى مستشفى كوسلو الأرمينية لثلاثة أيام حتى أكف عن الشراب وينسحب اثره من جسمي. حقن وأدوية .. أنتَ تعرفين الوضع .. (أعرف). ثم يصطحبوني في تلك السيارة مباشرة الى المعسكر. ويحقنوني بحقنة كاملة من سائل أحمر فأفقد الوعي على الفور.

عندما استعيد وعيي ثانية أكون لازلت في نفس اليوم. ثم يأخذوني إلى تلك الأرض لأجري فأبدأ الجري، لكن انهار قبل أن أكمل كيلومترا واحدا. وعندما اسقط يبدأون في ركلي حتى اضطر إلى النهوض. انهم يركلونني لمصلحتي، حتى استمر، حتى اتذكر أن لدي مهمة، أنهم أناس يهتمون لأمري، فأنا شخص مهم، اشعر بذلك كل دقيقة. في اليوم التالي، يحقنوني بنفس السائل في الوريد. هذه المرة أنام أفضل قليلا وأجري بشكل أفضل عندما استيقظ.

رغم ذلك أظل اسقط. اسقط ويركلونني ثانية. أنهم يساندونك. كل شيء من أجل مصلحتك أنت، من أجل عدم انقسام الأمة. نفس الروتين يحدث عندما استيقظ في اليوم الثالث. حقنة من السائل الأحمر. أعلم أنك تتساءلين ما هذا السائل. صراحة أنا لا أعرف.

Twitter: @ketab_n

من يهتم على أي حال. لا يمكنك أن تسألي، وحتى لو فعلتي، فلن تحصلي على جواب. ولكنه لمصلحتك، وهذا ما يجب أن يجعلك راضية. في ذلك اليوم لا أسقط عندما اجري. أكون جاهزا خلال اسبوع. يحددوا لي الهدف وأذهب واقضي عليه. وهذا كل ما في الأمر. إذن، فلو أن شخصا مثلي نال نصيبه من الحب والرومانسية، فلن يكون الأمر سوى حادث عرضي يا عزيزتي. وانت حادث عرضي".

"لا أصدق ما تخبرني به".

كان علي أن أقول هذا، رغم أنني أصدقه بالفعل. قلت ذلك لأني احتاج إلى معرفة المزيد. احتاج أن أعرف كل شيء.

"سأتصل بهم هنا والآن من أجلك، لكن ذلك سيكون تصرفا خاطئا وغير متوقع".

أجبت: "هيا .. هيا افعل، اطلب منهم أن يأخذوني أيضا. ألا يحتاجون إلى إمرأة؟ أراهن أنهم يحتاجون إلي. ولم لا يحتاجوني؟ أريد أن أخدم الأمة أنا أيضًا".

"هل بإمكانك قتل إنسان؟"

"لا يمكنني. لا أعرف. ربما يمكنني، إن كان ذلك سيحقق الخير لأحد.."

Twitter: @ketab_n

يا للجهل فيما قلته للتو. ما الخير الذي يمكن أن يتحقق لأحد عن طريق قتل إنسان؟

قال كأنه يستطيع قراءة ذهني: "أنت لا يمكنك أبدا قتل إنسان!".

قلت بعناد: "بل أستطيع". لم أكن أكذب. أستطيع على الأقل قتل نفسي. ولكن ذلك لن يكون ضروريا لأنني أصبت بالفعل بالسرطان .

مرحى! لدي سرطان. حسنا، أستطيع أن قتل شخصا آخر؟

عندما طرأت هذه الفكرة بذهني، أخذت صور الأشخاص الذين خانوني وأذوني وعادوني تتابع في مخيلتي. لكن ليس منهم من يستحق العناء.

هل يستحق أي شخص حقا كل هذا العناء؟ بالطبع! لنفترض على سبيل المثال أن حربا اندلعت والعدو اجتاح أراضينا. فسأمسك ببندقيتي وأرديهم جميعا واحدا تلو الأخر. سوف .. لا، لن أفعل! أنا من النوع الذي يفضل المذبحة الجماعية. لا استطيع قتلهم واحدا تلو الأخر.

ترى .. هل أنا قاتلة محتملة؟ لا، لست كذلك. لكن ماذا لو حاولوا خداعي؟ حينها لن أود أن أهزم. كما لو كان يهم. لم أتمكن من إقناعه. كان يقودني إلى الجنون. من منا لا يريد أن يكون لديه مهمة سرية، للعمل من أجل بلاده وتقديم خدمات كاملة؟ من؟

Twitter: @ketab_n

قلت له وأنا اتوسل بطريقة طفولية "هيا، من فضلك، أريد أن أكون جزءا من المنظمة أيضا!" كنت اتذمر مثل طفل يلح في طلب آيس كريم.

بدا جذابا للغاية.

بدأت أشرب معه. شربت وشربت ...

أصبحت في حالة سكر شديدة. أذكر أني نسيت تماما للحظة أين أنا وماذا أفعل.

فقدت الوعي.

عندما استيقظت في الصباح كان يجلس عند جانبي من السرير يمسد شعري.

قال لي: "أنتِ طفلة .. مجرد طفلة!".

"هل صدقتي قصتي؟ أنتِ ساذجة جدا. أنسى كل ما قلته لكِ، كنت فقط اختبرك لأرى مدى سهولة خداعك".

هنا فقدت أعصابي، وأينما كان مكانه برأسي، غرق في ظلام دامس. أصبح غير مرئي، وغير ملحوظ أيضا.

أن أكون ساذجة مخدوعة، أصدق واقتنع وأحاول التفهم وأقبل واحترم واتسامح ويكون لدي صبر وتعاطف .. كل مشاعري الجيدة طارت مع الدخان، ذهبت مع الريح، تفرقت، تلاشت، اختفت.

Twitter: @ketab_n

ربما كانت لدي فرصة معه.

أصغر سبب سيكون كافيا بالنسبة لي كي اتمسك بالحياة مرة أخرى.

ولكن ليس مع كاذب، مستحيل! أبدا ليس ثانية.

وضعت قبلة أخيرة على غمازته ...

وقلت: "وداعا، فقط تخيل أنني مت في ذلك الحادث العرضي".

"وداعا".

غادرت، ومشيت بعيدا.

تجولت في الشوارع الجانبية للبرج، وبينما كنت أحدق بالمباني القديمة التي تفوح منها رائحة التاريخ، كنت أفكر أن الله وحده يعلم كم من الناس على مدى قرون ملأتهم مشاعر مماثلة لمشاعري خلال مرورهم بالمكان ومرورهم بالحياة.

أنا أيضا سأنضم إلى ذلك العالم المجهول خلال وقت قصير.

ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر، ماذا يهم بحق الجحيم؟

لدقيقة، شعرت أن هذا الوقت المتبقي طويل.

Twitter: @ketab_n

غيري هذا التفكير يا عزيزتي، غيريه. الحياة هي ما تصنعي أنتِ منها. مشيت طوال الطريق إلى كاراكوي، ذهبت إلى كوبريالتي وجلست في مقهى، واسندت ظهري قبالة البوسفور وأخذت اراقب فندق بيير لوتي.

هناك من يعيشون ويموتون بإسطنبول دون أن يخطون بأقدامهم في متحف آيا صوفيا أو مسجد السليمانية. هناك من يعيشون حياتهم بأكملها دون رؤية قصر توبكابي أو قلعة ييديكولي.

رغم أننا نعيش هنا في هذه المدينة التي تعد عتبة الحضارات، إلا أننا أصبحنا عالقين مثل بطاقات بريدية في ألبوم التاريخ. نحن في ممر التقاء البحار، إذا لم نكن ممتنين لكل ما نملكه، فلن نلعب سوى دور الضحايا.

هذه هي الأرض التي نشأت وترعرعت بها كل مخلوقات الحضارات الأناضولية وخطت عليها من العصور القديمة إلى اليوم.

لم اعتقد أبدًا أن هناك مثل هذا الفارق الكبير بين محاولة ألا تكون تعيسا وأن تكون ببساطة سعيدًا.

كل شخص لديه طريقة مختلفة لإدراك الأشياء. البعض يستخدام ذاكرته البصرية، والبعض السمعية، والبعض يتصرف وفقا لذاكرته الحركية. لدي ذاكرة غريبة للروائح. وهذا قد يكون سببا آخر لحماستي

Twitter: @ketab_n

بشأن هذه المدينة. تلك الرائحة. ما هو الحب غير مجرد رائحة على أي حال؟ أحب حبيبي عن طريق استنشاق رائحته. اذا كان بالقرب مني وأنا استنشق رائحته، إذن أنا واقعة في الحب. اذا لم يكن معي، أكثر شيء افتقده به هو رائحته.

لماذا أنا شخص وحيد؟

لا تفكري في ذلك. اطردي الأفكار السلبية من عقلك.

انه شعور رائع ان تعرف انك ستموت. كلما كان الوقت أقصر كلما زادت سرعتك. أقصد سرعة الأفكار. فمازلت في كوبريالتي، ولم أحول عيني عن بيير لوتي.

عند لحظة معينة ذرفت دمعتين. فقط دمعتين، لكنهما كانتا حادتين وسريعتان ودافئتان ولازعتان. وهكذا حررت نفسي من الغضب وحاولت التركيز على الأفكار الإيجابية. يا لها من حياة غريبة. كلما عشت أكثر، كلما اكتشفت مزيد من المفاجأت تخبئها لي الحياة.

أصادف وأقابل وأحس وأفهم العديد من الناس المختلفة. ولا أزال أجد كل شخص وكل شيء صعبا. أنا فقط لست قادرة على إتقان فن التواصل. لست قادرة على القفز على أرجوحة الأقدار أو الدخول إلى حديقة ملاهي الفاسقة.

Twitter: @ketab_n

كلما أخطو بداخلها أجدها مكتظة. كل الألعاب والأماكن تم شغلها، الزحاليق والأراجيح وقطار الملاهي وأرجوحة راقصة البالية الدوارة والسلاسل الطائرة والسيارات المتصادمة، كل شيء حتى مرايات السيرك (لم اتوقع ذلك أبدًا، حتى المرايات)، كل شيء تم شغله.

الناس يظهرون حتى في خلفية المرايات المنثنية المضحكة ينظرون إلى أنفسهم ويضحكون أيضا. يقعون ويقومون ويواصلون الضحك.هناك طوابير لكل جولة. الطوابير منتظرة فاقدة للصبر بحيث لا تدع لمن يقومون بجولتهم الفرصة للاستمتاع. هذا المكان الذي يشبه حديقة ملاهي من الخارج ما أن تخطو بداخله حتى تكتشف أنه ليس إلا ساحة حرب، الاختلاف الوحيد هو استبدال القتال باللعب، يتقاتلون بهدف اللعب.

يا له من وضع غريب ومخجل ومقرف. الجميع ينفثون نار الغضب. كل واحد ينهي دوره يندفع ليقف في الطابور مرة أخرى، مرارا وتكرارا. بعضهم بعد نفس الجولة، وأخرين يواصلون تغيير الجولات. المهم أنهم جميعا يرغبون في استمرار اللعب.

انهم لاعبون.

بما أنهم ليسوا أطفالا، فإنه يمكنهم إخفاء غضبهم. لو أننا تخيلنا أنهم ارتدوا جميعا إلى سن السابعة وتجمعوا معا في حديقة الملاهي هذه،

Twitter: @ketab_n

فسيشبه المشهد الذي سنراه ساحة معركة. سنندفع إلى اللعب. يا لها من فكرة بسيطة.

لن يكونوا راضين أبدا. فاللعب ليس كافيا لأي منهم. حتى عندما يكون مجرد البقاء على أرض الملعب كافيا، لا يكون كذلك بالنسبة لهم. فلديهم هدف واحد فقط: اللعب مرة أخرى، مرارا وتكرارا.

في الريف الأخضر الخصب المجاور للحديقة، تطوف فقط أرواح اللاعبين المتوفين بجوار من هم مثلي ممن يرفضون الانضمام إلى اللعب، ونحن قليلون جدا.

تخيل مدى الصعوبة بالنسبة لشخص يبحث عن أحد يرفض الانضمام إلى اللعب لكسب اصدقاء في حديقة ملاهي. ربما من الممكن ابتكار لعبة جديدة مع صديق مثلي، غير أن حياة مليئة بالمصادفات التي لا يعرفها إلا الله، لن تمنحك أبدا ما تتوقع.

ولكن ماذا يمكنني أن أقول، ضربة الحظ هذه لا تصل أبدا. وإذا كنت حقا تريدها، يمكنك أن تكافح باستماتة. لو أن (الأقدار) نفسها، تلك الفاسقة حارسة الحديقة، يمكن أن تظهر نفسها، ولا تظل مختفية جدا، ربما يمكن أن أعقد صداقة معها. وأجعلها شريكتي في لعبة جديدة لا يعرفها أحد غيرنا، ونلعب، لكنها لا تفعل ذلك أبدا.

Twitter: @ketab_n

أعتقد أن أفضل شيء هو أن أجلس تحت شجرة أغسطس، وأترك الأمل حتى يذبل، وأبدو خالية من أي توقعات. ربما حينها فقط تمل (الأقدار)، وتغير رأيها وتختار اللعب معي. ليس الأمر إني لا أشعر بالأسف نحوها حقا. كل الآلات المختارة بعناية والتي وضعتها في أماكنها بإتقان، يأتي البشر بطموحاتهم وغرورهم وذواتهم البدائية وخطاياهم يقتحمون مكان التسلية والملاهي هذا.

مشاجرات وصراع ومشادات لا هوادة فيها ... لاعبون لا يريدون ترك لعبة السلاسل التي يتشبثون بها، يتصادمون مرات ومرات في لعبة العربات المتصادمة ويتصادمون ثانية لأنها لم تتحطم، يجعلون الأراجيح تصاب بالدوار، ولعبة دوامة الخيل تصاب بالغثيان، يصيبون السلاسل بالجنون والرعشة، ودائما يريدون المواصلة والاستمرار.

يا لوحدتي في هذه الحديقة.

لو أن شخصا ما يأتي ... ربما صديق. لو استطعنا صنع لعبة جديدة ونلعب معا.

كان هناك شخصا. نعم، نعم. من كان؟ من كان؟

حان وقت فحص نوتة تليفوناتي.

ولكن أولا يجب أن أجد شجرة اغسطس وأعانقها لبعض الوقت.

Twitter: @ketab_n

قبل أن أموت، لابد أن يعدني شخصا بأنه سيزرع شجرة أمام قبري.

سأعود إلى البيت واغتسل وانتعش وارتاح. لا، ليس لدي نية الاستعداد للموت. على العكس من ذلك، أنوي الاستفادة من كل أنواع الأنشطة الاجتماعية التي كنت اتجنبها حتى اليوم. دعنا نرى ما فاتني.

سوف أبدأ حملتي الاستطلاعية من خلال رؤية بعض الأصدقاء القدامى. كان الموعد الليلة، أليس كذلك؟ الحفلة التي في بيت الرجل الذى لا استطيع تذكر اسمه. المبنى المقابل لمنزل "المجنون" رقم 17.

لم يعد لدي أي توقعات من الحياة؛ دعنا نرى ما تتوقعه الحياة مني.

ذهبت.

كانت حقا ليلة غريبة.

هل يجب أن أروي الحقيقة؟ ما الفائدة من ذكر حقيقة تجاهد لإخفاء أكاذيب ولا يمكنها أن تكون كافية أبدا؟ الأفضل هو تعزية المرء نفسه بالأكاذيب.

التقيت شخص جديد تماما. شخص كان خائفا جدا من نطق كلمة "الحب". شخص يمكن القول أنه تألم. قلبه به ثقب وجروح، عمره

Twitter: @ketab_n

يذوي، دوره انتهى. شخص عمل بجد وأيضا تسكع. لكن يبدو أنه لا يبقى متبطلا تماما عن العمل إذا فقد وظيفته.

كان ذكيا. سبق أن قلت لك أن لديه ثقب في قلبه. تلك كانت صفة مميزة إضافية. أنه يتجول ولديه ثقب بقلبه. لا شيء يحدث ظاهريًا، غير أن عليه فقط أن يكون حريصا بعض الشيء أحيانا. هل أسمعكم تسألون بشأن ماذا؟ أنا لا أعرف، حريصا بشأن كل الأشياء حقا.

يجب عليه ألا يرهق نفسه، يجب ألا يجري، يجب ألا يتشاجر. ولكنه عصبي المزاج قليلا، ولديه غمازة في وجنته أيضا. في تلك الليلة أدركت أن كل الرجال الذين اهتم بهم لديهم غمازة بوجنتهم. أثناء حديث ذلك الرجل الجديد "سامي" عن أشياء لم أكن استمع إليها، كنت ارتب في ذهني قائمة عشاقي. أنه رقم محرج بالنسبة لمجنونة جامحة من جيل الثمانينات:

قائمة قصيرة جدا من سبعة رجال، وجميعهم لديهم غمازات. اندفعت إلى المطبخ لدقيقة واطلعت واحدة من أقدم صديقاتي على هذه النتيجة. فقالت: "وتظنين أنك يمكن أن تنصحينني بشأن الرجال، أذهبي من أمامي"، وضحكنا.

Twitter: @ketab_n

انذرتني ونحن نغادر المطبخ "فلتقيمي علاقة مع سامي الليلة. ماذا تنتظرين؟ أنا جادة، لا تأتي لي غدا إذا لم تبلغ قائمة عشاقك رقم ثمانية بنهاية هذه الليلة".

من الواضح أن الرجل معجب بي حقا.

جلست بجانب سامي.

رياح باردة تهب في الطريق شكلتها ابتسامته جامدة، وامتدت من زاوية فمه على طول الطريق إلى خده. وجدت ذلك مشوقا. بنظرة باردة حجرية ونبرة بسيطة هادئة أخبرني أنه فقد معنى الحب. وأنه لم يعد قادرًا على التعرف على الحب. كنا جميعا تحت تأثير الليل.

كانت هناك جولات لتدخين سجائر الماريجوانا تدور بين الضيوف، لكننا فوتنا دورنا. فهناك ثقب في قلب سامي، أما أنا فلطالما عانيت من صداع برأسي. أنا جادة، لقد انتهى أمر المخدرات بالنسبة لي. مللت، وأقلعت عن تدخينها. فقد تحول خلط الأعشاب ولفها وتدخينها إلى تعذيب بعد فترة قصيرة.

الى جانب أن البضاعة الحالية أصبح من السهل الوصول إليها، ورخيصة بشكل لا يصدق في كل شيء، وانخفضت جودتها وتغيرت

Twitter: @ketab_n

مكوناتها. لا ينبغي أبدا أن تكون المتعة رخيصة بهذا الشكل. لا ينبغي أبدا أن يكون من السهل الوصول إليها. أنا لا أتحدث عن الإدمان، أنا أتحدث عن الجشع. كانت الغرفة مليئة بالدخان.

شعرت وكأنه حدث بيننا بعض التقارب. كأننا فهمنا بعضنا البعض بشكل أفضل. تحولت الرياح القاسية للابتسامته الباردة للرجل ذو الغمازة أثناء حديثه إلى برد لطيف ونسيم خفيف.

الأطفال يبنون ويطورون علاقاتهم أثناء اللعب، مستقبلهم وخطواتهم وأهدافهم ومساراتهم وقراراتهم وشخصياتهم وأفكارهم ومشاعرهم وعلاقاتهم مع البشر والحيوانات والأشياء.

قال: "لم أكن أبدا راعي بقر عندما كنت صغيرا. كنت دائما هندي أحمر".

كان هندي أحمر، وكذلك أنا. لقد نشأت في ملجأ للأيتام.

غرقت في الصمت. كان يجب علي القول "وأنا أيضا"، لكنني لم استطع. فلو كنت قلت ذلك لكان يجب أن اتبعه بقائمة كاملة من حقائق أخرى: أعاني من السرطان .. عقيمة .. ابنة غير شرعية ... لم يكن هناك حاجة لإفساد هذه الليلة الجميلة. إلى جانب أنه لم يكن يسألني على أيه حال. كان يخبرني بقصته، وأنا فقط استمع.

كان هندي أحمر ونفدت منه كل البليات. هندي أحمر في وضع صعب لا يستطيع الدفاع عن نفسه. من رأى بليات يلعب بها الاطفال في ملجأ؟ كلها تختفي بمجرد ظهورها. كانت اللعب عبارة عن كنوز، كنوز حقيقية.

Twitter: @ketab_n

ذات مرة قايضت كعكة وجبة الغذاء قبل أسابيع من موعد تقديمها لي من أجل اللعب ببلية لمدة دقيقتين. على أية حال، أخبرني يا ذا الغمازة، أحك لي، لكن من فضلك واختصر التفاهات.

لم يهتم أبدا بالفوز! الآن، هذا معقول، يمكنني الانتماء لهذه الفكرة. وعندما قال "الألعاب تُلعب كي نخسرها" بُهت. أن هذه الفكرة اليائسة البالية المهضومة التي يسخر منها الجميع بشدة، هي فكرتي أنا أيضا.

أنها المرة الأولى التي التقي بها شخصا يتفق معي في هذه الفكرة. اتساءل هل يجب أن اقفز واقبله. اعتقد أنه من الأفضل أن ابقى في مكاني، لأن الليلة شارفت على نهايتها وقريبا سنسقط في الشارع مثل حبات مطر سقطت من نفس السحابة، وتناثرت في بقع مختلفة.

ياه! انتبه! انها تمطر بغزارة، دعنا لا ننزلق ونسقط على الطريق. الطرق خطرة في هذا الطقس. عرض أن يوصلني عندما أدرك أني أريد العودة إلى منزلي. ميلدا سمعت ذلك أيضا وغمزت لي ضاحكة.

قال جوي الذي لا زلت لا أذكر اسمه الحقيقي "هيا يا شباب. إلى أين أنتم ذاهبون؟ لا زالت الليلة في بدايتها! لا يزال لدي مفاجآت رائعة للجميع".

Twitter: @ketab_n

توقفنا لدقيقة. أدركت بسرعة ما كان يحدث. حتى لو لم أستطع تذكر اسمه، إلا أنه من خلال مراقبة سلوكه وكلماته تمكنت الى حد كبير من تخمين أي نوع من المفاجآت يمكن أن تأتي من جانبه.

جوي ومنزله كانا دائما متواجدين، منذ أيام جنون شبابنا المبكر. انتقل كثيرا من منزل إلى أخر، مما يدل على أنه من عائلة ثرية جدا ولكن لم أرى له أبدًا أم أو أب. دائما ما شعرت ببعض الآسف نحوه. ولكن لا اعتقد انه شخص طيب.

كل إنسان يحصل من الحياة على ما يستحق، ولكن في بعض الأحيان يضع القدر الناس في محن غريبة، ويعرفهم بالأشخاص الخطأ ويعرضهم لاختبار. أولئك الذين يتبعون طريقهم الخاص يفوزون، وأولئك الذين يتبعون طريق الشيطان لا يخسرون لكن يجدون أنفسهم في مسار ذو نظام معقد اشبه بالمتاهة.

تماما كما توقعت، سحب جوي شيء جديد من مخبأه السري. قفزت ميلدا وانتزعت من يد جوي صخرة بيضاء باهتة اشبه بالحجر الجيري في حجم كرة تنس الطاولة ولكن ليست في نعومتها، هذا هو ما سحبه من الصندوق السري في الدرج.

Twitter: @ketab_n

"ما هذا بحق الجحيم يا رجل؟"

كان جوي دائما ينزعج من ردود فعل ميلدا السريعة مثل السنجاب. وأنا انزعج من ضعفها تجاه المخدرات. كما إنني غاضبة من استغلال جوي للجميع، الجميع على الاطلاق ممن لديه هذا الضعف. أنه هو من تسبب في إدمان إسو للهيروين. ثم ماذا حدث؟ تم العثور على الفتاة في مكب للنفايات وفلت هو من أي لوم أو عقاب.

أنتزعت الشيء الذي يشبه الحجر من يد ميلدا. ففي النهاية، كنت الوحيدة غير الثملة بينهم.

أطبق جوي يده بقوة. شعرت بعناد، سحبت الحجر بعيدا.

"على محمل الجد، ما هذا؟"

"أعطه لي وسأقول لكم!"

"قل لي وأنا سوف أعطيه لك!"

وفي الوقت نفسه، كنت أحاول أن اختبر ذلك الشيء الذي امسكه بيدي.

قال: "توقفي عن الضغط عليه، سيتهشم! أوه، سوف أعيده لك يا فتاة! اسمعي، كفي عما تفعلين، هذا يكفي! "

كنت أقرب قليلا لسامي. نظرت إلى الشيء في يدي، وبينما كنت اقربه من أنفي رأيته يحرك فمه بتلك الكلمات "لا تشميه!".

Twitter: @ketab_n

ظل جوي يجول ويدور بغرفة المعيشة. كنت بدأت أمل حقا ولكن فضولي لم يهدأ تماما.

قلت وأنا اقدمه له هذه المرة"هيا إذن، خذه". وعندما كادت يده تلمس الشيء سحبت يدي مرة أخرى. توتر الجو أكثر. شعرت بالحرج قليلا فقلت: "حسنا حسنا، كنت امزح فقط. سأعطيها لك. سأفعل، ولكن بشرط واحد...".

لم أقل ما هو شرطي وهو لم يسأل. ظن أنه يعرفه. بمجرد ما أن أمسك ذلك الشيء في كف يده، أمسكه بحرص زائد، كما لو أنه لا يريد أن يجرح نبات نادر وحساس. ومثل أستاذ يستعد لتقديم اكتشافه الأثري لطلابه، امسكه بحيث يمكن للجميع أن يراه، وبدأ محاضرته. لم أكن متأكدة هل هو يستعرض أم يريد خداعنا أم يروج لمبيعاته، ولكني بقيت مهتمة بما يقوله.

رغم أن كل ما كان يدور حقا بذهني هو المغادرة مع سامي، لكنني لم أشأ أن اترك ميلدا. فقد فقدت والدها قبل ثلاثة أشهر، ومهما كانت براعتها في إخفاء حزنها، لكني كنت أعرف أنها هشة عاطفيا جدا، وأنا حقا أحبها.

كنت قد التقيت ميلدا بعد أن غادرت دار الأيتام وبدأت أرعى سيدة أرمينية عجوز تدعى ماري. كان عمرنا ثمانية عشر عاما فقط في ذلك الوقت، أصبحنا أصدقاء. كانت والدة ميلدا هي جارة السيدة ماري وكانتا

Twitter: @ketab_n

من الأصدقاء المقربين. أنا مدينة لوالدة ميلدا بأن هذه المرأة العجوز في نهاية المطاف تبنتني ودعمتني كي التحق بالجامعة.

الأصدقاء يشكلون حياتنا. لا يمكن لأحد أن يتفوق على ميلدا _الأبنة الوحيدة المدللة من عائلتها_ في اختيار الأصدقاء الخطأ. كنت أعرف آنذاك أنني دائما وطوال حياتنا سأظل أراقبها وأرعاها. لم اتعب من هذا، ولن اتعب أبدًا.

جلس جوي عند منتصف طاولة القهوة الخشبية. وفتح أحد الأدراج، ودون تفويت فرصة استعراض مجموعته من السكاكين، أخرج مطواة وقطع شريحة بحجم حبة عدس من الكرة المعوجة، وامسكها بعناية شديدة بأطراف أصابعه ورفعها في الهواء وقال: "يا رفاق، مفاجأة الليلة تدعى "حجر"!" ونهض من مكانه.

"الميثامفيتامين، الايفيدرين، أي كان ما تطلقه عليه. كل ما سوف يطلق عليه. هذا الحجر بالنسبة لنا هو بمثابة العمود المرفقي لمحرك السيارة. حتى أصغر قطعة منه، ثمينة جدًا".

بينما كان يقوم بجولة في أنحاء غرفة المعيشة مثل بائع يكيل المديح لبضاعته، جعلنا نشاهد الحجر الكبير والذرة التي اقتطعها منه. وعندما انتهى مما أراد قوله، ذهب إلى المطبخ، يدندن بإحدى النغمات.

Twitter: @ketab_n

سألتني ميلدا حينما كنا ننتظر عودته "هل هذا الرجل شاذ الآن؟".

قلت لها "من أين أتيت بهذا؟".

"ألا ترين كيف يتبختر. كم أنتِ ساذجة!".

"أنتِ هي الساذجة يا ميلدا، أنا أقول لك، إذا كنت ستزجين بنفسك في هذا القرف، أقسم أنني سأقول أمك. لابد أن هذا الوغد قد سمع عن ميراثك وهو يحاول أن يوقعك في شباكه. اسمعي، أنا أحذرك!".

"مستحيل يا فتاة، قد أكون مجنونة ولكنني لست بهذا الطيش".

"اثبتي ذلك!"

جاء جوي مرة أخرى ومعه زجاجة بلاستيكية فارغة وبعض رقائق الألومنيوم. أخرج سكين أخر من الدرج وأحدث ثقب في الزجاجة. ووضع رقائق الألومنيوم على فم الزجاجة المفتوح، وضغط عليه قليلا ووضع الشيء المقرف الذي أسماه الحجر فوقه مباشرة.

سألت وأنا غير قادرة التزام الصمت "يا رجل، اذا كانت تأخذ هذه الكمية الصغيرة، لماذا بحق الجحيم احضرت تلك الكتلة الضخمة؟ أأنت تتاجر مخدرات أم ماذا؟".

"ولم لا أفعل؟ ستعرفين ما أعنيه عندما تتذوقيه!".

"ماذا قلت عن ماهية هذا الشيء؟"

Twitter: @ketab_n

"حجر، انه حجر. أحدث اكتشافات والدي. كوكايين متبلور. أكثر فعالية، بالإضافة إلى أنه أرخص. الانتشاء الذي يحققه لا يوصف. ستجربين بنفسك. أنا أقول لك، قريبا جدا كل واحد منا سيمكنه الطيران، ماذا عساي أن أقول غير ذلك!".

بدأ دقات قلبي تتسارع، ويدي تهتز. أسفت على أن هذا الحقير القذر لم يكن عامل نظافة. مستحيل أن أدخن ذلك الشيء، لكن كان لدي فضول. وكنت غاضبة. وجدت نفسي مرة أخرى في وضع لا يعجبني.

نظرت إلى سامي. وكان يراقب بهدوء. عندما ذهب جوي إلى المطبخ، وبينما كنت أتحدث إلى ميلدا، أرسل سامي رسالة نصية بالتليفون إلى شخص ما، وساورني إحساس غريب من الشك.

ربما كانت لديه حبيبة، أو زوجة. من يهتم؟! ما الفرق الذي يمكن أن يحدثه ذلك. بالطبع لن نقيم زفافا سعيدا أو ننشئ أسرة صغيرة. فأنا في طريقي للخروج من الحياة في لحظة ملائمة على أي حال. من الأفضل أني تذكرت ذلك حقا. فماذا يضيرني إذا جربت ذلك الحجر المجهول الآن؟

Twitter: @ketab_n

"هيا يا جوي اشعل ذلك الشيء. ماذا تنتظر أتريدنا أن نتلو صلاة أو شيء من هذا القبيل! كف عن العبث وتقدم للتجربة!".

أشعل الولاعة، ووضع شفتيه على الثقب الذي احدثه بالزجاجة، أشعل الوقود وفي نفس الوقت امتص الهواء بداخل الزجاجة. امتلأت الزجاجة بالدخان. استنشق نصف الدخان وعينيه تدور وتحدق بالسقف، ثم حبس الدخان.

"أنت مقبوض عليك يا صاحبي!"

"ماذا؟ ماذا؟ ...".

لاحظت كل شيء دون تحريك عيني عن الزجاجة: اختلط صوت رنين جرس الباب مع غيره من الأصوات، جوي أصابته نوبة سعال، وسامي يصيح ويجذب جوي ويلقي به إلى الأرض. سامي يصيح في ميلدا كي تفتح الباب، الشرطة تدخل وتتحرك بالمكان مثل تماثيل حية، وينادون سامي بكلمة "سيادة الرئيس"! انكمشت ميلدا من الخوف وجلست بجوار قدمي.

بينما كانت الشرطة تصطحب جوي، أردت أن تترك أخر ذرة دخان هاربة من قاع الزجاجة أثرها في عقلي. حدث كل شيء في أقل من دقيقة.

سأل أحد الضباط وهو يومئ باتجاهنا :"ماذا عن هاتين السيدتين يا سيادة الرئيس؟".

Twitter: @ketab_n

أجاب سامي: "انهما معي. هما بريئتان".

غادر الجميع ما عدانا.

آه يا إسطنبول، أي ألعاب تلعبينها معي مرة أخرى.

مددت يدي وأمسكت الزجاجة بسرعة، وشممتها. وباعتباري خبيرة تذوق بحكم المهنة، فقد كانت كل أنواع الروائح محفورة في ذاكرتي. ولكني نسيتها كلها: أنفي الحساس للغاية وجميع حواسي لم تتمكن أبدا من التعرف على أو وصف هذه الرائحة، رغم أني كنت المسؤولة عن مختبر الكيمياء في الجامعة أيضا.

إنها حقا رائحة لا توصف. كلمة مثير للاشمئزاز يمكن أن تنفر منها. ربما هي رائحة الفضاء، أو ربما رائحة الهواء من دون أوكسجين يمكن أن تشبه هذه الرائحة. رائحة الخطر، هذا أقصر تعريف. إما أن تشمها مرة واحدة، فتفهم الخطر المحتمل وتهرب، أو سينتهي بك الحال إلى حالة اشتياق وتلهف دائم لشمها حتى تجهز عليك.

سأل سامي: "كيف هي رائحتها؟".

Twitter: @ketab_n

أجبت: "ليس هناك أي رائحة، ذهب كل شيء. هل تريد اختباري أم ماذا؟ لا تفكر حتى في المحاولة. لن احتمل أية حيل أو ألاعيب. لا تؤذي مشاعري، لأنني لا أرغب في إيذاء مشاعرك".

"ماذا تريدين إذن؟"

"صديق يمكنه زرع شجرة أمام قبري عندما أموت".

"يمكنني فعل ذلك، إذا كنت ما زلت على قيد الحياة."

"ستكون، لا تقلق".

كانت ميلدا تسير إلى جانبي بهدوء. تأبطت ذراعي وقالت:

"صديقتي، هل تعتقدين أن الرجل شرطي حقا؟ أظن أنه قال أن لديه ثقب في قلبه. بعد أن اعدت النظر أرى أنه لا يجب أن تقيمي علاقة مع هذا الرجل الليلة. لن استطيع الكف عن القلق بشأنك. لم لا يوصلنا إلى بيتي. يمكنك المبيت لدي الليلة".

وصلنا إلى المنزل الذي تعيش به ميلدا مع والدتها. عند افتراقنا، أخرج القلم وأمسك يدي وكتب عليها رقم تليفون.

"لا تنتظري حتى تموتين قبل أن تتصلي بي. دعينا نتناول طعام الإفطار صباح الغد في مطعم السرايا. من يدري فربما لا نملك الكثير من

Twitter: @ketab_n

الوقت، دعينا لا نضيعه. بجانب أنه يمكننا أن نتحدث عن شجرتك تلك، اتفقنا يا حبيبتي؟ "

"حسنا، اتفقنا".

وغادر.

كنت أعرف أنني على شفا قصة حب رائعة يمكنني أن أعيشها حتى يوم رحيلي، وفي وسط مدينة الحب.

كنت ممتلئة بالشعور بالتقدير والامتنان للحياة .. لليل .. لإسطنبول.

نيلوفر آجيكالين

ولدت في إسطنبول عام 1967. درست المسرح في كونسرفتوار جامعة معمار سنان الحكومية. لعبت دور البطولة في العديد من المسرحيات والأفلام والعروض التلفزيونية منذ عام 1987. نشرت أربع مجموعات قصصية: Biçak Sirti عام 1999، و"جواد أصيل مختف" Sakli Safkan عام 2002. و"لا يوجد لعب أطفال" Cocuk Oyuncagi Degil عام 2000. و"الترحال وحيدا أمر حسن" Iyiler Yalnız Gezer عام 2007.

Twitter: @ketab_n

(7)

التعاطف والحب والبراءة .. إلى آخره

صبا ألتينساي

عندما توقف القطار الذي استقلاه من حي ساماتيا عند محطة قطار سيركجي التاريخية بإسطنبول، بعد مروره بمحطات يني كابي وكومكاباي وكانكورتاران، غادرا القطار. مشيا عبر شوارع حي امينونو الأثري التي خطا عليها العديد والعديد من البشر من قبل. وأمام المتاجر التي تبيع الاجهزة الالكترونية والسلع المستوردة والكتب والأدوات المكتبية والهواتف المحمولة والمعدات الرياضية، اندفعا بين الزحام أمام مسجد يني.

حشد من الناس في السبت الأخير قبل إجازة عيد الأضحى ينقضون على موانئ المراكب والمعديات وعلى الاتوبيسات، يملأون ساحة المسجد والممرات المتداخلة من "بازار التوابل"، ذلك الميدان الذي يقع خلف باعة الزهور. يتدفق الناس يدخلون ويخرجون عبر هذه الأماكن، من ساحة محطة القطار ومحطات الاتوبيس والشوارع الجانبية و"حمام السلطان"،

Twitter: @ketab_n

يتدفقون مثل قطع طعام من فم طاغية يبصق ما يأكل. يتبادل الناس الأماكن مع الوافدين الجدد في كل ثانية ويختفون في أحياء مختلفة تماما.

الأب وابنه الذي كان لا يزال يفكر في شارة حارس المرمى التي رآها في نافذة أحد المتاجر، دخلا بين الحشد الصاخب في بازار التوابل ومعهما قائمة تظل تطول وتطول عندما تكتب بها ضروريات واحتياجات المنزل. حبوب فلفل وحلوى للعيد وبن وكولونيا وحذاء العيد للصبي ... والدته شطبت على أخر بند في القائمة. قالت: "لن تعرف ما الذي ستحضره. سأتولى أنا أمر الحذاء".

كانت والدته ممتلئة الجسم بنية الشعر تفقد أعصابها لاتفه شيء، وتبتسم لأي شيء. كانت عاملة نسيج. لا تتوقف عن العمل والحركة سواء في المنزل أو في العمل. كان الأمر سيكون حسنا لو أنها الوحيدة التي تجري هنا وهناك، لكنها تحب أن تجعل أي شخص حولها يعمل أيضا. وهم يسخرون من طريقتها هذه في المنزل. إذا أراد الصبي التكاسل قليلا، يمازحه والده قائلا: "أن كسلك سيوسم بأنه خطيئة لوالدتك".

كان منزلهم يقع في شارع بئر العرب الذي يلتقي مع خطوط السكك الحديدية، مما حوله إلى حارة مسدودة وسط الشوارع الضيقة لحي ساماتيا، حيث تصطف المنازل ذات الأطر الخشبية والأسقف المنخفضة والعمارات السكنية المغطاة بالفسيفساء على الجانبين. واعتاد الأطفال على

Twitter: @ketab_n

إحداث ضجيج عند لعبهم كرة القدم بهذا الشارع حتى ساعات متأخرة بالصيف وحتى وقت مبكر من المساء في إجازات نهاية الاسبوع بالشتاء. أما ربات البيوت فقد اعتدن أن يلقين بسترات صوفية على ظهورهن سريعا ويهرعن إلى ذلك المحل عند أول الشارع عند الظهر ويقولن: "لقد انتهى مسحوق التنظيف قبل أن ينتهى الغسيل".

في الصيف، تنبعث رائحة البيض المخفوق مع الطماطم والفلفل الأخضر الذي يطهي على عجل ورائحة قطع البطيخ الطازجة من نوافذ المطابخ المفتوحة. ترفرف ستائر تلك النوافذ برقة وهي محملة بالدفء ونسمات الهواء الهادئة التي تصحب قيلولة بعد الظهر القصيرة.

في فصل الربيع، تنبعث أصوات مشوشة من مسجلات بلاستيكية رخيصة لأطفال يؤدون فروضهم المنزلية لدروس الموسيقى من النوافذ التي تركت مواربة. ثم تُسمع أشرطة تسجيل لهواة يغنون الأغنية الشهيرة "درب التبانة". صوت هذه الأغنية مختلطا مع أصوات سعال كبار السن المسرورين لأن عمرهم امتد ليشهدوا فصل الربيع، يحمل رائحة الربيع من منزل إلى آخر.

إلى يمين شارع بئر العرب، كانت كل مباني شارع اشكيرلاك تقريبا مغطاة بملصقات متخلفة عن انتخابات سابقة، "لا راحة لليائسين" و"صامدون كتفا بكتف في مواجهة الظلام". رسم الاطفال شوارب لصور

Twitter: @ketab_n

الزعماء خلال التقاط انفاسهم أثناء اللعب. كما رسموا سجائر في فم بعضهم وورود خلف آذان البعض الأخر. كان شارعا دافئا ومتواضعا ومألوفا في ساماتيا.

بينما كان القطار يمر بشوارع ساماتيا واحدا تلو الآخر ويتقدم نحو سيركجي، كان الأب يحسب كم يمكن أن يكلفه كل بند في القائمة. وكان الصبي مسرورا: مسرورا لأنه كان يوم السبت، وأن الطقس جميلا، وأنهم في طريقهم للتسوق. مسرورا من الزحام ومن أبيه ومن موسم العيد.

أولا سيتوقفا عند بائع البذور ويبحثا عن شتلات الفلفل. تبين العام الماضي أن فلفل العمة حسيبة حار. هذا العام سيشتري والده تلك المكتوب عليها "فلفل حلو"، وألا لن يستطيع تناولها بسبب آلام معدته. منذ يومين أخذ يوم عطلة من المصنع، مما يعني أنه كان يعاني حقا من شدة الألم.

سار كل من الأب وابنه وهما يحاولان أن يشقا لأنفسهما طريقا وسط الزحام. كان الجو حارا. عندما انعطفا كي يتوجها إلى بائع البذور، كان الصبي يكاد يموت من العطش. انتشر في ساحة مسجد امينونو وساحة بازار التوابل باعة الزهور وباعة البذور وباعة الحيوانات الأليفة، باعة التربة الخاصة بالزراعة وأواني الزهور، باعة المبيدات وباعة الشتلات، رجال معهم أرانب تجلب الثروة، وأكراد ماكرين يعرضون تدريب الصقور.

Twitter: @ketab_n

وهناك أطفال تجمعوا أمام أقفاص الثعابين، وأطفال يبيعون المياه، ومراهقين وربات البيوت، وطيور صغيرة تغرد بصوت عال، وكلاب شاحبة ساخطة، وقرود صاخبة، وجنود متقاعدين، وعشاق طيور يمكنهم انتقاء طائر الحسون الذي يمكنه الغناء، وأولئك الذين لا يستطيعون تحديده ولكنهم يحاولون التعلم من الآخرين. وهناك نشالين وفتيات صغيرات جميلات، وشبان صغيرو الحجم يدفعون بأكتافهم يمينا ويسارا طوال الوقت في محاولة لحماية خطيباتهم اللاتي يرتبطون بهم بعلاقة "حلال" واللاتي يرتدين حجابا ملفوفا بإحكام من حشود الرجال حولهم.

وهناك أشخاص يتنزهون للمتعة فقط، ومئات من النباتات مع أو بدون أواني وزهور من كل الألوان وشجيرات طويلة ومصائد للفئران ... افتتن الصبي بكل هؤلاء. وكأن كل عين من عينيه تنظر في اتجاه مختلف وانه لا يمكنه ببساطة أن يوحد الاثنتان معا. حتى والده بدا واضحا أنه ارتبك بسبب هذا الزحام، فقد تعثرت قدمه مرتين.

حبسا أنفاسهما أمام شتلات الفلفل. جذور الشتلات بقيت في تربتها حتى لا تذبل، وكانت مصطفة بجانب بعضها البعض حتى تستند أحداها على الأخرى.

سأل الأب البائع بغرض الحديث فقط: "هل لديك بذور ريحان؟"

"لا يا زميل، لن يمكنك العثور عليها حاليا".

لم يسهبا في الحديث عن حقيقة عدم وجود بذور ريحان.

Twitter: @ketab_n

"هل هذه الشتلات حارة؟"

"نعم. إذا كنت تبحث عن الشتلات الحلوة، أنظر إلى هذه هنا ".

عندما مد صاحب المتجر يده ليحضر الشتلات، اصطدمت ذراعه بقفص موضوع فوق عبوات كبيرة على بعض الأرفف المؤقتة الضعيفة إلى اليمين. في البداية تداعت تماما صفوف من الأرفف ثم صناديق من الورق المقوى وأخيرا القفص الضخم، وتبعه بضعة صناديق من المبيدات وعبوات بذور إطعام الطيور المنزلية. وسقطت صناديق من الفيتامينات بسبب وقوع طعام الطيور فوق القفص. وبعد أن كاد الغبار أن يستقر، وقعت مزيد من الصناديق من الأرفف وتبعثرت في المنتصف. ثم حل الصمت. سكون ...

انتشرت سحابة من الغبار التي هبت من أكياس البذور في الهواء في موجات. سارع صاحب المتجر إلى الباب، وعيناه تطرف، وعطس مرتين بصوت عال في اتجاه المارة. وجد منديلا مجعدا في جيبه ومسح أنفه.

"عفوا يا أخي. ما ذا كنت تريد؟ "

بدلا من الاجابة، جاء صوت مواء خافت من أعماق قفص محاصر بين الرفوف بأحد الجوانب. كان الصوت ضعيفا بحيث كانت الطريقة الوحيدة لمعرفة من أين يأتي هي الانحناء والنظر بعناية. بينما كانوا يبحثون عن

Twitter: @ketab_n

المصدر، سمعوا المواء مرة أخرى. صوت لا يضمر شعورا بالغضب أو التهديد، لكنه في الغالب صوتا شاكيا أو خائفا. في الواقع كان صوتا يئن.

ربما كان قط صغير جدا وغير آمن ولا يستطيع تخويف أي شخص غير نظرائه. أنينه المكتوم يمكن أن يثير تعاطفا كبيرا في نفس أي شخص يستمع إليه.

"آه يا عزيزي، نحن خائفون من ذلك الكائن المسكين. أخرج هذا القفص من هناك كي يتمكن من الخروج".

"لا يمكنني إخراجه يا أخي وإلا سيهرب. أنه معروض للبيع".

لم يصرا. عدّل صاحب المتجر من وضع القفص. قط أبيض صغير كأنه كرة من الفراء يرقد في زاوية القفص، تبدو ملامحه عبر أعمدة القفص. تمتد رقعة سوداء بدءا من منتصف جبهته وحتى وجنتيه، وترسم خط رفيعا حول حافة فمه. وكأن فمه قد رسم مثل عينيه بالكحل. حاول وهو يقف على قدميه الخلفيتين، وضع مخالبه على أصابع صاحب المتجر التي تمسك بالقفص.

"يبدو أنه جائع".

"نحن نعطيه طعاما بين الحين والآخر، لكنه لا يأكله دائما."

Twitter: @ketab_n

"لابد أنه يشعر بالملل في القفص".

"بالطبع. ألن تشعر بالملل لو وضعوك هناك؟ "

"إذن أخرج هذا الكائن المسكين منه."

"اشتريه إذن، حتى اتمكن من اخراجه يا زميل، إذا كنت تريد إخراجه بهذا الاصرار".

"هل تمزح معي؟ أنك لا تدفع نقودا لتحصل على قط!".

"صراحة، لقد تركته سيدة الأسبوع الماضي وقالت "بعه" ورحلت. وها أنا ابيعه".

قفز الصبي، الذي كان هادئا طوال الوقت، وتعلق بسترة أبيه قائلا:

"مهلا، يا أبي. أرجوك دعنا نشتريه. من فضلك يا أبي!"

"اهدأ يابني، لقد جئنا من أجل شراء الفلفل. انس الأمر. كم ثمن شتلات الفلفل؟"

"الثلاثة ثمنهم ليرتان".

"أريد ثلاثين من الفلفل الحلو ولكن اعطني الاربعة مقابل ليرتان".

ابتسم البائع ابتسامة تعنى "هذا ليس مناسبا حقا، ولكن ماذا في ذلك".

قام بعد الشتلات، ووضعها جانبا. ثم لفها في ورق جرائد، وسلمها إلى الأب.

Twitter: @ketab_n

"هل هذا القط أصيل؟".

"لا. ولكنه مدرب تدريبا منزليا. يعرف كيف يقضي حاجته في صندوق للنفايات وتلك الاشياء".

"هل صندوق النفايات هذا ضروري، حسبما أعرف يمكنه أن يذهب إلى الحديقة".

لم يفوت الصبي الفرصة وتدخل في الحديث قائلا: "سوف نضعه بالحديقة يا أبي. لن يدخل المنزل، أعدك بذلك".

"اصمت يا بني لا تثر غضبي الآن".

توقف الصبي عن الحديث. فلو أنه أغضب أباه، فسيعتبر ذلك بمثابة نهاية العالم. وفي عالم سينتهي، لن يبقى هناك قط ولا فلفل. سيجذبه والده من ذراعه ويجره إلى المنزل.

بدا كلاهما مكتئبا.

قال الصبي: "حسنا، لن نشتريه إذن".

كان أباه لا يزال يقلب الفلفل مرارا وتكرارا غارقا في التفكير. أعرب عن دهشته كما لو أنه سمع شيئا جديدا. "لن نشتري ماذا؟"

"أقول نحن لن نشتري القط".

Twitter: @ketab_n

ضحك والده: "وهل كنا سنشتريه بأي حال من الاحوال؟"

صاحب المتجر الذي لا يفوت أي شيء قال: "كان بإمكانكم شرائه يا سيدي، ولكن لم نكن لنتفق السعر ".

"لا تقل ذلك! أين هو هذا القط، دعنا نراه أيضا".

احضر الرجل القفص إلى الأمام. وفتح بابه قليلا. خربش القط بمخلبه الابيض كبياض الثلج قضبان القفص. ثم أخذ نفسا عميقا بأنفه نصف الاسود. وبينما كان جسمه المترنح الخجول النحيل يدفع برأسه إلى خارج القفص، دهش واصدر صوت هسهسة وجرى عائدا إلى داخل القفص. ضحكوا من تصرفه الغريب.

امتلأ الصبي بالإحساس بالإثارة. كان على وشك أن يفتح فمه ليقول شيئا، لكنه غير رأيه وابتلع ريقه فقط.

"هل هو ذكر أم أنثى؟"

"انه ذكر، وعمره شهر ونصف. هذا ما قالته المرأة التي تركته هنا ".

"لماذا تركته هنا على أية حال؟"

"قالت إنها لا يمكنها العناية به. ولم يطاوعها قلبها لتركه في الشارع".

"هذا صحيح. هذا الكائن الضعيف لن يصمد في الشارع."

Twitter: @ketab_n

ابتلع الصبي ريقه مرة أخرى وقال: "دعنا نشتريه يا أبي، أنظر أنه صغير جدا، أرجوك دعنا نشتريه".

"تمالك نفسك يا بني، وهل قلت إننا سنتشتريه؟".

"ستشتريه يا زميل. لا تؤذي مشاعر الصبي".

ادخل البائع يده في القفص واخرج القط الصغير الذي اجتاحه الخوف فحاول خربشة يد البائع بمخالبه الرقيقة تاركا علامات صغيرة غير ضارة يمكن أن يصيبها الاحمرار في وقت لاحق. وهو ممسكا به من عنقه وضع البائع القط بين ذراعي الصبي. اشتم القط الرائحة الدافئة للإنسان.

اقحم القط رأسه عند انحناءة ذراع الصبي، وفرك أنفه الرطب في جلده. واستقر بين ذراعيه متخذا منها مأوى آمن، حيث دفن رأسه ووجد دفء مماثل لدفء أمه. أخذ القط يدلك الجزء الداخلي من مرفق الصبي بكفوفه البيضاء الصغيرة، ويقرب فمه من الجلد، ومع نشوة العثور على حلمة وهمية، بدأ يمص مصدرا صوت خرخرة من أسفل الحلق.

مد والد الطفل يده فوجد رأس القط ذو اللونين الأبيض والأسود حيث كان يختبئ، وجذبه برفق الى الوراء من جبهته، وداعبه.

"الوغد الصغير لطيف أيضا."

Twitter: @ketab_n

"أعطني خمسين ليرة وهو لك".

"كف عن ذلك، الشوارع مليئة بهذه القطط".

"ربما، ولكن انظر .. ابنك يحب هذا القط بالذات".

"هذا السعر لا يوافقني، لو أخبرناهم أننا دفعنا خمسون ليرة من أجل قط سيسخرون منا".

"دعهم يا سيدي. من منهم يمكن أن يأوي إلى حضن ابنك مثل هذا القط".

"في الحقيقة، أنا لن اشتريه".

"هيا يا زميل. إنك ستنقذ أيضا حياة هذا الكائن المسكين. هل الأمر بهذا السوء؟".

"ليس سيئا، ولكن انظر إلى السعر الذي تقوله".

"هذا ما قالته مالكته، فماذا يمكنني أن أقول؟".

"إذن يا بني اترك القط. سوف نلتقط واحدا من الشارع. يمكنك العثور على قطط في أي مكان بهذا البلد. أعده إلى قفصه".

قام الصبي بسحب القط بعيدا عن ذراعه بصعوبة. عندما انتزع رأس القط من الحلمة الوهمية التي فرح بالعثور عليها، عادت أذنيه إلى الوراء، وأحكم قبضته بكفوفه الضعيفة، وبرزت مخالبه الصغيرة. فجأة انفصل

Twitter: @ketab_n

عن الدفء الإنساني والشعور بالأمن والحنان، فاطلق القط الصغير تأوه عميق طويل. كان صوته صادق جدا يوجع القلب، مثل طفل صغير تائه في السوق يبكي يصيح من أجل أمه. كان صوتا مؤثرا بما فيه الكفاية ليؤلم كل من سمعه.

عندما أعاد الصبي القط إلى القفص، لم يستطع تحمل الضيق في حنجرته، ولم يتمكن من كبح دموعه التي تدافعت من أطراف رموشه وتدحرجت إلى أسفل وجهه. بحث عن منديل أو قطعة قماش قذرة أو على الاقل قطعة مكرمشة من صحيفة ليمسح أنفه قبل يراها أي شخص، إلا أنه لم يستطع العثور على شيء. فمسح عينيه بظهر قبضته. لكن سرعان ما حلت دموعا جديدة مكان تلك التي مسحها، وتقاطرت على طول الطريق إلى عنقه. لم يستطع تحمل الحزن القوي الذي يتصاعد من أعماق صدره، فاستسلم في النهاية واجهش بالبكاء.

"انظر يا زميل، لقد جعلت الصبي يبكي".

"آه يا بني. أنك ولد عاقل! هل هذا شيء يستحق البكاء الآن؟"

ثم وجه حديثه للبائع قائلا: "وأنت. فلتطلب ثمنا معقولا إذن. دعنا لا نجعل من انفسنا أضحوكة".

"حسنا يا زميل. أعطني اربعين ليرة وخذ القط".

Twitter: @ketab_n

أخرج البائع القط من القفص مرة أخرى. انتزعه الصبي على الفور ، واراح القط على صدره ووضع رأسه الصغير تحت ذقنه. رائحة غريبة ملأت أنفه. غرق في دفء الرقبة الناعمة ذات الفراء الأبيض الناعم.

قبله الصبي بين أذنيه الصغيرتين. فشعر القط بتيار من المحبة النابعة من التقبيل يسرى في وجهه وجسمه وكفوفه الهزيلة وذيله وبطنه الأبيض. تماما وكأن قطرة من الحليب الدافئ تمر عبر أسنانه اللينة وحلقه وتسري لأسفل حتى بطنه. انتشرت الفرحة بقبلة الصبي، الفرحة بأنه يتم تقبيله، في كل جسمه وحتى عظامه. شعر بنفس الرغبة في لعق نفسه كما يفعل عندما يشرب من حليب أمه حتى يشعر بحالة رضا وسعادة في قلبه. بدأ فجأة في لعق كفوفه. ابتسم الفتى وقبل القط مرة أخرى، وضمه إلى صدره.

"هيا يا بني، لقد فعلتها مرة أخرى. ستحل على اللعنة لو جئت هنا معك ثانية".

التفت الى البائع قائلا: "هل ستعطينا القفص أيضا؟"

"حسنا، لقد تركوه مع القفص".

"لقد اختلط على الأمر الآن، بكم ادين لك؟"

"مع القط، يكون المجموع خمسة وخمسين".

Twitter: @ketab_n

أخرج الأب النقود وقام بعدها. ثم أعاد عدها مرة أخرى وأعطاها للبائع. التفت إلى الصبي وقال: "هيا، خذ قطتك ودعنا نذهب. امسك القفص بعناية؛ تأكد من ألا يصطدم بشيء".

ابتسم وربت على كتفي الصبي الذي اتسعت عيناه من الفرحة.

وضع الأب وابنه القفص خارج الباب ثم خرجا. سارا جنبا إلى جنب. كان الحشد قادما نحوهما. لفت القفص انتباه الناس، كانوا ينظرون إليه في محاولة لمعرفة ما بداخله، وقد يمرون بجوراه الصبي ووالده دون أن يلاحظوهما. حتى وإن فعلوا، فإنهم يلاحظون في وجه أحدهما فرحة هائلة، فرحة لم يشهدها أحد من قبل منذ بداية العالم، إثارة ليس لها حد مثل تفتح زهور اللوز وخروجها من براعمها في الربيع.

كان الأمر وكأن ميدان امينونو الواسع أو حتى سكان إسطنبول كلهم، يصعدون إلى السطح كفقاعات تحتدم بصخب في مرجل ويدخل صوت هذا الاحتدام والفوران إلى دم الصبي. ويصل هذا الضجيج الهائل إلى قلبه. لو أن المارة اصغوا بآذانهم، لسمعوا صوت ضربات قلبه العنيفة المتتالية.

أراد ان يظهر قطه للجميع. فكر في أن يحمله على ذراعه، لكنه غير رأيه خوفا من أن يهرب.

لو كانت لديه أجنحة لطار إلى المنزل. فجأة، فكر في أمه. ماذا لو غضبت بمجرد رؤية القط ومنعته من دخول المنزل أو طردته؟ ماذا لو أصرت قائلة

Twitter: @ketab_n

"لا أريد القط في المنزل"؟ ماذا لو غضبت من والده أيضا؟ وفي الوقت الذي قال فيه والده بالكاد "كل شيء تمام"، ماذا لو قالت والدته "مستحيل"؟ شعر بثقل في قدميه. وبأنه أضعف من أن يخطو خطوة أخرى. هرب دمه، وتحولت ضربات قلبه التي كانت تدق بجنون من الفرحة إلى دمدمة فاقدة للحس، مثل حك مسمار بحائط من الجبس. وقف مذعورا.

"يا أبي! ماذا لو قالت أمي أنها لا تريده؟"

توقف والده أيضا كأنه سمع فجأة اسم شخص نسيه منذ فترة طويلة ولا يمكنه أن يتذكر من أين يعرفه! طرفت عيناه، وحدق مشدوها.

"حقا! ماذا لو قالت "أنا لن ادخله"؟".

"أنا لن أترك قطي أبدا يا أبي، مهما كلفني الأمر".

"أهدأ يا بني أهدأ، ولا تربكني الآن".

"سوف نقول لأمي أننا دفعنا نقودًا من أجل الحصول عليه".

"اذا قلنا لها أننا دفعنا نقودا كي نحصل على قط شارع، فإنها لن تدعنا ندخل نحن أيضا".

"إذن نقول لها أننا وجدنا القط في الشارع".

"سوف تقول: إذن دعه يذهب".

Twitter: @ketab_n

"لن أدع قطي يذهب. لن يحدث أبدًا".

وبدأ يبكي.

أخذ الرجل يفكر. مشى بضع خطواتٍ، ثم فكر مرة أخرى. فشل في التوصل لحل، عاد إلى الصبي. أخذا يقلبا الأمر في رأسيهما، وسار الاثنان على غير هدى نحو درجات سلم المسجد. قال الأب "دعنا نجلس هنا". عندما جلسا وضعا القفص بجوارهما مباشرة. كان القط يجثم في مكان ما بالقفص ولا يمكن رؤيته. انحنى الصبي ليتحقق من وجوده. كان موجودا جالسا في حالة تأهب وحذر ينتظر.

كان الحمام يهبط ويحلق يمينا ويسارا أمامهم. وبعضه يسير حتى يصل إلى تحت اقدامهما، ويسير حولهما ليرى إن كانوا سيعطونه بعضا من طعام الطيور، وينظر بتردد إلى داخل القفص ثم يندفع مبتعدا. وكان الاطفال يتشبثون بأذرع أمهاتهم كي يشتروا بعضا من بذور اطعام الطيور. وبمجرد ما ان ينجحوا في اقناعهن، يأخذون حفنات من حبات القمح في ايديهم ويقفزون بين الطيور متظاهرين أنهم يجرون نحوها، ثم يخيفونها فتطير مبتعدة.

من مسجد يني، جاء صوت مؤثر حزين اشبه بنحيب يدعو المؤمنين إلى صلاة الظهر. لم يتحدث الاب وابنه على الاطلاق. فتح الصبي فمه تقريبا مرتين ليتكلم ولكنه غير رأيه وبقي صامتا. أي فكرة يتوصل إليها كي

Twitter: @ketab_n

يحتفظ بالقط يتخيل رد فعل أمه تجاهها أيضا، وسريعا ما يستبعدها ويبدأ في البحث عن فكرة أخرى. وعلى ما يبدو أن والده كان يفعل نفس الشيء.

كان الأب أثناء جلوسه يضع يديه في جيوب البنطلون ثم يخرجها، ويفرقع أصابعه، ويفرد يديه، وينظر إلى أظافره. وعندما يفرغ من ذلك ينتش الزغب من أكمام سترته. ويتجعد جبينه بين الحين والأخر وينظر بعيدا. فجأة، دب فيه النشاط وقفز واقفا على قدميه.

"انهض يا بني، هيا بنا نعود إلى المنزل".

"ما ذا سنقول يا أبي؟"

"سنقول أننا حصلنا عليه كهدية العيد لك. انت تعلم أنها كانت ستشتري لك حذاء. قالت أنها ستذهب لتشتريه بنفسها. هي ليست مضطرة لذلك. سنقول أننا حصلنا على هذا القط"

"هل تعتقد أن ذلك سيفلح يا أبي؟"

"ماذا غيره يا بني؟"

"بسرعة يا أبي! أنت أفضل أب يا أبي العزيز!".

وقف الصبي، أو بالأحرى قفز وركض وعانق ساقي والده، لف ذراعيه حوله واراح رأسه على بطنه، وقبله من فوق سترته قائلا: "أبي، أبي ... يا حبيبي يا أبي".

Twitter: @ketab_n

سارا بضع خطوات. ثم أدرك أنه قد نسي القط. اصيب بالذعر. وانطلق عائدا كالسهم وأمسك بالقفص الذي كان على درجات سلم المسجد. جاء مواء صغير من الداخل. ارتجف الصبي، وظن أن شعوره بالسعادة يمكن أن يفيض من صدره ويتحول إلى صوت وينطلق من فمه.

عاد يجري. انتقل إلى جهة اليمين وامسك يد والده بيده الخالية. كان صدره منتفخا بفخر، وبدا وكأنه يمشي وهو ممسكا يدا بيد مع الله.

سار الأب وابنه ببطء نحو المحطة. اختلطا بالزحام وتركا وراءهما بازار التوابل، ليأخذا القط ذو اللونين الابيض والأسود الذي دفعا أربعين ليرة مقابله إلى المنزل. كان صوت قطار ساماتيا يتردد صداه من سيركجي، وبعد أن ملأ الميدان بصيحته حادة النغمة، سار في طريقه عبر الأحياء الأخرى.

صبا ألتينساي

ولدت في كاناكالي عام 1961 وعاشت في أنقرة وأزمير. حصلت على شهادتها الجامعية في مجال الصحافة. نشرت تقارير عن رحلاتها وأسفارها وقصص قصيرة بصحف ودوريات مختلفة. ظهرت أول رواية لها Kritimu-Girit'im Benim عام 2004، ونشرت أيضا في اليونان.

Twitter: @ketab_n

(8)

مدينة حدودية

جيهان اكتاس

1

في الأيام القليلة الماضية بدأت أستقل العبارة قبل موعدي المعتاد بدورتين، بما يعني كسب نصف ساعة إضافية. سيكون بانتظاري على الرصيف لنعبر جسر المشاة معا، ثم نمشي إلى أعلى التل.

يمكننا أن نتوقف لتناول حساء العدس في احد المطاعم الصغيرة على الجانب الأيسر من الشارع، ثم يوصلني إلى العمل ويذهب هو إلى عمله. في كل مرة يتركني ويذهب بعيدا، أشعر وكأنه هجرني إلى الأبد. لقد أنهى دراسته. وقريبا سيعود إلى وطنه ويشارك بالحرب. وسيستقر في حياته بدوني.

Twitter: @ketab_n

لن أراه ثانية أبدا. غالبا سيرحل قريبا، ولكن لا يمكنني أن أطلب منه عدم الذهاب، أو عدم الانضمام إلى الحرب. الجزء الجنوبي من وطنه تحت الاحتلال العسكري. المدينة التي ولد بها

تحولت إلى أنقاض نتيجة القصف.

يمكنني السير إلى أوسكودار واستقل العبارة إلى بشيكتاش. سيكون بانتظاري على رصيف العبارة. يمكننا أن نجلس في كافتيريا معا ويخبرني بأحدث المعلومات حول الحرب. هو يعتقد أنه لا يمكن الوثوق بالتقارير التي تنشر بالصحف عن المعركة الدائرة. تشكلت آرائه من الأخبار التي يتلقاها من عائلته. لم ادعه يمسك يدي أثناء حديثنا.

في الواقع، هو لم يحاول. لو أمسك بيدي، فلن نقدر على الافتراق مرة أخرى. كلانا يعرف ذلك. منذ أن أكمل درجة الماجستير كان مهما ألا يبدد أي وقت أكثر هنا. أثناء عبورنا جسر جالاتا معا، رأيت الدموع تفيض من عيناه.

سألتني زليخة، إذا كان هناك شخص يجب عليه أن يضحي، لماذا ينبغي أن يكون أنتِ؟

لأن هناك حربا دئرة في وطنه، لهذا يريد أن يرحل. انه أكثر ارتباطا بعائلته ومنزله الآن أكثر من أي وقت مضى. إذا بقي هنا ألا تعتقدين أن عائلته كلها ستظن أنه خائف ويختبئ بعيدا؟

Twitter: @ketab_n

أحيانا في طريقنا إلى المنزل في المساء، نلتقي أنا وزليخة على رصيف محطة أوسكودار ونسير معا إلى محطة "حريم". هناك فنادق تحت الإنشاء على الجانب الأوروبي المقابل يمكنها أن تغير الصورة الظلية للمدينة، توقفت الإنشاءات في بعضها. غير أن أوسكودار لا تتغير بسهولة. كانت زليخة متيمة بأوسكودار ومضيق البوسفور.

ليس بإمكان أي من الفنادق التي تناطح السحاب قيد الإنشاء على الجانب الآخر أن تغير تماما أو تحجب المشهد المألوف لمضيق البوسفور. لا يمكنني الاستغراق في تأمل المشهد مثلها. كان وجه حبيبي القلق يغطي أفق رؤيتي. شعرت أنه إذا ذهب إلى وطنه بدوني، سيموت في الحرب أو يفقد.

أخبرتني زليخة أنه لا يمكنني التكيف مع تلك الأماكن في وطن حبيبي. ليس هناك حتى بحيرة في المدينة التي سأذهب إليها، ناهيك عن البحر.

هناك نهر يمر عبر المدينة، وسد على بعد نصف ساعة.

هل تقارنين نهر صغير وسد بلا روح بمضيق البوسفور ...

لكنني لا أستطيع تخيل أني سأكون سعيدة حتى لو رأيت البوسفور كل يوم، ليس دون أن يكون حبيبي إلى جانبي. أنا لا أرى نفس المشهد

Twitter: @ketab_n

الذي ترينه الآن. عندما أعبر إلى الجانب الآخر بالعبارة، لا يخطر على بالي أنني ببحر تلتقي عبره قارتين.

أنتِ تنسين أنه يوجد حرب دائرة هناك، حرب تستهدف المدن*.

لكنه سيرحل قريبا، وقد لا أراه مرة أخرى.

سألتني أختي أيضا أي مستقبل يمكن أن أحظى به معه في الوقت الذي تدور به معركة لا تنتهي أبدا في وطنه. لا أحد في محيطي يوافق على هذا الحب الذي يمكن أن يأخذني إلى بلد في حالة حرب.

لهذا ظللت أماطل في لحظة اتخاذ القرار.

2

عندما يغادر إسطنبول التي يحبها كثيرا، بدلا من أن يصطحب معه صورا أو بطاقات بريدية أو كولونيا الليمون أو لوحات للمسجد الجديد أو جسر جالاتا، هل يود أن يصطحب معه كتذكار فتاة تحمل بداخلها الكثير من روح الحياة بالمدينة؟ ماذا يحب حقا .. الشخص أم المدينة؟ لا يوجد معنى لهذه الأسئلة برأيه. عندما نحب شخصا، يجب ألا تتغير مشاعرنا بتغير السياق. اعتقدت أن تفسيره منطقي، ولكنني حاولت وضع بعض المسافة بيننا، ولكن ذلك لم يدم طويلا.

---

* في الحرب العراقية الايرانية تم استهداف المدن خاصة الحدودية من الجانبين وهو تكتيك عرف باسم "حرب المدن" (المترجمة).

Twitter: @ketab_n

عندما أخبرني أن موعد رحيله قد تأكد، شعرت أنني فقدته .. كأنه قد رحل إلى الأبد وسأعيش بقية حياتي في حالة حداد عليه. بدأت في البكاء. في هذه المرة كنت أنا التي اسعى خلفه، شغوفه به. دائما اسامحه في كل مرة لنفس الأسباب: انه مرتبك ووطنه تحت الاحتلال ومدينته قد تسقط ضحية للحرب.

ذات مرة عند رصيف العبارة في بيشتكاش في يوم رأس السنة انتظرته. كان قادما من محطة ساريير وكنا سنذهب إلى أناضولا كافاجي*. أنها رأس السنة، السكارى يمرون من أمامي. انتظرت وانتظرت لكنه لم يأت. نسي أننا سنلتقي هنا وذهب إلى بيتي لاصطحابي. لم تكن هناك هواتف محمولة في ذلك الوقت.

بينما كنت انتظره اندهشت من نفسي عندما وجدت أنه بدلا من أشعر بالغضب منه، شعرت بالقلق عليه، وبشأن الحياة التي سيعيشها بدوني.

* قرية الصيد الخلابة الأناضول كافاجي، بالقرب من مصب البحر الأسود (المترجمة).

Twitter: @ketab_n

3

كان يشاهد إسطنبول من خلالي لسنوات عديدة ونحن نعيش بوطنه. أما أنا فخلال هذه السنوات كانت إسطنبول بالنسبة لي الوجهة التي أصل إليها في نهاية رحلة الاتوبيس الطويلة. في السنوات القليلة الأولى، كانت مغادرة إسطنبول بالطائرة أو الاتوبيس بالنسبة لي بمثابة الدخول في نفق مظلم لا نهاية له. كان الوقت يمر بطيئا حتى اليوم الذي أتمكن فيه من العودة إلى إسطنبول. هذا ما كنت أشعر به.

كنت انتظر في طابور عند نقطة عبور الحدود ومعي طفلتي على ذراعي. وغالبا ما يكون هناك توقيع أو ختم ينقص الاوراق أو ربما يوجد خطأ أخر، ثم أجد نفسي في نهاية الطابور مرة أخرى. معي ترمس مليء بالماء الساخن. المطاعم على جانب الطريق. ابحث عن مكان لتغيير حفاضات الطفلة. البلل يغرقني. اضطراب الامتعة التي أعدت تعبئتها على عجل بعد أن قام موظفو الجمارك في كلا الجانبين من الحدود بتفتيشها يرهقني نفسيا. حمامات قذرة دون ماء. طوابير طويلة. شباب معوزين بوجوه عابسة كئيبة يراقبون الأتوبيس طوال الطريق ويندفعوا نحونا لبيع السجائر والكحول أو يعرضون تغيير العملة.

Twitter: @ketab_n

ملأت كوبًا من الشاي من الترمس وأعطيته إلى الشاب الذي بجواري. بدأنا في الدردشة. كان يستعد للذهاب إلى إسطنبول. بدا أنها كبيرة بما يكفي لاحتواء كل سكان المدن الحدودية.

معظم المدن التي عشت بها بخلاف إسطنبول تشبه بعضها البعض. ولكن أي مدينة عشت بها كان بها نهر أو بحيرة أستطيع الوصول إليها بالسيارة خلال ساعتين أو ثلاث ساعات. الطريق من المدينة إلى المكان الذي تفضل التواجد به يكون دائما أقصر. رحلات الطائرة جيدة للعودة: الرحلة تمر سريعا وتكون أكثر لطفا.

حتى في أيامي القليلة في إسطنبول، دائما في نهاية المطاف أرى أولئك الشباب يتجولون بوجوه حزينة. وكأنني أحمل الحدود معي. الأيام تنقضي بسرعة، أن فصل موسمي واحد لوقت قصير. في الرحلات التي تستمر لاسبوعين أو ثلاثة عندما أضع خططا كبيرة تجرفني الخطط الصغيرة، أو العكس: تضيع الخطط الصغيرة في خضم الخطط الكبيرة.

عند عودتي، أسترجع الأيام الفائتة بندم: كان يجب علي قضاء أيامي في إسطنبول في اكتشاف الجوانب الصامتة الخفية والحديث مع الأصدقاء في الحدائق الخضراء. كان يجب أن أذهب إلى الأماكن التي كنت أذهب إليها عندما كنت فتاة صغيرة في ياكاسيك، إلى حدائق الشاي التي تهب عليها

Twitter: @ketab_n

الرياح وتطل على الجزر حيث تبدأ أشجار يهوذا في اكتساب لونها مع اقتراب الصيف. ولكنني مرة أخرى لم أفعل.

في كل مرة كنت أجد نفسي دائما في مكان آخر غير حديقة الشاي. حدود إسطنبول كانت تتسع باستمرار. عندما عدت شعرت أن الشهر الذي قضيته بإسطنبول مر وكأنه يوم. كان علي أن أكون أكثر حرصا في المحافظة على الجدول الزمني الذي خططت له. دونت صفا من الملاحظات في مفكرتي:

أ- أشياء أقوم بها هذه المرة في إسطنبول:

التنزه على شاطئ أوسكودار مع زليخة.

التجول بالشوارع الخلفية للسليمانية.

البحث عن "الصندوق المفقود".

استكشاف متاجر الكتب المستعملة في كل من القارتين.

ب- أشياء اشتريها هذه المرة من إسطنبول:

زيتون دون ملح، وزعتر.

بضعة علب زنة نصف كيلو من الملبن التركي اللوكوم.

حلوى كمال باشا وسام بابا من أجل شهر رمضان.

Twitter: @ketab_n

ج. أشياء أشاهدها هذه المرة في إسطنبول:

زليخة – شاطئ أوسكودار ...

مجمع مسجد السليمانية.

حديقة الشاي في ياكاسيك.

شوارع ساريير.

د. أماكن وأشخاص للزيارة هذه المرة في إسطنبول:

السليمانية.

نوران، التي انجبت مؤخرا طفلها الرابع.

ليلى، التي اشترت منزلا.

بعض الأشياء موجودة في القائمتين (أشياء لأفعلها) و (للزيارة). بالتأكيد يجب علي الاتصال بزليخة. سنأخذ ترمس شاي وسميطتان ونستقل عبارة حتى البوسفور وندردش. ترى كم سنة مرت دون أن ترى أحدانا الأخرى ... أي واحدة منا كانت آخر من اتصلت بالأخرى؟ زليخة يا عزيزتي، لابد أن نرى بعضنا البعض مرة أخرى هذا العام.

Twitter: @ketab_n

كم سنة مرت ونحن نتحدث عبر الهاتف فقط ونعبر عن آمالنا في أن نرى بعضنا البعض مرة أخرى؟

سنوات مرت بما يزيد تقريبا عن عدد أصابع كلتا اليدين. سنوات عشتها بمدينة تقع في مواجهة الجبال وتبعد ما يقرب من ست ساعات عن البحر. كان أصدقائي المقربين خلالها هم أصحاب المحلات المجاورة.

في سنوات الحرب، كانت مهمتي هي الانتظار في طوابير قسائم الشراء. كان على المرء أن يخاطر بالوقوف منتظرا لساعات من أجل الحصول على حليب أو دجاج أو بيض أو زيت. ربما بسبب تلك السنوات التي قضيتها منتظرة في نهاية الطوابير، احرص الآن جيدا على البقاء بعيدا عن أية موضوعات أو تعهدات أو إجراءات تستلزم الوقوف في طابور.

كل من البقال والجزار والخباز وصاحب المحل عند ناصية الشارع يعبرون عن دهشتهم في كل مرة أتوقف عند محالهم ويقولون: كيف يمكن لأي شخص في أي وقت أن يترك مدينة مثل إسطنبول؟

كانت كل الأماكن يسودها ظلام يصير أكثر قتامة. أمطرت السماء صواريخ بسبب استمرار حرب المدن. أتخذت مأوى من البقعة الموجودة تحت الدرج المتهالك للشقة التي أعيش بها فوق المخبز. لكنه كان مأوى لا يمكن الاعتماد عليه، متهدم وغير ثابت. سمعت على بعد خمسمائة متر من

Twitter: @ketab_n

الجانب الآخر صوت قصف إحدى المستشفيات، وجنازة جندي سقط بالحرب تمر بالشارع يصحبها أصوات نواح ودعاء.

زرنا مدافن كبيرة في ذكرى الأربعين لعودة جثمان أحد الجيران كان قد أرسل من الجبهة. وكانت هناك نافورة بجانب المدافن مباشرة تتدفق منها مياه حمراء. وقد جلست أمهات الجنود اللاتي لم يسمعن أي خبر عن أبنائهن حول النافورة يبكين.

4

كانت إسطنبول بالنسبة لي بمثابة عبارة تتدفق فوق مضيق البوسفور من بعيد، ووثيقة. في الغالب الوثائق لا يعثر عليها في أماكنها.

أمي .. أنتِ تعرفين أن هذا الدرج خاص بي!

وكيف لعاملة التنظيف أن تعرف ذلك. لقد اختلطت الوثائق والأوراق في الدرج أثناء التنظيف لقدوم فصل الربيع.

بحثت عبر أكوام من الورق المغبر مرارا وتكرارا لكن لم أجد ما كنت أبحث عنه. كي احصل على وثائق مثلها مرة أخرى ... ترى كم عدد الأماكن التي سيتوجب علي أن اقف في طابور بها، وما مقدار الإجراءات البيروقراطية التي سيكون علي تحملها، هل لديك إجابات لهذه الأسئلة يا أمي؟

Twitter: @ketab_n

بما أنني كان لا يمكنني مواجهة أوتخيل فكرة الوقوف في طابور في تلك المكاتب الحكومية، فقد كنت اعتني جيدا بمستنداتي كي احميها. وضعت أهمها في صندوق خشبي مُصنع يدويا. وبما أني كنت أظن أن أخي أكثر ترتيبا وتنظيما من أختي، فقد تركته في رعايته. لكن الصندوق الخشبي ربما ضاع وسط فوضى انتقاله من منزله. هذا الصندوق مهم بالنسبة لي أكثر من الدنيا! صرخت.

أشار أخي إلى إنني أبالغ في مقدار الخسارة. قلت، حتى لو لم يبدو الأمر مهما بالنسبة لك، إلا أن هذا الصندوق يحوي كثير من الأشياء القيمة بالنسبة لي. أشياء احتفظت بها ساعدتني لأن أشعر بأني لا زلت مرتبطة بإسطنبول وذكريات الماضي: الدبلومات وبطاقات الدرجات القديمة، والكروت البريدية والرسائل، وحتى العقود المنتهية والاتفاقات القانونية، ومذكراتي منذ المدرسة الثانوية ...

في ذلك الصيف عندما لم أجد الوثائق التي تركتها بمنزل أبواي، حتى شقيقتي تذكرت إنني قد جمعت وثائقي الهامة في صندوق خشبي وسلمتها إلى أخي. رغم ذلك يصر أخي على القول بأنه في ذلك العام عندما وقع الزلزال أعاد إليّ الصندوق خلال انتقاله من منزله المتضرر.

عندما يطول جدالنا، يقول أخي أنه طوال السنوات التي كان الصندوق موجودا بها بمنزله لم أطلبه مرة واحدة. حسنا، ربما لم أرغب ابدا في الاطلاع

Twitter: @ketab_n

على محتوياته كل تلك السنوات، لكني كنت أعرف أنه موجود وأنه يمكنني الذهاب والعثور على أي من محتوياته عندما أشعر بالحاجة لذلك.

بالإضافة إلى إني لا أعتقد أنني استعدت الصندوق في أي وقت مضى. ولماذا أفعل؟ وأين يمكنني أن أضعه إذا كنت قد فعلت؟ بحسب اعتقاده يرى أخي أنه لابد أنني نسيته في مكان من الأماكن التي سافرت إليها. لكني متأكدة من أنني لم أكن لأترك الصندوق في أي مكان ... صحيح أنه كان صندوقًا صغيرًا، لكن ليس صغيرا لدرجة أن أضيعه بهذه السهولة.

ذهبنا إلى منزلي وبحثنا عنه معا. أترى! انه ليس بمنزلي. لقد ضاع الصندوق، وضاعت معه شهاداتي وبطاقات الدرجات وتلك العقود الصغيرة التافهة وصوري! خلال زياراتي لم أكن أترك شقتي الخاصة الصغيرة مفتوحة لفترة طويلة. منذ وقوع الزلزال على وجه الدقة.

أحيانا أمكث في منزل أبواي، وأحيانا مع أشقائي. لكني تجنبت البقاء في منزل أخي منذ ضياع الصندوق. رغم ذلك لا أستطيع القول إنني أشعر بالراحة في منزل شقيقتي. فهي تريد مني البقاء معها دائما، وأنا استجيب لذلك بكل ود وإخلاص، ولكن بعد بضعة أيام أبدأ في الشعور بالإجهاد لأنني أشعر وكأنني خاضعة للتحقيق.

Twitter: @ketab_n

إلى أين أنا ذاهبة ولماذا الآن ولماذا لا تعرف هي بشأن هذا الموضوع وإلى متى ولماذا من الضروري أن أذهب إلى تلك الأماكن البعيدة في هذا الجو الحار ... وهي لا تسمع أي اعتراض بشأن كل الزيارات التي تراكمت خلال السنة والتي يتعين علينا القيام بها معا بالترتيب الدقيق الذي خططت له. حالة وفاة، ولادتين، زيجتان، انتقال من منزل لأخر، تهنئات لشراء عقارات، زيارة مرضى، زيارة عمتنا العائدة من انجلترا، وابن عمنا العائد من العمرة ...

كان يجب علي أن أخصص يوما من أجل زليخة.

لم نر بعضنا البعض منذ وقوع الزلزال، أليس كذلك يا زليخة؟ عادة ما أحضر إلى إسطنبول وسط حرارة الصيف، في حين تحتفظين أنتِ بإجازتك السنوية لتأخذيها في ذلك الوقت. لماذا لا يمكنك أن تأتي وتبقى معي لليلة واحدة فقط ...

سآتي لليلة واحدة، يمكننا أن نلتقي عند رصيف العبارة ونسير بمحاذاة الشاطئ.

دائما ما كنا نسير معا. أتذكرين، كنا نسير في طريق الميني باص من بوستانجي إلى كاديكوي، ويستغرق سيرنا أربعين دقيقة بالضبط. ثم

Twitter: @ketab_n

نستغرق خمس وعشرين دقيقة من كاديكوي إلى أوسكودار ونحن نتبع طريق الدولموش*. حسنا، هل يمكننا أن نلتقي يوم السبت؟

قالت أختي: مستحيل فلقد وعدنا "أبلة سونا" بلقائها يوم السبت، اتصلت قبل أن تحضري ودعتنا لتناول طعام الافطار في سالاكاك. أنا أحب تناول الإفطار في حديقة الشاي في سالاكاك معكما.

ولكن ألا يمكننا أن نفوت الموعد هذه المرة فقط؟

لا، هذا غير وارد. أجلت أبلة سونا الموعد من قبل حتى يمكنها دعوتك.

لكنني لم أر زليخة منذ سنوات.

حسنا، هذا يثبت أنه يمكنك البقاء على قيد الحياة لأسبوع آخر دون أن ترى كل منكما الأخرى. أنت دائما هكذا تفضلين أصدقائك على عائلتك.

سونا ليست حتى جزءا من عائلتنا ... إنها صديقة الأسرة، هل تعدينها من الأسرة.

الى جانب أنه في كل مرة تحضرين بها إلى إسطنبول أما تتصلي بزليخة أو ترغبي في الاتصال بها، لكنها لم تتصل بكِ مرة واحدة.

لأنها لا تعرف أبدا موعد قدومي.

---

* الدولموش هو مبني باص يخدم على طريق الشاطئ بتركيا (المترجمة).

Twitter: @ketab_n

إذا اتصلت هنا كل حين، ستعرف إنك قادمة.

نحن نتواصل عبر الإنترنت، لقد اعتدنا على ذلك.

اعترفي بذلك، انك دائما ما تعتبرين أصدقائك أكثر أهمية من أفراد عائلتك. انظري، أنك لاتزالين لم تري منزل شقيقنا الوحيد الجديد بعد. دعينا نذهب الى هناك في مطلع الاسبوع المقبل.

حسنا، ربما، ولكن بشرط ألا نقضي الليلة هناك.

ألا تعتقدين أنك أثرت كثير من الضجة حول موضوع الصندوق هذا؟

لا، لا أعتقد ذلك. هل لديك أية فكرة عما يعنيه أن لا تجدي شيئا حيث تركتيه ...

5

قمنا أنا وأختي وابنتها وابنتي الصغيرة بتبديل وسيلة المواصلات عند محطة "حريم". بدأنا من الطريق السريع E-5 ثم استقلينا الميني باص. عندما سرنا على الشاطئ هناك، سرحت بفكري بعيدا عن الحديث الدائر واستغرقني مشهد برج قزكولسي أو الفتاة العذراء. أفكر لماذا تم بناؤه. من المفترض أنه لا يمكن الوصول إليه، لكن لو نظرت إليه من هنا تظن أنه يمكنك الوصول إليه بمجرد سباحة قصيرة.

Twitter: @ketab_n

عندما كنت أمر بالقرب من البرج بواسطة سفينة أو عبارة وأنا طالبة، كنت أنظر لأعلى البرج وأفكر بالأميرة الأسيرة. كيف كانت تقضي أيامها، بأي آمال كانت تبدأ يومًا جديدًا؟ هل كانت قادرة على الهرب من البرج في أحد الأيام أم أنها كانت تستلقي بهذا المكان كي تنم نومتها الأبدية؟

اعادتني أختي من عالم الأساطير إلى عالم الحقيقية: لقد كدتِ تسقطين! لو لم أكن امسك بذراعك لكنتِ سقطتِ بتلك الحفرة! فراغ أسود لا معنى له بجوار البقعة التي وقفت بها بالضبط. ماذا تفعل هذه الحفرة هنا؟ قالت أختي أنهم يعملون بنشاط هذه الأيام في تجديد الأرصفة. ثم عاودت مناقشتها بشأن موقفي من المبيت في بيت أخي الاسبوع المقبل:

وثيقة .. صندوق .. أنها أشياء يمكن أن تفقد في منزل أي شخص. ولماذا تلك الوثائق بذلك الصندوق مهمة جدا بالنسبة لكِ بهذا الشكل، حقا لا أفهم ...

لأنك لست في مكاني، لقد عشتي في الغالب في نفس المنزل منذ تزوجتي. أنني أتذكر عندما انتقلتي إلى الجانب الآخر في باكيركوي. لم تستطيعي التعود على ذلك المنزل ثم عدتي بعد ستة أشهر.

ومع ذلك، انتِ تعلمين أننا لا نجد دائما كل شيء بالمكان الذي تركناه به..

Twitter: @ketab_n

عندما وصلنا إلى حديقة الشاي، كانت أبلة سونا قد وصلت لتوها وكانت تفرغ أكياس من سيارتها. لم تكن هذه الدعوة لبوفيه مفتوح، لذلك كانت مينكش ابنة شقيقتي مغتاظة، وعبرت عن خجلها لعدم إحضار أي شيء.

على الرغم من أن حديقة الشاي في سالاكاك لم تكن تسمح بإحضار مشروبات من الخارج، لكنهم يسمحون بإدخال الطعام، لذلك تدعو أبلة سونا ضيوفها بالصيف إلى هنا. تم تقريب طاولتين إلى جوار بعضهما البعض وتغطيتهما بمفرش من الدانتيل. بينما كنت أراقب أبلة سونا وهي تبسط المفرش، شعرت وكأني أرى والدتها الراحلة وهي تزين المائدة في حديقة الشاي في ياكاسيك، ودمعت عيناي.

قالت أختي .. أترين أن أصدقاء العائلة مثل الأقارب. لدينا ذكريات مشتركة، وشهدنا أيام طيبة معا. بينما كانت تطلب أبلة سونا أكواب كبيرة من الشاي للبعض وأكواب صغيرة للبعض الأخر، ظهرت زليخة وفي يدها باقة ورد. انها لم تتغير على الإطلاق. في الواقع، لقد تغيرت، إنها تبدو أصغر سنا، ربما بسبب ملابسها الشبابية "الكاجوال".

في البداية صرخنا، وبعد أن أعطتني باقة زهور الربيع الملفوفة بورق أبيض، تبادلنا الأحضان ... مرت خمس سنوات على الأقل منذ رأينا بعضنا البعض، أليس كذلك .. خمس سنوات كاملة.

Twitter: @ketab_n

قالت لابنتي .. كبرتي يا بطيختي الصغيرة، كانت لا تزال تحبو في أخر مرة أحضرتيها إلى هنا.

أكان ذلك بالعام الذي وقع به الزلزال؟

كان العام الذي توفيت به والدتي، وأتيتِ أنتِ وزليخة لتعزيتي ...

نعم، أتذكر، قضينا الليلة في منزلك ...

قالت أبلة سونا أنا مليئة بالمفاجآت أيتها السيدات.

هي وزليخة أصبحتا جيران مؤخرا.

جاء الشاي، نصفه في أكواب كبيرة، والنصف الأخر في أكواب صغيرة. دفعت مينكش كرسيها إلى الوراء بعيدا عنا وطلبت عصير البرتقال من النادل. قالت زليخة أنا لم أشرب شيئا في فنجان أو "ماج" منذ سنوات لأني سمعت أن النبي لم يشرب من أي شيء له يد.

لقد مرت بعلاقة زواج سيئة استغرقت منها حوالي عشر سنوات حتى تنفصل عن زوجها الذي كان يمكنه أن يبدأ معها شجارًا لأنها إستحوذت على معظم الغطاء، أو أن قطع الخس المفروم كبيرة جدًا، أو أن غطاء إبريق الشاي في وضع مقلوب، أو أن قميصه غير مكوي على نحو صحيح. رجل يرى نفسه عبقرية أدبية ويعتقد أن المقربين يجب أن يعيشوا بهذا الاقتناع ويدعموا هذا الرأي خاصة أمام الناس ...

Twitter: @ketab_n

سكر الشاي مغلف بورق. يا له من إسراف.

لا على الإطلاق، إنه أفضل بهذه الطريقة، حتى لا تلمسه يد إنسان.

رغم ذلك فإنه شيء سيء أن تحمي نفسك بشكل زائد عن الحد ...

رائحة زهورالربيع رائعة وكأنها حقيقية.

أنها بالفعل حقيقية.

أنا لم أقصد قول ذلك، لكن في هذه الأيام تبدو الزهور جميلة إلا أنها لا تحمل أي رائحة. أنا لا اشتري زهور أبدًا من الغجر، فأنا أعلم ما يفعلون للحفاظ على تلك الزهور نضرة، يضعونها بدلاء مليئة بالماء القذر في مكان ما.

حسنا، ولكن لا يمكننا محو باعة الزهور الغجر من حياتنا بسبب ذلك ... وإلا لن تكتمل القصائد، وستفقد الأغاني إقناعها ...

لا تثيرون ضجة كبيرة حول كل موضوع يا بنات، فهذا ليس جيدًا!

أنظروا من يتحدث، من أتت إلى حديقة الشاي ومعها مفرش مائدة من الدانتيل الأبيض.

إذا لم استخدم هذا المفرش من أجلكم، فمن أجل من استخدمه؟ لدي أكوام وأكوام منها في خزانات الملابس والصناديق، كانت أمي دائما تحيك مفارش المائدة الدانتيل من أجل زفافي تقريبا حتى يوم وفاتها ...

Twitter: @ketab_n

ماذا يمكنني أن أقول، هذه الفتاة اعتادت غسل الخس بالمنظفات عند عمل السلطة.

كانت على هذا الحال لكنها الآن تأخذ حبوب لعلاج هاجس النظافة.

أنا لست صعبة الإرضاءه بشأن كل شيء كما اعتدت أن أكون، ولكن لا يزال علي محاولة تجاهل بعض الأشياء.

أي نوع من الأشياء؟

أوه يا إسطنبول، لا يمكنني المشي بشوارعك بعد الآن بسبب أولئك الريفيين الجنوبيين الشرقيين.

أنه حكم قاس يا أبلة سونا، ألا تظنين ذلك؟

لا على الإطلاق. أنكِ تحتاجين أخلاقًا حميدة للعيش في هذه المدينة، من يهاجر إلى هنا يحتاج إلى فعل شيء قبل أن يستحق العيش في واحدة من أجمل مدن العالم، مثل تلقي دروسا لمدة ستة أشهر أو سنة. لقد كان أجدادنا الكرام يضعون مبصقة في اماكن قريبة على طرق سيرهم.

على رسلك، أي نوع من الحكم هذا؟ إذا هاجر شخص إلى هنا، هل تظنين أنه يأتي من أجل المتعة؟

هذا ليس الوقت أو المكان المناسب لمناقشة هذا الموضوع ...

كم سنة مرت منذ رأينا بعضنا البعض، هه؟

Twitter: @ketab_n

هيا أخبريني أنتِ أولا يا صغيرتي التي يستغرقها الحنين إلى الوطن.

لا أعتقد أننا بحاجة حقا إلى الحديث. دعونا نتفرج فقط. دعونا نتأمل هذا المنظر الطبيعي الرائع ونرشف الشاي. الأكواب نظيفة والشاي لونه أحمر قاني. أنه يكون هكذا في كل مرة أدعو ضيوفا إلى هنا. كما أحضر معي الأطباق والأواني، والنوادل يعرفونني الآن. أعني أنهم يسمحون بذلك هنا في حديقة الشاي. دعونا نذهب إلى حديقة الشاي في ياكاسيك بأحد الأيام؛ هذه المرة سأجهز كل شيء. كنت أعمل في تلك الأيام عندما جاء شهر أبريل وكنتما تذهبان دائما إلى ياكاسيك، وكانت أمي العزيزة الراحلة تحرص على البقاء بالقرب منكما ومرافقتكما.

بل كنا ندعوها.

كانت أمي تتمتع بروح طفولية. كان يمكنها الذهاب الى منزلكما بعد ظهر كل يوم تقريبا، وكانت تقوم بذلك بالفعل. فإن زارتكما في وقت تستعدان فيه للمذاكرة، فلن يجعلكما ذلك سعداء أبدا. لكنكما كنتما تحبان التهريج والقيام ببعض الحيل دائما.كنت أنبهها كل صباح قبل الذهاب إلى العمل، وأقول لها أمكثي في المنزل لمرة واحدة، لأنكما يا بنات كنتما تدرسان، لا تذهبي وتزعجيهما، وأقول لها لا تكوني مصدر إزعاج. كانت تحاول إخفاء الأمر عني، لكنني كنت أعرف أنها سوف تذهب، فلم يكن بإمكانها تحمل الوحدة.

عندما يتعلق الأمر بقلي الباذنجان والفلفل دون زيت، فإن هذا سر من أسراري التي تضم صنع الخل بالمنزل، ولكن يجب ألا تنسى إضافة السكر. كنت ربة منزل بارعة انتهى بي المطاف لأن أصبح عانس.

Twitter: @ketab_n

يا أبلة سونا لقد كنتِ الأولى في طابور النساء اللواتي لم يتزوجن لأنهن أحببن أنفسهن.

ولكنني لم أظل دائما بالمنزل. لسنوات، لثلاثين عاما على الأقل، كنت واحدة من أولئك الذين يخرجون إلى عملهم في السادسة والنصف صباحًا. ومنذ تقاعدت أحاول تحقيق أقصى استفادة من الحياة المنزلية.

كان لديك رجل يحبك، بائع الآلات الكاتبة في سيركجي، اشتريت منه آلتي من نوع سيلفر أوليفيتي. اعتقدنا جميعا إنك ستتزوجين منه. كنت تحبينه بجنون، أليس كذلك؟

لم يكن قادرًا على الثقة بي، لكنه قال في النهاية .. أنا واثق أنك ستكونين زوجة رائعة، ولكنك من طبقة أعلى بكثير من طبقتي. كان يعتقد أنني عنيدة جدا ومستقلة بشكل زائد عن الحد، هذا ما كان يشير إليه، ولكني كنت أعرف أن السبب الحقيقي مختلف. فإذا تزوج بي فذلك معناه دخول ثلاثة أشخاص إلى حياته: كان من الواضح أنني لن أترك أمي، وكان أخي قد بدأ دراسته الجامعية للتو.

كنا ننزل من القطار في محطة حيدر باشا، ونسير نحو كاديوكي. كانت لا تزال هناك الصخور بجوار الشاطئ في ذلك الوقت، جلسنا تخبئنا الصخور. كان هناك طابورًا أمام إدارة اللحوم والأسماك. كنت أرتدى نظارة شمسية في حال كان هناك أي شخص في الطابور بإمكانه أن يتعرف علي. طلب مني أن أخلع النظارات الشمسية. قال أنها تبدو رائعة جدا علي لدرجة أنها تجذب الانتباه. هذه هي الطريقة التي كان يغار بها علي.

Twitter: @ketab_n

ربما تتسائلون كيف أستطيع تذكر كل هذه التفاصيل بعد سنوات عديدة. أنني أفكر بعمق في الماضي لدرجة أن تفوتني الكثير من تفاصيل الحاضر. انظروا ماذا فعلت اليوم. تركت المنزل في عجلة من أمري، ونسيت إحضار طبق محشي الورق العنب! مجرد التفكير في ذلك يزعجني، الليلة الماضية ظللت لمدة ساعتين ألف ورق العنب بحماس، وفي الصباح نسيته بالبيت وحضرت إلى سالاكاك.

كل شيء رائع حقا، يكفي الشاي والسميط لتناول الإفطار. هذه هي القواعد في حديقة الشاي هنا: يمكنك إحضار الأواني والأطباق الخاصة بك. دعونا نأتي إلى هنا مرة أخرى في فصل الصيف، ولكن هذه المرة يجب علينا نحن أن ندعوكي نحن.

قالت مينكش وهي تحمل رزمة من ألغاز سودوكو مقصوصة من الصحف .. لا أعتقد إني سأذهب إلى أي مكان معك أبدًا مرة أخرى،. كانت تجلس على مبعدة من الطاولة، كما لو أنها أرادت أن تظهر أنه حتى لو كانت هنا معنا، إلا أنها لا تزال مختلفة عنا.

قالت أبلة سونا ..إنه الأرق هو الذي يجعلني كثيرة النسيان.

Twitter: @ketab_n

إنها تعاني من قلق يجعل النوم يغيب عن عينيها. وهي لا تمانع اقتسام ذلك القلق معنا. كانت وحدها في المنزل في ليلة طلعة رجب. شقيقها حديث الزواج سهى كان يعيش بالشقة التي تعلوها مباشرة، وهو الأخ الوحيد لها.

قلت في مناسبات عديدة أنني لم اتزوج بسببه، وإني كنت أعمل لكي أمنحه الفرصة للدراسة. نحن جميعا بشر في النهاية، ولكن إشاعة أن زواجه الأول لم يدم بسببي، أو أنني تدخلت كثيرا في حياته ببساطة لا أوافق عليها. لقد تورطت في الأمر، لا أستطيع أن أنكر ذلك.

إذا أطلقتم علي شخصية صعبة أو عنيدة، فإنا لا أهتم. انظروا، أن أخي الوحيد يمر بباب شقتي ولا يطرقه ولو لمرة واحدة. لم أتمالك نفسي عندما كان في منتصف الطريق عند صعود الدرج، ففتحت الباب.

أتعرف يا سهى، هذا بالضبط ما كان يمكن أن تفعله أمي، تنتظر في أيام العيد، وترفع يدها في الهواء قائلة "لقد تأخر أبني وزوجته كثيرًا". لديك أخت تعيش في الطابق السفلي. ألا ترى أن النور بشقتها لا يزال مضاء.

يا أختي ..أنا متعب للغاية بالفعل هذه الليلة.

حسنا حسنا، اذهب واسترح إذن.

ومشى بعيدا. بمجرد أن تزوجا، ابتعدت زوجته عنا وجعلت هناك مسافة بيننا، وتماشى أخي مع ذلك حتى يحافظ على زواجه في ذلك الوقت.

Twitter: @ketab_n

ماذا حدث؟ إلى أين أنتِ ذاهبة .. أستغادرين فجأة .. أجلسي، ما زال أمامنا الفول لنتناوله.

أنه يبدو لذيذ حقًا، ولكن لا يمكنني أن آكل الفول في هذه الساعة ...

في هذه الحالة، دعونا نذهب إلى منزلي، فورق العنب جاهز هناك.

سنأتي مرة أخرى يا أبلة، ولكن يجب أن تأتي أنتِ أيضا، أنتِ لا تزورينا أبدًا.

هل نفذت المناديل المبللة؟

أذهبي وأغسلي يديك بالحمام أنه نظيف، لقد تأكدت من ذلك.

وأنا أيضا، ليس لديهم صابون سائل.

لدي بعض الزيارات لأقوم بها، ولا يمكن أن تفوح مني رائحة العرق.

قالت زليخة .. هناك مظاهرة بمنطقة (الفاتح)، انا ذاهبة إلى هناك الآن، يجب أن تأتي أنتِ أيضا.

اثبتن في هذا الوضع جميعا ولا تتحركن، أريد التقاط صورة.

المنظر جميل، ولكن الكراسي بلاستيكية.

الكراسي بلاستيكية، لكن الشاي رائع.

هناك حديقة شاي في الطريق إلى شنجلكوي تبدو كراسيها عتيقة.

Twitter: @ketab_n

المهم بالنسبة لي هنا هو المنظر، وليس الكراسي. فأنا أشعر وكأني أستطيع أن ألامس برج (الفتاة العذراء) إذا مددت يدي.

اعتدت أن أمر بجوار هذا البرج وأنا استقل العبارة عندما كنت طالبة. وأحيانا كنت اركب عبارة صغيرة تقترب كثيرا من البرج، وأتساءل ما الذي في الداخل، كأنني سأتمكن من العثور على آثار لفتاة أخفاها والدها الملك بعيدا عن الثعبان. فقط تخيلن أن لهذا البرج تاريخ يعود إلى 2400 سنة على الأقل وربما أطول.

واضح أنه ليس المبنى الأصلي.

على حد علمي أن البرج الأصلي تحطم أثناء الزلزال وتم إنشاء مبنى خشبي كمنارة في مكانه. استخدم كسجن في السابق، ونسجت حوله قصص خيالية وأساطير. ثم بدأ استخدامه لأغراض عسكرية، وحاليا تم فتحه للجمهور كمطعم وكافتيريا.

أيمكننا الذهاب إلى هناك الأسبوع القادم؟

يمكننا ذلك.

قاطعتنا أختي قائلة: "آه حقا، ماذا عن خطتنا لزيارة أخينا معا الأسبوع القادم؟".

Twitter: @ketab_n

أنا لم أعد بذلك، أليس كذلك؟ نستطيع الذهاب إلى أخينا خلال الأسبوع. لكن زليخة تعمل، ولا يمكن أن اتفق معها على خطط إلا لعطلة نهاية الاسبوع.

برج الفتاة العذراء لن يذهب إلى أي مكان أيضا. يمكنك زيارته في الأسبوع التالي ...

فكرة دخول برج الفتاة العذراء كانت تستغرقني. أردت أن أراه في حالته القديمة دون تغيير منذ مئات السنين. من يدري كيف كان شكله، المكان الذي كانت الأميرة مخبأة به لحمايتها من شر ثعبان. كانت الجدران سميكة ومظهره منيعا، ومع ذلك كان الثعبان لا يزال قادرا على التسلل من بين زهور الملك.

وفقا لإحدى الأساطير، قام الملك ببناء البرج ليبعد ابنته عن صياد تحبه ويحبها. إلا أن الصياد تمكن من الوصول إلى سفح البرج بسهولة عبر هذا الساحل. لكن حتى لو كان قادرا على السباحة، ربما لم يستطع الدخول.

في الماضي، كان هذا الساحل مزدحما دائما بأشخاص يمارسون الصيد. كنا نذهب في نزهات عند بحيرة سد أومرلي. ونصطاد على ضفافها ...

Twitter: @ketab_n

من المفترض أن نعاني من نقص بالمياه هذا العام. أتمنى لو استطعنا أخذ إجازة في النصف الثاني من أغسطس. حرارة الصحراء ستهاجمنا. قالوا الشيء نفسه العام الماضي ولم نعاني كثيرا، لكن هذا العام يقولون إننا سنشهد نقصًا خطيرًا بالمياه.

في الماضي، في السبعينات، عندما تم قطع المياه، كنا نذهب إلى ياكاسيك للحصول على المياه. تعرفينها .. أخبرتك عن حديقة الشاي هناك، أنا حقا أحب الذهاب إلى تلك الحديقة وأجلس وأقرأ كتاب. ما رأيك في أن نذهب معا ونقضي يومًا هناك؟ لابد وأن أشجار يهوذا قد أزهرت مع بداية مايو، حيث تغطي زهورها ذات اللون الوردي الفاتح والغامق وزهور نبات بخور مريم البنفسجية الجبال والتلال.

من المرجح أن أحصل على إجازتي السنوية في شهر أغسطس، سنذهب عندما أعود. دعينا نعثر على ركن صغير هادئ مثل هذا حيث يمكننا الجلوس والحديث به، لدينا الكثير لنتحدث عنه ...

يمكننا السير من ميدان ايمنونو إلى حديقة ساراشان.

يمكن أن يكون ذلك لطيفًا ولكن وقتنا قصير، لابد أن نلحق بالمظاهرة...

سألتني أختي .. ألا ترين أنه بما أننا جئنا إلى هنا معا، يجب أن نعود معا؟

Twitter: @ketab_n

كنا قد ناقشنا هذا في المنزل. كنا سنذهب إلى كاديكوي ونلقي نظرة على البرامج التحضيرية للجامعة من أجل ابنتها مينكش.

يمكننا الذهاب إلى كاديكوي خلال الأسبوع، لكن ليس هناك مظاهرة كل يوم. ليس هناك طريقة أفضل من المظاهرت كي لا تشعرك بأنك تقدمتِ في العمر.

حسنا أذهبي، لكن لا تتأخري.

نظفنا الطاولة وبدأنا في وضع الحقائب في صندوق السيارة الخلفي، ولكننا لم نجد مفاتيح السيارة. فتحنا كل الحقائب وبحثنا بداخلها، وفتشنا حقائب اليد. لم نعثر على أي مفتاح.

بعضنا يجب أن يبقي ليراقب السيارة. ويمكن لأبلة سونا أن تأخذ سيارة أجرة وتحضر المفتاح الاحتياطي من المنزل وتعود.

قالت أبلة سونا .. تعالي معي يا عزيزتي مينكش، يمكنني أن أقدم لكِ بعضا من ورق العنب، ويمكنك قضاء الليلة في بيتي .. البوسفور تحتنا مباشرة، يمكننا التمتع بالمنظر من الشرفة معا. لم تكن مينكش مهتمة بذلك. قالت .. أريد أن أذهب إلى المظاهرة مع خالتي "أنا لم أذهب إلى مظاهرة في حياتي كلها ..."

Twitter: @ketab_n

اخذنا عبارة صغيرة إلى ايمنونو، ومن هناك قفزنا بداخل ميني باص. لم يكن هناك أي أثر لوجود الحشد الذي كنا نأمل أن نراه في حديقة ساراشان. الدليل الوحيد على وجود حشد كان عند مدخل الحديقة. لقد تفرقت المظاهرة. استمرت لفترة قصيرة بما يكفي لإلقاء بيان للصحافة. وصلنا في وقت متأخر جدًا بسبب بحثنا عن مفاتيح سيارة أبلة سونا.

كانت لا تزال هناك بعض اللافتات والنشرات التي تناثرت حولنا على الأرض: "لا تبقى صامتا أيها العالم!"، "لن نساند الإمبريالية في الشرق الأوسط!"... في الساعة الخامسة دعتنا صديقة لزليخة صادفناها بالحديقة إلى حضور منتدى أدبي ستشارك به.

مررنا بمحلات تبيع ملابس جلدية وأحذية وحقائب ومكاتب صرافة وفنادق صغيرة ومطاعم وشركات سياحة، حتى وصلنا إلى مكان عمل زليخة. كان يوم عطلتها، لكن منتدى المجلة الأدبية الذي ستشارك به زميلتها سينعقد في مكان قريب، لذا قررنا التوقف بمكان عملها للاسترخاء. صديقتها اللطيفة الودودة قامت بتشغيل أغنية "المطر" لخوسيه فيليسيانو وقدمت لنا مياه معدنية.

Twitter: @ketab_n

لم تكن زليخة تريد حضور اجتماع المجلة، فهي لا يعجبها الموضوعات الأدبية. إلا أن مينكش كانت سعيدة ومتشوقة. قالت .. لطالما أردت الذهاب إلى لقاء أدبي.

6

سلمت البطاقة البريدية التي اسقطتها بحقيبتي قبل مغادرة المنزل إلى بائع الخضر بالمتجر الذي اعتدت التسوق به. إنها بطاقة بريدية قديمة لجسر جالاتا، كان الجسر في ذلك الوقت يبدو مختلفًا كثيرا عما هو عليه الآن. أدخل صديقي بائع الخضر البطاقة البريدية بأحد جوانب صورة مؤطرة كبيرة معلقة على الجدار وراءه. أنها صورة التقطتها مع زميل يسكن بالمدينة كان بطل العالم في رفع الاثقال، يستخدمها كوثيقة ضمان أمام زبائنه.

إسطنبول مدينة جميلة، أليس كذلك، جميلة جدا. لقد ذهبت هناك مرتين ولا زلت أرغب في الذهاب مرة أخرى. جسر البوسفور .. الجزر .. المسجد الأزرق .. برج جالاتا .. الفنادق في منطقة لالالي .. النوادي الليلية .. محلات السلع الجلدية ...

عندما أفكر في إسطنبول، ماذا أتذكر؟ الحمام الذي يطير بساحة بايزيد. الطريق الأخضر الرائع في قصر دولما باشا. الجلوس بالمقاهي

Twitter: @ketab_n

بالسلطان أحمد والاستماع إلى مؤذنو المساجد وهم يرفعون نداء الصلاة في تتابع. حديقة الشاي المفتوحة في ياكاسيك والمدارس الدينية القديمة بعمود قسطنطين. وأيضًا مجمع مسجد السليمانية. والعبارات التي تسبح عبر مضيق البوسفور ومحلات الكتب المستعملة التي تبهرني عندما أتجول بها وأغوص في بحر من الكتب ...

لماذا يريد أحد الغوص في كتاب بينما البحر الحقيقي بجواره؟ إسطنبول مدينة محاطة بالبحر .. مدينة مزينة بمآذن مضيئة مع رسائل تتدلى بينها.

لم تعد إسطنبول مدينة واحدة. هناك نساء يعشن هناك لم يرين البحر قط ولو لمرة واحدة في حياتهن. هناك منازل في أعلى التلال ليس بها ماء أو كهرباء.

قال صديقي البقال هؤلاء لا يعتبرون جزءا من إسطنبول.

7

ليلا في برج الفتاة العذراء. عزف حي للموسيقى مع وجبة كاملة متنوعة بسعر ثابت. جلسنا على طاولة في الطابق الأول. يمكنك ان ترى سالاكاك من الداخل، تبدو ظاهرة هناك. طلبت مجموعة من رجال الأعمال

Twitter: @ketab_n

تجلس في الجهة المقابلة لنا الطعام من أجل ضيوفهم الالمان أو النمساويين. صورة على الحائط لشاب واقع في الحب بجنون ويحاول مواجهة الموج من أجل الوصول إلى البرج. لابد أنه الصياد الذي تحدثنا عنه في حديقة الشاي.

هناك مناخ تجاري داخل البرج يبدو غريبًا عن القصص الخيالية التي أوحى لي بها من الخارج. قالت زليخة أن الأساطير تبالغ دائمًا في تقدير الحب على أي حال. الحب دائما يشبه طوفان غير عادي من المشاعر، ولأنك تركتِ نفسك تذهب مع هذا الطوفان لذلك تجلسين الآن أمامي وأنتِ تشعرين بعدم الراحة التي يشعر بها الضيف.

قلت .. سبب انزعاجي الأول هو أنني أشعر بخيبة أمل. المكان داخل البرج أضيق مما كنت اعتقد ومربك للغاية، أعني أنه إرباكا مما ظننت. هل يمكنك أن تجدي أي أثر ولو أثر واحد لفتاة عاشت حبيسة بهذا المكان لسنوات بين كل هذا الأثاث؟

قالت زليخة يمكننا أن نصعد إلى الدهاليز. أنهم يبيعون هدايا هناك، يمكننا أن نلقي نظرة عليها. قلت .. لا يهم. دعينا نجلس هنا قليلا، ثم نرحل. قالت زليخة، لنطلب حلوى .. مهلبية أو كعك سام بابا.

Twitter: @ketab_n

أنا ذاهبة لشراء بعض العلب من كعك سام بابا من أجل حفلات الإفطار برمضان. لم أذهب للتسوق بعد، لم أنجز أي شيء تقريبا مما خططت له. أصرت أختي على الذهاب إلى منزل أخي الجديد نهاية هذا الاسبوع وأن أحضر ابنتي معي. مع كل عام يمر يزيد البعد قليلا بيني وبين أخي. عندما تأتمن أخيك على شيء ثم يضيع، هل يمكنك حقا تجنب الإحساس بمشاعر غريبة؟

أخرجت زليخة صندوق خشبي من شنطة كانت تحملها معها في كل مكان وقالت: أيمكن أن يكون هذا هو الصندوق المفقود الذي تتحدثين عنه؟

ياه .. نعم. هذا هو الصندوق! يا الله .. متى تركته معكِ، أنا لا أتذكر على الإطلاق.

لقد اعتدتي أن تأتي وتبيتي معي بين الحين والآخر في السنة التي وقع بها الزلزال. أتذكرين ...

لماذا نسيت أني تركته معك؟

ربما بسبب الزلزال. كان عاما سيئا لنا جميعا.

نعم كان كذلك. لم أكن أتمكن من قضاء الليل في بيتي بسبب الشق العميق في الجدار. ظللت انتقل من منزل الى منزل مع ابنتي التي كانت لا تزال طفلة. وعادة ما كنت أمضى عطلة نهاية الأسبوع في بيتك.

Twitter: @ketab_n

ألن تنظري إلى الأشياء بداخل الصندوق؟

سأفعل في وقت لاحق عندما أعود إلى المنزل.

كل شيء يبدو مختلفًا عندما تكونين بعيدة. أنا لا أريد لإسطنبول أو لحياة عائلتي وأصدقائي أن تغير هنا في غيابي. أن كل تغيير يبدو كمؤشر للفقدان والابتعاد بالنسبة لي. كان الصندوق الذي اقلقني كثيرا أصغر مما كنت أظن، كان عاديًا. الآن يبدو لي أن وثائقي المهمة قد فقدت أهميتها بما أنها موجودة معك! طوال هذه السنوات لم اضطر إلى الوقوف في طوابير أمام المكاتب الحكومية بسبب فقدان هذه الوثائق.

إذا لم يكن فقدان هذا الصندوق مهما لما انزعجتي إلى هذا الحد ...

إنه مهم بالطبع، ولكني بالغت بالتأكيد في رد فعلي بطريقة ما. أعتقد أنه بعد القائي نظرة على ما بداخله في المنزل، يمكنني أن اتركه معك مرة أخرى. وربما أفكر في أخذه معي. أو سأتركه بمنزل شقيقتي لبعض الوقت. أنا لا أريد التحدث عن هذا الصندوق بعد الآن. دعينا نتحدث عنك. أخبريني عن حياتك. ما الذي تغير بها منذ آخر مرة رأينا بها بعضنا البعض؟ ماذا فعلت بك السنوات القليلة الماضية؟ هيا، أخبريني.

Twitter: @ketab_n

جيهان اكتاس

ولدت عام 1960 في بينار يولو وهي قرية نائية في محافظة ارزينجان بتركيا. درست الهندسة المعمارية في أكاديمية إسطنبول الحكومية للفنون الجميلة وتخرجت عام 1982. عملت كمهندسة معمارية لعدة سنوات، وسافرت إلى أذربيجان. نشرت مقالات وقصص قصيرة في مجلات وصحف مختلفة.

Twitter: @ketab_n

(9)

المتطفل

سيزار اتش أيواظ

وفي الصباح سأقول كل هذا لنفسي واحدا تلو الآخر.

نفس يعقوب تنزع نحو الخواء من جديد.

أديب جانسيفير، يعقوب المتطفل*

فكرت .. هل يجب أن أتصل بيعقوب؟ هل سيسمعني؟ هل سيرد على صوتي؟

كانت "ناديده" تجلس بحديقة شاي مريحة تكسوها ألوان الخريف في المنطقة التي أصبحت لتوها جزءًا من إسطنبول. هناك طاولات وكراسي

---

* بيت شعر من قصيدة للأديب التركي أديب جانسيفير (1928–1986) بعنوان "يعقوب لم يُدعى" (المترجمة).

Twitter: @ketab_n

على العشب، وفي المنتصف بحيرة زرقاء عميقة مزخرفة يسبح بها البجع، وتحيطها زهور ليس لها رائحة من جميع الألوان.

يفصل حديقة شاي (الوادي الأخضر) عن الطريق العريض والمباني السكنية متعددة الطوابق صف من الأشجار التي نمت من شتلات جلبت من خارج إسطنبول. كان الطقس لطيفا تحت الأشجار ذات الأوراق التي لها شكل قلب له أوردة. وشمس نهاية سبتمبر تذكرنا بأيام الصيف التي تكاد تنقضي.

برأس "ناديده" حرارة نابضة، وفي أذنيها دندنة الأغاني ...

ناديدة التي عاشت في أنحاء كثيرة من إسطنبول _مدينة السبع تلال_ دون أن تعرف أحياءها القديمة أو حتى تمر بها، تطرق الأبواب التي لن تفتح مرة أخرى أبدا.

في البداية ، عبر صورة متجعدة متموجة سافرت إلى بيوغلو. كل الألوان تمتلئ بالحياة، والناس تملأ الشوارع، ويمر بجوارها مساعدات خياطات الملابس والطلاب الصغار يضحكون من قلبهم.

بعد أن جرفها طائر الأمل الذي يزقزق بداخلها، لكنه يزقزق منفردا لأنها وحدها، قررت ناديده أن تكون عاقلة أثناء سيرها وأن تضع تعبيرًا ينم عن

Twitter: @ketab_n

الجدية على وجهها. في لحظة وصولها إلى الباب سيختفي ابتهاجها على أي حال. ستصبح ساقيها ثقيلتان، وسيزحف الشعور بالذنب على جسدها ويستقر فوق كتفيها، ثم يمتد إلى يديها وشعرها ويصل أخيرًا إلى عينيها.

ستصبح عينها خضراء من الحنق.

"وصلتي أخيرًا؟"

لو كان بإمكانها أن تسأل لقالت "هل تأخرت يا أمي؟"

لكن صوت التوبيخ كان سيأتيها سريعا "شششش. اصمتي. لقد جعلتيني أقلق ولديك الجرأة لتسألي! كم مرة أخبرتك؟ هذه إسطنبول!"

ناديده تستعد الآن للذهاب إلى النوم في الطابق الثاني من مبنى قديم مجهول به رسومات لملائكة مجنحة فوق نوافذه، في نفس الشارع الذي يقع به قسم شرطة بيوغلو.

رائحة نبات الميموزا وأشجار يهوذا والمريمية المتآلفة جميعا مع ألوان الربيع والتي تملأ هواء الليل بالمناطق الساحلية لإسطنبول لا يمكنها أن تصل إلى هنا.

Twitter: @ketab_n

والدتها "عدوية" لديها فقط نبات الغرنوفي أو إبرة الراعي في برميل من الصفيح لا يصله ما يكفي من ضوء الشمس، سيقانه نحيلة وزهوره مريضة وتبدو موضوعة كشيء لتأدية الغرض أمام النافذة.

الليل. في وقت متأخر جدا ...

خفتت حدة الضوضاء القادمة من شارع الاستقلال. أما الشوارع الضيقة المعتمة فهي هادئة الآن بما يكفي لسماع وتضخيم صوت صدى وقع الأقدام.

"رستم" .. والدها حضر للتو الى المنزل متعبا من المشي كل يوم في الشوارع التي يحاول أن ينتمي إليها لتكن شوارعه، ثم يغرق في النوم في اللحظة التي يأوي فيها إلى فراشه. أنه يعجن خليط اللحم المفروم ويبتسم أثناء نومه. كلما عجن أكثر كلما زاد اتساق العجين. وكلما تجول ماشيا أكثر، كلما باع المزيد من شطائر وكلما وفر المزيد من سبل الحياة لعائلة رستم.

أمنياته التي نمت في مرحلة المراهقة وحتى الرشد ستصبح حقيقة على الأرصفة التي يمشي فوقها. ستقول سيركجي وتقسيم وكل إسطنبول شيئا فشيئا .. يا له من رجل ماهر، أن كرات اللحم التي يصنعها لا مثيل

Twitter: @ketab_n

لها. وستتحدث النساء عن شباب ووسامة ذلك الروملي*. سيعرف بأنه رستم الطويل الوسيم صاحب العيون الخضراء العميقة ...

تستيقظ "عدوية" بفعل أول صوت قادم من الشارع، هي لا تستطيع النوم في هدوء بهذه المدينة. الصوت يغادر قسم الشرطة ويتحول إلى الزاوية، ويتردد صداه على النوافذ الرديئة. ثم يملأ الحجرة عبر النافذة التي تركت مفتوحة قليلا تحت رسوم أجنحة الملاك مباشرة.

"مهلا أيها الناس! الديمقراطية هنا، ديمقراطية!"

صيحات .. صفير .. ضحك .. هتافات "تحيا الديمقراطية!".

عدوية .. تلك المرأة المهاجرة ذات الوجه الصغير والجبهة العريضة في البداية فتحت الستائر ونظرت إلى الشارع بعينيها التي تشبه الرخام الأزرق، ثم أسرعت إلى ناديده.

استيقظي يا فتاة. استمعي! أولئك الحمقى يحدثون شغبا. لقد كسبوا الانتخابات أو شيء من هذا القبيل. كل الأشخاص التافهون ينطلقون بالشوارع.

لا مزيد من التجول بالشوارع بالنسبة لكِ. فقط أعلمي ذلك.

---

* تعبير تاريخي يشير إلى من ينتمون إلى ممتلكات الامبراطورية العثمانية في شبه جزيرة البلقان، (روميليا الشرقية) الذي تنازلت عنه في عام 1885 لبلغاريا. (المترجمة).

Twitter: @ketab_n

كل تركيز عقل ناديده على يعقوب. بما أن والدتها لا يمكنها أن تطلب منها الابتعاد عن ذلك الرجل المفلس، فانها ستمنعها عن التجول بالشوارع التي تؤدي إلى كشك الصحف بتقسيم.

إذا لم ينجح ذلك فسينتقلون من المنزل. أنها لم تحب المكان هنا على أية حال. وبمساعدة أصدقائهم من مسقط رأسهم ستجد منزلا في السلطان أحمد. منزل حجري قديم ومتداعي من طابقين وسلم صدأ يؤدي إلى الطابق العلوي. ماذا لو كانت الصراصير في كل مكان حتى خزانات الملابس .. أنها ليست خائفة. خوفها من نوع أخر، خوف متعدد ..

سوف تبيد الصراصير وتتخلص من الأوساخ والحشرات، وتزرع ورود ونبات الخبيزة في جميع أنحاء الحديقة. سيكون لديها زهور القرنفل من كل الالوان. في كل مرة سترفع رأسها سترى المآذن. ستلمس قدمها الأرض وسيكون ذلك لطيفا. عندما اخبرت رستم أنها تريد الانتقال من المنزل قالت له أنها ستكون قريبة من سيركجي ومن القطار ومن المعدية.

لم يعترض رستم على عدوية. كان ذهنه مشغولا بالمشاهد التي تمنحها له المدينة. فلا يهمه إن كانوا سيغيروا المنزل أم لا. كان واقعا في غرام أضواء الليل بالشوارع والطرقات.

Twitter: @ketab_n

كانت المدينة كزوج من العيون التي تعده بمتع لا نهاية لها .. إحدى عيناها مفتوحة والأخرى مغلقة. أحيانا تنظر إليه إسطنبول بعينها المفتوحة، وعندها يصبح العالم أكثر جمالا ويفتح ذراعيه ليعانق رستم. سيقول الباعة اليهود الذين يسرحون بالملابس الرخيصة والأمشاط الرخيصة والمقصات الرخيصة من سيركجي إلى الأناضول وسائقو الشاحنات والحمالين: دعونا نأكل شطيرة كرات اللحم اليوم. سيصدر صوت طشطشة من كرات اللحم المعبأة في صينية وهي فوق لهب المشواة وينبعث منها دخان ورائحة تمتد حتى خمسة شوارع.

العالم؟ يمكنك الاحتفاظ به. بأشجار الجميز الكبيرة ومصابيح الشارع بجوار أشجار الكستناء، إسطنبول تكفيني!

يمكنه أن يحلق بالتلال وهو يدفع عربة اللحم المفروم أمامه، ويتنفس بارتياح بمجرد أن يرى البحر من بعيد. ويستنشق برضا رائحة الغاز في الشوارع. في ليالي هذه الأيام، سيبدو كأن قدميه لها أجنحة فلا يمكنه العودة إلى المنزل أيا كانت الظروف.

أما إذا كانت المدينة تنظر إليه بعينها المغلقة، فإن حظ رستم سيتحول، ولن يراه أو يسمعه أحد في هذا المكان اللعين. وستمكث كرات اللحم والطماطم المقطعة والفلفل بالصواني.

Twitter: @ketab_n

في ليالي تلك الأيام، تنمو مخاوف عدوية بقوة. فهي تخشى أن يموت رستم في هذه المدينة. وأن تهرب ناديده مع ذلك الصبي الهزيل. وأن الزيت والسكر والماء والكهرباء سوف تنفد. وأنهم سيفلسون.

فجأة فتحت أصابعها المشبكة بإحكام بجوار البئر في وسط الحديقة. ووثبت خرزة ذهبية في الهواء ثم انفرط الترتر والأحجار الكريمة البراقة من كف ناديده وتبعثر وسقط في البئر.

قالت ناديده، حسنًا حسنًا! ها هي يدي فارغة! اقتربت وانتظرت بسرور سماع صدى الصوت بالبئر، ولكن البئر كان أبكم. فهو لم يشر إلى تلقيه للخرز ولم يردد رجع الصدى للاسم الذي وشوشت به ناديده.

جاء صوت من مكان لم تتوقعه على الإطلاق، من وراء بوابة الحديقة. اقتربت من البوابة! تساءلت بدهشة .. هل هذه أثار أقدام؟ لمن تكون؟ أمي؟ خافت، فقفزت مبتعدة عن البئر. كيف يمكن أن يحدث هذا؟

ستمشي طوال الطريق إلى سوق محمود باشا، وتصعد تلة مرجان، وتعثر على ورشة صناعة الملابس. ستكون الفساتين موضوعة على طاولات طويلة ومطرزة بشكل جيد لا تشوبه شائبة. بينما يعثر المدير، ذلك الفظ الأحمق، على كل أنواع الأخطاء حتى يدفع نقودا قليلة لأمي. أمي التي تتخمر مثل الخل ستتصبب عرقًا وتبقى صامتة، تتصبب عرقا وتظل صامتة ...

Twitter: @ketab_n

ثم تقول بصوت خاضع ذليل أنها بذلت جهدا كبيرا في تطريزها. حاولت جعلها أفضل من المعتاد ... وسيتظاهر المدير بعدم سماعها وهي تتحدث. وستعرف أمها أن حديثها بلا طائل عندما يضع الثياب التي يعتبرها غير مرضية جانبا. إنها تريد أن تنكمش وتجثم بجوار الحائط .. لكي تختفي وتصبح منسية، ولو لوهلة على الأقل.

عندما يستعد المدير لمغادرة الورشة، تسرع عدوية وتتخطى النساء الأخريات وتطلب منه قطعًا جديدة لحياكتها بعد أن هدأ غضبه. تأخذ أمها الثياب ثم تسأل عن نقودها بصوت ضعيف متقطع. تنظر إلى النقود التي أعطاها لها دون أن تحرك ساكنا، فهي لا تستطيع أن تخبره أن هذه النقود قليلة جدا. ثم تضعها في كيسها بهدوء وتدسه في صدرها.

لا. لا يمكن أن تكون هي! لا يمكنها أن تحضر إلى البيت قبل موعدها بثلاث ساعات!

اقترب خليل مثل ظل طويل معتم من جانب نبات الكوبية الوردي ذو الأزهار القوية. وكأنه موجودا الآن ثم سيختفي في اللحظة التالية .. توقف عندما أصبح أمام ناديده. ابتسم واقترب من الطاولة وانحنى. كانت عيون النادل خليل السوداء العميقة في نفس مستوى عيون ناديده بالضبط.

Twitter: @ketab_n

قال برقة "هل تريدين شيئا؟" ثم اختفى على الفور. فكرت ناديده، ربما ينبغي أن اتناول آيس كريم لأهدئ نفسي في هذا اليوم الصيفي الحار ... شعرت باللمسة الناعمة لفستانها عند اقترابه ثم ابتعاده عن ساقيها. تذكرت الخرز في الحوض الزجاجي وهو يغرق في الماء. نظرت إلى الرمان الأصفر الذهبي بحباته الحمراء الوردية الزاهية التي تقفز صعودا وهبوطا. ثم أخذت تعد بعناية الخرز الذي لم يكن في يديها.

كان خليل يتصبب عرقا في الهواء المشبع بالبخار ببيت الشاي. في الوقت الذي كان على وشك أن يقول به، ربما يجب على أن أطفئ النار على مياه الشاي الآن .. فلا أحد سيأتي في هذه الساعة، سأله حسن وهو يغطس أكواب الشاي الزجاجية في الصابون أولا ثم في ماء نظيف، مشيرًا بأصابعه المبللة إلى خارج النافذة نحو إمرأة تجلس وحدها على طاولة "وماذا عن تلك الزبونة هناك؟".

كانت معظم الطاولات على العشب فارغة. كانت تلك المرأة فقط تجلس هناك، تحدق بعيدا وتبدو حزينة قليلا. أضاف حسن "كوب أخير، ودعنا نقدم آيس كريم للسيدة المسكينة". كان الصديقان يخدمان الزبائن في حديقة الشاي منذ الصباح، يعملان جنبا إلى جنب ويمزحان معا. وكانا متعبان وايديهما مرهقة ثقيلة الحركة.

Twitter: @ketab_n

عندما رأت ناديده خليل، شعرت بعري صدرها وحاولت تغطيته بيديها. لم تلحظ أن أنوار حديقة الشاي قد أضيئت وبعض الستائر فتحت. كانت تتطلع عرضا إلى المبنى السكني في الجهة المقابلة. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. أربعة لمبات، واحد .. اثنان .. ثلاث نوافذ، اكتسى وجهها باللون الأحمر، كانت تشعر بضغط شديد على رأسها وطنين في أذنيها.

من مكانها حيث كانت تجلس في الفناء، شهدت شمس المساء تنسحب وتختفي، وقد فتحت البوابة عند النهاية البعيدة للحديقة ذات الأضواء الخافتة. كانت تفكر في يعقوب مع رعدة تنطلق من جسدها ثم تصيب من جديد رأسها وقلبها.

ظنت أنها وحدها في الفناء الخلفي للمبنى السكني في نهاية الشارع الضيق المؤدي إلى البحر في حي ساماتيا. ثم جاء والدها بجانبها تماما، رغم أنها لم تسمع وقع أقدامه وهو قادم. صاح بها قائلا: هيا سآخذك في نزهة.

وعندما لم يحصل على رد أصر: تعالي .. انهضي .. قفي .. هيا!

سألته: ماذا عن أمي؟.

قال: أنها لن تريد أن تأتي على أي حال.

Twitter: @ketab_n

أخذت ناديده تدخل وتخرج من حجرات المنزل بمرح، وتتطلع إلى نفسها لفترة طويلة من أعلى إلى أسفل أمام مرآة كبيرة تظهرها كاملة. أغلقت باب خزانة الملابس المصنوعة من خشب الجوز بعنف.

حسنا، أنها تستحق ذلك! لا ينبغي لها أن تأتي إلى أي مكان معنا. فلندعها تنتحب وتحول النهار إلى ليل! أين رستم وتلك الفتاة التي تستحق قطع رقبتها؟ نعم، فلينفقا أموالهما على العربات التي تجرها الخيول والقطارات والحلوى وشواطئ البحر والسينما ... ليتمتعا طوال الوقت. أن رستم هذا لا يحسب أي حساب للغد، وكذلك ابنته. كل ما يهمهما هو اليوم! فليتمتع هذان اللعينان بالأكل والشرب في الشوارع القذرة! مثل زوجين من الأغصان يهيمان دون أن يضعا لهما جذورًا في أي مكان. كيف ستعرف تلك الفتاة من أين أتينا، أين وطننا، كم طقسه جميل وكيف هي مياهه وتربته الخصبة ...

على ذكر شوارع إسطنبول القذرة، خطر على بالها يد يعقوب النظيفة الدافئة المستعدة للتواصل. أنها أول شيء لفت نظرها به، عندما رأت أصابعه الرقيقة الطويلة، ثم وجهه وعينيه، وشفاهه المبتسمة ... "أنكين" صديقتها من الحي التي تسير بجوارها مباشرة عرفت ذلك ... أمها أيضا ... ناديده يمكن أن تنظر لمرة واحدة ثم تخفض رأسها. بعد أيام، قالت لها أنكين: أنه يحبك كثيرا يا فتاة، لا يمكنه أن يتغلب على مشاعره نحوك ...

Twitter: @ketab_n

كانت ناديده تنظر نحو الضوء بشرفة المنزل المقابل وهي تمسك حافظة نقودها بإحكام، دون حتى أن تطرف عيناها. بدأت الرياح تهب، شعرت ببرودة المساء وفوجئت بذلك. كل الأنوار أصبحت مضاءة الآن داخل بيت الشاي، وخليل وحسن يقومان بأعمال نهاية اليوم المزعجة، ويرتبان المكان استعداد لليوم التالي. قال حسن: هل أنت راض وعلى استعداد للذهاب الآن، أجاب خليل: "دعنا نسألها الآن. دعنا نخبرها أن الليل قد حل وأن الحديقة سوف تُغلق".

لم يكن أمام ناديده خيار سوى الاستماع إلى والدتها أثناء تنظيفها البامية على عجل في المطبخ. هل الرياح باردة الآن أم ماذا؟ بدا أن أمها كانت تشعر ببرودة في هذا اليوم الصيفي الحار. كان وجهها شاحبا جافا، وقد اكتست بشرتها بلون الأعشاب المتعفنة وتميل إلى اللون الأصفر. ووسط السعال وصعوبة التنفس كانت تواصل الحديث دون انقطاع ...

فقط لكي تعرفي، هناك سبعة أوهام متواجدة دائما. في كل ركن من العالم ... سواء الآن أو في الماضي .. إنها موجودة! أكبر هذه الأوهام وأجملها وأكثرها بعثا للسرور في النفس ... أن ينجرف شخص ساذج عاطفيا بسبب عيون جميلة تغريه وتغويه بنظرة واحدة. العيون تدعو، أما الكلمة فهي الأسوأ .. الأخطر على الإطلاق! انها مصيدة!

فإنك تظنين أن قلبك هو عقلك، تظنين أنه يخبرك بالحقيقة .. يحاصرك ويأسرك، فتقولي أنا لا أريده أن يغادر مكانه بجانبي أبدًا .. هذا هو بالضبط ما كنت أريده وانتظره طوال حياتي. ستظنين أن الحب

Twitter: @ketab_n

سيستمر إلى الأبد، وستنظر إليك تلك العيون بنعومة دائما .. ستظنين أنك القوة الوحيدة في هذا العالم، في عينيه.

غادرت الفتيات، أنهن جميعا دجاجات الربيع*! ركضن جميعا ...

بعد الحب ...

كلهن على خطأ ... وهذا للأسف سبب تسمية الجنس اللطيف بـ ... "ميراج" أو السراب!

بعد ذلك ينظرون ويرون أن العيون ليست هي نفس العيون، والكلمات ليست نفس الكلمات ... تغيرت مع الساعات والأيام والسنين ...

زوجين من العيون أصبحتا غريبتان عن بعضها البعض. ويوما ما يكتشفون أن الكلمة التي سعوا إليها أصبحت شرا، والنظرات أصبحت عدائية، والحياة مثل شفرة منشار تدفعك نحو الجدران وتلتهمك تماما. تصبح الحجرات التي تعيش بها سجنًا، والعالم مكانًا للمعاناة. آه! سراب!

هذه هي الأيام! أنظري إلى أبيكِ .. رستم!

---

* كلمة تطلق على شخص ساذج، خاصة إمرأة صغيرة السن، بمعنى سلبي (المترجمة).

Twitter: @ketab_n

هذه الأماكن لا تضاهي وطنك أبدًا. أنتِ تعلمين كيف يمكنها أن تغير أي شخص، قبل فترة طويلة أسرت إسطنبول والدك. طالما جذبه الليل، فلم يعد قادرًا على تمييز ما هو سيء وما ممنوع ... وتركته يطارد البهجة بالأماكن البعيدة والغريبة.

ناديده لم تهتم وتركت النافذة مفتوحة في غرفتها في الجهة المقابلة للبئر. ظهرت يدي يعقوب بلمسة خفيفة عند حافة الشباك الخشبية. في الطقس الثقيل والليالي الحارة جدا كان يعقوب دائما لطيفا وغير متعجل وممتلئ بالبهجة .. أنفاسه لها رائحة التبغ، ولحيته لم تظهر بشكل كامل بعد

لحسن الحظ، وتحك برفق كل مكان تلمسه. في الصباح، غادر يعقوب مخلفا وراءه تلك الرائحة الجميلة من العرق، رائحة جلده تملأ الغرفة وتصبح أقوى شيئا فشيئا.

بعد تلك الليلة، كانت ناديده تفتقد دائما هذه الرائحة عندما افترقت هي ويعقوب، ولم تستطع رؤيته.

بينما كانت تجلس على الكليم الموضوع على الأرض خلف البئر مباشرة، مشى حسن برفق على أصابع قدميه فوق الملابس التي القتها والدتها على الأرض. سار أمام علبة الخياطة واقترب. نظرت ناديده إلى وجه الشاب الذي ظهر فجأة أمام عينيها محدقة في دهشة. بدا أنه يشبه يعقوب.

Twitter: @ketab_n

قال حسن بلطف للسيدة "أليس لديك مكان تذهبين إليه يا أمي؟ انظري، أن الوقت متأخر الآن. لقد حل الظلام في كل مكان. أليس لديك أقارب؟". قالت ناديده: "لا"، اكتست وجنتيها بلون وردي، تحدثت بفخر بينما ترى الصورة في ذهنها: "لقد كنت ابنة والدي الوحيدة. لم تواتيه الجرأة كي يوافق على زواجي ممن تقدموا لخطبتي.أنا لم أتزوج أبدا يا بني".

"أمي وأبي توفيا، تركاني مقطوعة من شجرة. تركاني وحيدة".

كان خليل يستمع إليهما بفراغ الصبر، ويقف خلفهما بخطوتين ويديه في جيوبه. كان ينظر إلى وجهها بشفقة بينما يفكر في أنه يجب عليهما اصطحابها إلى مركز الشرطة.

وكان الهاتف في محفظة ناديده يرن لفترة طويلة، ولم تلحظه السيدة العجوز كأنها لم تسمعه. التقط حسن الهاتف ورد عليه. بدا صوت الشابة المتصلة متلهفا وظلت تردد: "أمي! أمي، أين أنتِ؟ أين ذهبتي؟ أبي هنا معي أيضا. إنكِ لم تجيبي على هاتفك لساعات، وكنا قلقين للغاية".

كان خليل ينظر إلى ناديده من مكان بعيد قليلا. كانت المرأة تفوح منها رائحة العرق ومشغولة البال وغير راغبة في النهوض والذهاب. أعطاها حسن الهاتف قائلا: "ابنتك تتصل بكِ". رأى نظرة السأم على وجهها وفقدان الاهتمام بالحياة. كان ذراعي جسدها الممتلئ العجوز مفتوحتان، أما روحها

Twitter: @ketab_n

فتبدو مغلقة أمام العالم ... فتحت عينيها باتساع وحدقت بهما بشكل مازح وكأنها نظرة فتاة صغيرة بريئة للغاية ومدللة...

ابتسمت فجأة ثم قفزت كما لو كانت ممتلئة بفرحة اللعب. استمعت ناديده لصوت ابنتها دون أن تتعرف عليه. قالت بنبرة عالية: "من أنتِ؟ من؟" ثم بنبرة ضعيفة ومسموعة بالكاد "أي سراب أنتِ؟"

في الشارع الذي يمر بحديقة شاي (الوادي الأخضر)، بدأ رذاذ خفيف من المطر يتساقط فجأة، بينما تمر السيارات الأنيقة وصوت الأغاني يدوي من نوافذها. من داخل البيوت، ينعكس ضوء التلفزيونات على النوافذ. ركاب الحافلات التي توصل الجمهور إلى الأسواق الضخمة في رحلات مكوكية ينزلون منها إلى وهج الأمطار أمام المصابيح الأمامية البيضاء للحافلة وأيديهم محملة بأكياس البلاستيك. من مكان بعيد، تُسمع صافرة قوية لحارس أمن ويتردد صداها في الليل ...

قالت أبنة ناديده: "أنت تدعين أنكَ نسيتي، لكنك لم تنسي".

كانت متعبة وغاضبة.

ذاكرتك سليمة، في الواقع ... كل ما يهمك هو جعلنا نحزن ... ثم ذلك الخرز الذي لا يمكنك الانتهاء من عده أبدًا ...

Twitter: @ketab_n

سيزار اتش أيواظ

ولدت أيواظ عام 1956 في أنطاكيا. درست علم الاجتماع في جامعة إسطنبول، وحصلت على الماجستير في السياسة وعلى شهادة الدكتوراه في الأدب التركي، ثم درست علم الاجتماع والفلسفة. نشرت العديد من المقالات والمراجعات النقدية الأدبية والثقافية بالصحف والمجلات.

منحت جائزة Akademi Kitabevi للقصة القصيرة عام 1987 لأول مجموعة قصص قصيرة لها "كل فنادق إسطنبول قصر Bütün Oteller" "Istanbul Palas. واتبعتها بمجموعات قصصية أخرى هي "الصيف في المرآة" Aynalarda Yaz عام 1988. و"أرض تقسيم" Yeryüzü Taksim عام 2000. وحصلت مجموعتها الثالثة Tamiris'in Gecesuçlari التي نشرت عام 2006 على جائزة يونس نادي في القصة القصيرة.

Twitter: @ketab_n

(10)
لماذا قتلت نفسي في إسطنبول

ماين سوجوت

أتعرف تلك المدن المقدسة في الأراضي البعيدة التي يسافر إليها الناس كي يموتوا؟ أتعرف كيف يرقد الناس على وسائد قذرة في معابد مهدمة بالقرب من البحيرات وينتظرون الموت بشدة؟ مثلهم، جئت إلى هذه المدينة من أرض بعيدة لوضع حد لها ... لاقتل نفسي.

في الواقع، لو تركوني وشأني، لأمكنني الموت بشكل ملائم في المدينة التي ولدت بها، عندما يحين الأجل بالطبع. لكن الحياة نغزتني بعصا عفنة. قالت .. انهضي .. ابقي بصحبة الحمق .. اسعي وراء الجنون .. وراء الطموح .. وراء الشك وعدم الإيمان .. انهضي واذهبي إلى تلك المدينة، هيمي في شوارعها، مارسي الحب في كل ركن فيها. اصعدي لأعلى تلالها، وانزلي إلى أسوأ حفرها.

Twitter: @ketab_n

منذ اليوم الأول الذي وصلت به إلى هذه المدينة، تخفيت تحت كل ستار ممكن، وتنقلت من اختيار أمر خطر إلى آخر. في أهدأ حي في شقة عادية في مبنى عادي جدا مع زوج عادي وأطفال عاديين. حتى لو عشت حياة عادية بصدق، فإن شعري الأحمر، الأشقر، الأسود، سيتدلى من النافذة ويتسلق الخطر عليه.

في أحد الأيام طعنتني الغيرة بقلبي. وفي اليوم التالي طعنت زوجي بقلبه. هناك دائما سكينا ذا مقبض أسود في مطبخي.

الفقر يُرى أن له رائحة الموت.

وضعت أطفالا واحدا تلو الآخر. بعضهم ربيته، والبعض الآخر تركته للشوارع. الحرائق تندلع في بيتي. أحيانا أقذف بنفسي في اللهب لإنقاذ أطفالي. وأحيانا أصاب باهتياج شديد عندما أفكر في أولئك الذين ابتلعتهم النيران. هناك بضع مرات تسببت خلالها الأبخرة المتسربة من اسطوانة غاز أو الأدخنة القادمة من مدخنة في قتلي أنا وأطفالي ونحن نضم بعضنا بعضا في السرير.

أحيانا أنا فتاة شابة تعمل في صالون لتصفيف الشعر. اعتني بأيدي أو أقدام النساء اللاتي لن أرتدي أبدًا نفس ثيابهن، أو أحب نفس الرجال اللاتي يحببنهن، أو أحزن على نفس الأشياء التي تحزنهن، واضعة اقدامهن على ركبتاي النحيلتان المرتجفتان. ووسط المقصات ومبرد

Twitter: @ketab_n

الأظافر وطلاء الأظافر ومزيل طلاء الأظافر والصابون والكريم، والسرور والألم، ورغما عن أظافري الوردية القصيرة، أصاب بانهيار عصبي. شيطاني المجنون تحول ضدي، إنه يستمع إلى أحاديثهن التي لا تنقطع، يوما ما سيهرب من داخلي ويقتلكم، أنا أو جميعنا واحدة تلو الأخرى، أريد أن أخبرهن. لكني سقطت صامتة.

عندما يتحول صمتي إلى صرخة كبيرة، أكون بعيدة، بعيدة جدا. عن كل أقاربي، عن كل شخص أعرفه، عن أحلامي، عن مشاعري ... إلى أبعد حد ...

لنقل إني في غرفة فندق في بيوغلو. أقف أمام المرآة أحدق في وجهي الشاحب. الماكياج يلطخ وجهي، بؤبؤ عيني صغير، صبغة شعري المتقصف باهتة، الروح الواهنة لقلبيَ ممزقة. سأمنح نفسي اسما جديدًا كل يوم. وسوف تكون جميعها أسماء زهور. واسما مختلف لكل رجل. أنا وردة، بنفسج، نرجس، ياسمين، الزهرة الزرقاء ... وأحيانا كالنديولا.

هناك أوقات أجوب بها الشوارع طوال الليل. أحمل زجاجة خمر في يدي، وأنام على الأرصفة. أحيانا أستند على الجدران، وأجثم فوق الحجارة، وأركب سيارات الغرباء. يمكنك أن تراني في الشاحنات، ومعي سيجارة بيدي ولسان يسب ويلعن. هناك دائما رياح عاتية فوق رأسي، تفجر قدري من حولي.

Twitter: @ketab_n

أنظر من نافذة الشاحنة. فتاة صغيرة تجلس على الرصيف تجذب نظري. ترتدي ملابس رثة قذرة، حافية القدمين، والمخاط يسيل من أنفها. أعلم أن أمها في مكان قريب. كانت أمها تراقبها سرا وهي جالسة القرفصاء تحت شجرة قريبة. رفعت الفتاة رأسها وحدقت بلا أي إنفعال في المارة. بيدها الصغيرة الخفية كانت تتشبث بأرجل أولئك الذين تتمكن من تتلتقي عينيها بأعينهم قائلة: "نقود، أعطني نقود". ويجري بولها مثل نهر صغير أسفل الطريق. لقد أنجبت العديد من الأطفال الذين لقوا مصرعهم غرقا في هذا النهر.

أحيانا في هذه المدينة، أنا فتاة حامل عمرها ستة عشر عاما. استلقي على أريكة يمكن أن تتحول إلى سرير في المنزل، أو أجلس على طاولة وأبكي. ماذا لو لم يأت زوجي إلى المنزل؟ ماذا لو ضربني مرة أخرى الليلة؟ هل سيموت الطفل بداخلي؟ هل سيقتلني الطفل الذي بداخلي معه عندما يموت؟ لو كان بإمكاني أن ألجأ إلى أبي، لو كان بإمكاني أن أطلب منه انقاذي،

هل سيفتح الباب لي؟ أم هل ستصوب فوهات المسدسات نحوي، أو أرجم حتى الموت؟

ثم ألد طفلي في المنزل، وحدي. قد امزق الحبل السري بأسناني مثل قطة. ويبكي الطفل دون توقف لمدة ثلاثة أيام. وكلما بكى كلما وجه زوجي لكماته

Twitter: @ketab_n

إلى الجدران. وفي النهاية ينتزعه ويمسكه من سترته الصوفية ويلقي به من النافذة. ماذا تفعل أم قُتل طفلها وحدها في هذه المدينة الضخمة؟

أنا أحد الذين يسرقون حقائب اليد النسائية في الشارع، الذين يرقدون أسفل الغرباء في أِسرَّة قذرة. الجيوب الخفية بردائي مليئة بفواتير غير مدفوعة. منذ قرون، جئت إلى هذه المدينة من أرض بعيدة.

لا أرى عبر نافذة الغرفة الوحيدة التي تخصني سوى الظلام. لهذا لا استطيع رؤية ماضي أو مستقبلي. في حياة شديدة السواد تتصف بالزحام والوحدة معا.

إذا سألتني، سأقول لك إني فعلا أحب هذه المدينة. أنها واسعة ومبهجة ومغرية. وتبدو مليئة بالوعود. ولكن هذا مجرد وهم. لهذا أشعر بالدوار وفقدان الوعي. فحبي وجنوني كلاهما وهم.

أنا أقضي عقوبة في سجونها. القنابل تغطي جسمي كله والمسدس في جيبي، وأحلم. ماذا لو كان بإمكاني تفجير هذه المدينة التي لم أتمكن من هزيمتها؟ ماذا لو كان بإمكاني أن أحول الرجال الذين لم أنم معهم إلى أشلاء

Twitter: @ketab_n

.. أن أطعن الأطفال الذين لم ألدهم بعد في قلوبهم مباشرة .. أن أمثل أمام المحكمة وأنا أغني الأغاني الجبلية التي جئت منها؟ من الأقوى، المدينة أم أنا؟

أحيانا اقتحم الأحياء المظلمة من المدينة. النساء لونهن أسود كما الفحم. زرت كل القبور وأنا اتعثر داخل كذبة مقدسة، واحدًا تلو الأخر. جميع الصلوات التي أعرفها أصبحت مطرًا ينهمر عليّ. في تلك اللحظة، آمنت بكل شيء ... خاصة بالجحيم، بالمعاناة في القبر، وأن خطاياي لن تسقط من فوق كتفي أبدًا، لا في هذا العالم ولا في العالم الأخر ... وإنني أنا نفسي تجسيدًا للخطيئة.

لو كان بإمكاني أن أحمل المدينة في كف يدي، وأن أفركها وأنظفها وألمعها بقطعة قماش، ربما تتطهر المدينة من الخطر والتهديد؟ هل يمكن أن يصبح للمئات والآلاف من نماذج النساء أخيرًا مصير جديد؟

هذه المدينة تخص الرجال منذ قرون ولا تعرف كيف تحب النساء. لهذا السبب، أقتل نفسي مرارا وتكرارا كل يوم في هذه المدينة. أنفجر مثل قنبلة. أقفز من أبراجها .. ومن جسورها. أمسك سكين في يدي وأطعن جسدي في كل مكان. كل حبال الأسقف متدلية إلى أسفل، لذا قد أشنق نفسي. السيارات تتجول مسرعة، يمكنني أن أقفز أمامها. أن أكون جثة مجهولة غارقة في بحرها أو بالوعاتها، أو مقالب القمامة بها. شجاعتي الهائلة ستناسب أضيق الحفر في مقبرة مجهولي الهوية.

Twitter: @ketab_n

ماين سوجوت

ولدت في إسطنبول في عام 1968. درست في قسم اللاتينية في جامعة إسطنبول وحصلت على البكالوريوس عام 1989 وبعد ذلك الماجستير. بدأت عملها بمجال الصحافة في عام 1990، وعملت كمراسلة أو كاتبة أو محررة لصحف "كوناش جازيتاسي" و"يني يوزي"، ومجلة "تيمبو" الأسبوعية، وبمجلة "إيكوزي" الشهرية عام 1993.

منحت تكريما في مجال الأخبار من جمعية الصحفيين التركية. وعملت ككاتبة سيناريو لسلسلة "هابيرسي" للأفلام الوثائقية التلفزيونية من 1996 إلى 2000. ظهرت كتاباتها ومقابلاتها في العديد من الصحف والمجلات، وكانت قد نشرت أربع روايات، ومنها Beş Sevim Apartmanı عام 2003 و Kırmızı Zaman عام 2004، وترجمت كلتاهما إلى لغات أخرى، ومجموعة القصص القصيرة "حكايات إمرأة مجنونة" Deli Kadın Hikayeleri عام 2011.

Twitter: @ketab_n

(11)
قصيدة لبلدي إسطنبول

ستيلا إيسمان

"لماذا يجذبنا الماضي مثل بئر؟ أعلم إني لا أسعى وراء شخوصه، ولا أتوق للأزمنة التي سكنوها. لا .. نحن لا نهتم لمثل هذه الأشياء بالماضي. انه الخواء الذي يخلفونه وراءهم هو الذي يجذبنا إليهم. نبحث فيهم عن جزء من أنفسنا نعتقد أنه فقد، سواء ترك أثرًا أم لم يترك. الحنين هو عالم في حد ذاته. يمكننا من تفسير الماضي، وبالتالي العيش بشكل أكثر جدية في الحاضر*".

بينما أنا جالسة أكتب هذه السطور إليك في حديقة الشاي بمنطقة قلعة روملي حصار وأنظر عبر مضيق البوسفور إلى أشجار يهوذا الآخذة في التناقص على الشاطئ المقابل الذي يحمل ذكرياتنا، بدأت أفكر "في وقت ما في الزمن الماضي ..."، لكن بعد ذلك تذكرت أن تلك الأوقات ليست ببعيدة.

---

* من بالبحث الأدبي"خمس مدن" للأديب التركي أحمد حمدي طانبينار.

Twitter: @ketab_n

استعدت ذكرى تأملي روعة اللون الأرجواني الخفيف لأشجار يهوذا في الربيع عند صيد السمك بشاطئ أرناؤوطكوي البكر الذي لم تكن قد وصلت إليه يد التخريب بعد. من الذي سمح بأن تحل تلك المباني الاسمنتية مكان الأشجار؟ إنها وحشية قاسية تكسر إحدى الروابط التي تربطني بالبوسفور.

على ذكر أرناؤوطكوي استعدت ذكرى الرائحة السحرية التي كنت اشمها كلما مررت ببائع خضر في ذلك الموسم المميز، حيث كان يعتريني شغف مفاجئ بالفراولة القرمزية الصغيرة التي ما أن أكلتها مرة واحدة فإنها تترك طعما رائعا بحلقك.

كنت أقول لبائع الخضار "اثنين كيلو من فضلك". في تلك الأيام كانت فراولة أرناؤوطكوي مصدر فخر وسعادة للبائعين الذين يعرضونها بعناية مثل جواهر أنيقة في سلال منسوجة يدويا ومبطنة بأوراق الشجر ويضعونها في مكان بارز في واجهة الأكشاك بالسوق.

"فراولة أرناؤوطكوي! لا تشبه أية فروالة أخرى يا مدام!"

كانوا يطلقون الصيحات لمدح سلعتهم التي تتنظر أن يصنع منها مربى أو تزين طاولات العشاء. التربة التي كانت تنتج ذات يوم فراولة متميزة تم صب الخرسانة عليها بالفعل. حاول بعض الناس منع أراضيهم من السقوط تحت الأيدي القاسية للرجال ذوي المعاول، ولكن للأسف دون جدوى. بدلا

Twitter: @ketab_n

من الاستجابة لشكوى الأرض الحزينة، اختارت العيون الجائعة النهمة والأيدي القوية ضرب بطن الأرض دون التفكير لثانية.

وبينما اختفت أراضي زراعة الفراولة في أرناؤوطكوي، تضاءل حجم سلال عرضها. لا تزال معروضة أمام أكشاك باعة الخضار، ولكن جمالها الآن يحمل حزنا.

في صباح أحد الأيام منذ سنوات، عندما كنت اشتري إحدى الصحف في سوق أرناؤوطكوي، رأيت سيدة مسنة تجلس على الرصيف أمامها سلة صغيرة من فراولة زرعت في حديقة منزل خشبي صغير يقع بين المباني السكنية الشاهقة ولم يستسلم بعد للعصر.

قالت السيدة العجوز "في كل عام تمدني تلك القطعة الصغيرة من الأرض بملء عشر سلال صغيرة. احتفظ ببعضها لأولادي وأحفادي يأكلون القليل منها طازجا ويستخدمون الباقي في صنع المربى. أما ما تبقى من الفراولة فأضعه في هذه السلال وأعرضه هنا. إنه أمر يحطم فؤادي إذا نسي الناس هذه الفراولة الصغيرة ذات الطعم الرائع. بعد موتي، سيبني أبنائي كتل خرسانية ضخمة على تلك الأرض الخصبة، وستختفي هذه الفراولة اللذيذة إلى الأبد، أعرف ذلك".

هذه هي المرة الأولى والأخيرة التي رأيت بها هذه السيدة مع سلالها من فراولة أرناؤوطكوي، حينها قلت: "أنك يا بلدي إسطنبول تفقدين قدرتك على النضال تدريجيا".

Twitter: @ketab_n

بينما اتحدث عن المذاقات المفقودة، دعني أخبرك بالمزيد. هل تذكر كم كنت أحب الخرشوف؟ بالطبع لا أقصد ذلك الخرشوف المعقم الأصفر الباهت الذي بلا طعم الذي اعتدنا رؤيته يسبح في أوعية بلاستيكية متعددة الألوان من ماء الليمون في كل زاوية قبل بداية الموسم. لابد أنك تتذكر، لأن وجهك يصبح حزينا فجأة وكأنك تقول "هل هذا خرشوف حقًا؟". ماذا حدث لك؟ هل فقدت روحك؟ إذا كان الأمر كذلك، لماذا لم تسع وراءها؟

على أي حال، سنتحدث أكثر عن ذلك لاحقا. أريد أن أعود للحديث عن الخرشوف مرة أخرى، خرشوف حي بيرم باشا المعروف _ خاصة بالنسبة للشباب_ بالسجن الذي يقع به. في الوقت الحاضر، هذه المنطقة صناعية مزدحمة سريعة الحركة بها كثير من المساكن التي بنيت دون تخطيط، لكنها في الماضي كانت تتألف من حقول منتجة غنية، تزرع خرشوف ذو لون يشبه لون اللوز الأخضر مع طعم رائع يبقي في الفم لفترة طويلة بعد تناوله ولا يمكن نسيانه أبدًا. أشعر بلمحة عابرة من الحزن على وجهك الذي خلف به الزمن أخاديد عميقة. يا له من خزي أننا لا نستطيع أن نعيد عقارب الساعة إلى الوراء.

كم من الناس كانوا يستطيعون مقاومة الرائحة الجذابة للبن المطحون الطازج المنبعثة من محل محمد أفندي تاجر القهوة؟ في هذه الأيام نشتاق

Twitter: @ketab_n

لتناول فنجان من القهوة التي تعد على مهل وتجهز بمحبة بكنكة نحاسية على نار هادئة، في حين يتربى أبناءنا على الكابتشينو والإسبريسو واللاتية في المقاهي الصاخبة التي انتشرت في زاوية كل شارع. لازالت حاسة التذوق لدينا تتوق إلى مسرات الماضي. ولكنك تخفي نفسك بعيدا في زاوية، صامت كما هو الحال دائما، تتخذ من دموعك ملجأ.

أتذكر الأيام السعيدة التي عشناها معا أنا وأنت. الأوقات التي لا تنسى التي قضيناها في يشيلكوي .. ذلك المكان رائع الجمال في المدينة التي تشعرك بالشباب والنضارة. هل تذكر كيف كانت الحياة تدب بالشوارع المرصوفة بالحصى بسبب ضحكاتنا المرحة ووجوهنا السعيدة والزهور المتفتحة وأشجار الصفصاف والزيزفون؟ هل تذكر كيف كنا نركب الدراجات ونقودها عكس اتجاه الريح كما لو كنا في سباق بالشوارع المحيطة بالقصور والفيلات. كيف ضحكنا عشرات المرات على كل كلمة نقولها، كيف كان الناس جميعا يعرفون بعضهم البعض ويتبادلون التحية والسؤال عن الأحوال، كيف كان النسيم يهب ويمر عبر شعرنا؟

أتعلم أن الحروف الأولى من أسماءنا التي نحتناها على جذع إحدى أشجار الصنوبر القديمة التي يبلغ عمرها مئات الأعوام في حديقة (رون) لا تزال موجودة وواضحة كأنها كتبت بالأمس؟ حرفي I و S داخل قلب نصفيه غير متماثلين في الحجم كأنها تنتظرنا، لا تزال الشجرة تدندن

Twitter: @ketab_n

"تعاليا وأجلسا في ظلي، استنشقا الرائحة النفاذة التي امنحها لكما، تأملا اتساع السماء واهمسا بكلمات الحب".

أنت تتذكر، أليس كذلك؟ تلك الأيام عندما كان الأطفال يلعبون تحت الأشجار، ويقفزون فوق الصخور الحادة للوصول إلى البحر المتلاطم وينادون بعضهم البعض بخليط من أربع لغات؟

التركية، اليونانية، الإسبانية، الأرمنية ...

عائشة، نجم الدين، صباح الدين، لاكي، ديمتري، سيتا، آرام ، إستر ...

لقد اعتدت أن تنظر بحسد إلى صداقتهم ورفقتهم الودودة وصلتهم القوية التي لا تكترث لاختلاف الدين أو اللغة أو العرق. كانت رؤيتهم تجعلك سعيدًا جدًا. كنت تفخر بنفسك في ذلك الوقت بشأن ثقافتنا متعددة الأديان وامتزاج صوت الآذان مع أجراس الكنيسة.

يعيد إلي الحديث عن الآذان ذكريات ذلك المؤذن الشاب الوسيم ذو الصوت الجميل بالمسجد المجيدي. أتذكر كيف كانت أمي العزيزة الراحلة تجلس هي ووالدتها فاطمة هانم متقابلتين على مقاعد ذات مساند مبطنة مريحة بجوار نافذة غرفة الجلوس في القصر القديم ترددان الأدعية سرا أثناء استماعهما إلى آذان الفجر في سكون.

Twitter: @ketab_n

كانت السكينة تنزل على نفوسنا عندما نسمعه يؤذن للفجر بصوته الرخيم الهادئ. وكثيرًا ما تساءلت عما إذا كان لديه معجبين يضحون بنومهم من أجل الاستماع إليه. كانت والدتي تقول: "أراهن أن هذا المؤذن بارع في غناء أغانينا التقليدية. بإمكانه أن يتفوق على أي من مطربينا المحترفين".

أتذكر كيف كانت أمي مغرمة بالموسيقى الكلاسيكية التركية؟ كم كان جميلا غناؤها أثناء عزفها على البيانو؟ أتذكر أداءها البديع للأغاني الذي تنزل به إلى طبقة القرار التي تحتاج طول نفس وقوة صوت؟ لم تكن أمي تختار أبدًا الأغاني السهلة.

في سنواتها الأخيرة، كانت كمن حُكم عليه بمشاهدة التلفزيون. فقد اعتادت أن تتنقل بين القنوات في محاولة للعثور على أنغام موسيقاها الأصيلة الأثيرة. وكلما رأت أحد الفنانين القدامى يختفي الحزن من وجهها الجميل وتبلل الدموع عيناها وتتنهد بعمق قائلة: "آه، آه، ماذا حدث لكل تلك الملاهي الليلية الكبيرة والمطربين؟"

فهمت من الطريقة التي عبس بها وجهها أنها تفتقد تلك الأيام البراقة عندما كان التصفيق يكاد يسقط المنزل في اللحظة التي يظهر بها على المسرح زكي موران أو بهية أكسوي المعروفة باسم "صوت البوسفور" وهي تتلألأ بشعرها الأشقر الفاتح وثياب السهرة الأنيقة بأماكن اختفت

Twitter: @ketab_n

الآن بعد أن قضى عليها الزمان وتغير الثقافة، مثل كازينوهات تقسيم ماكسيم وكازابلانكا وكوتشوك سيفتليك وبيبك ماكسيم وتاسليك وكاكيل.

إذا قلت لها "أغزفي شيئا يا أمي لأجل حبيبي!"، فإنها تذهب الى البيانو الروسي القديم، ثم تتصاعد نغمات لحن لرفيق طلعت بمقام "سماعي ماهور" _ أحد مقامات الموسيقى التركية_ من مفاتيح البيانو البيضاء والسوداء، وتتردد صداها عبر حدائق القصر يصحبها زقزقة العصافير وطيور الحسون التي تملأ فروع أشجار السنط والصفصاف.

عندما سألتها لماذا اختارت هذا المقام، أجابت: "إنه يعبر عن لون ورائحة إسطنبول التي أحبها، وبه مسحة من الحزن"، ثم واصلت العزف.

يا أمي الحبيبة الغالية.

في إحدى السنوات، عندما بدأت تفقدين قدرتك على مقاومة الزمن، شعرت بأن حبي لك بدأ يتحول إلى كراهية، فقررت الابتعاد عنك لأمنع نفسي من أن يترسخ لدي هذا الشعور. المكان الذي ذهبت إليه ليس له علاقة بالقرب أو البعد عنك. أنا فقط لم أرغب في الاعترف أو التسليم بالتحول الذي كان يحدث. كنت غاضبة جدا منك حتى إني أردت أن يبتعد عنك الآخرين الذين يحبونك أيضا.

قلت لأمي "انظري كم هو المكان جميل هنا. لماذا لا تأتين أيضا؟ تأتي وتعيشين معي".

Twitter: @ketab_n

أجابت: "لا أستطيع. لا أستطيع أن أترك هذا المكان يا عزيزتي. رغم كل الخسائر والفقدان والتغيرات والنكسات لا يوجد مكان غير إسطنبول يمكن أن يرضي روحي. أنا لست مستعدة للمعاناة من الحنين إلى الوطن بعد. يوما ما .. ربما ... ".

إلا أن "يوما ما" هذا لم يأت أبدًا.

كان ذلك أيام كانت بيوغلو تعرف باسم بيرا عندما استقبلتك أمي لأول مرة. كان ذلك في شقق بوزوغلو المعروفة سابقا باسم شقق بوكيس، المبنى الذي بناه سيد البناء الأرمني البارع في شارع قريب من مدرسة ليسيه جالاتا سراي. شقق بوزوغلو هو الاسم الذي اطلقه عليها الملاك الجدد الذين حطموا قلب الأناضول بعد تم إبعاد ملاك المبنى الأصليين اليونانيين إلى خارج البلاد عام 1964.

كانت أمي تستمتع بالاختلاط بالحشود الكوزموبوليتانية في (بيرا) والمتأثرين بحضارات شتى كي تسمع كلمة صباح الخير بكافة اللغات: بونجور .. كاليميرا .. بون جيورنو .. إيي جونلار. وتتردد على أماكن أصبحت غير موجودة الآن، مثل فندق توكاتليان ومقهى ماركيز ومحلات حلويات لوبون وبايلان ونكواز. كانت ترقص الفالس والتانجو مع حبها الأول الذي أصبح زوجها فيما بعد على أنغام الفرقة الموسيقية في قاعة الرقص بفندق بارك التي تراعي قواعد اللياقة والاحتشام.

Twitter: @ketab_n

أتذكر بشكل مبهم وجودي مع أمي في قاعة الطعام بالفندق الذي أصبح شيء من الماضي الآن، حيث تناولنا ما يسميه الفرنسيون شاتوبريان، وهو شرائح سميكة من لحم البقر نصف مطهية ومغطاه بالصوص. مجرد صورة من الطفولة.

في تلك الأيام، كان من غير المتصور أن هذا الفندق الرائع الراقي سيستبدل ذات يوم بكتلة اسمنتية صلبة تؤذي العين. بعد سنوات، شعرت بمزيج من الحزن والفرح عندما رأيت أن بار الفندق أصبح جزء من التصميم الداخلي لبار (ذهني) بمنطقة نيشاتاشي الذي اعتدت ارتياده.

فكرت بينما تداعب أصابعي رسومات أشجار الورود المتنوعة التي نحتها فنان إيطالي ماهر عام 1925 على شجرة البلوط الصامدة: "تُرى أي قصص يجب أن ترويها".

كتب جاك ديليون في كتابه (المذاق المفعم بالحياة لإسطنبول القديمة) .. "لقد بني على طراز النيو باروك. أكاليل من الزهور تزين أعلى واجهة مدخل الممر الذي يتخذ شكل قوس وفي وسطه ساعة محفورة، وفوق الساعة نحتت رأس إنسان وعلى الجانبين أشكال مخروطية تفيض بالفاكهة ... "

Twitter: @ketab_n

كان يكتب عن مبنى (شيشك باساجي) أو ممر الزهور الذي كان يعرف سابقا بـ (سيتي دي بيرا)، والذي انهار بسبب الإهمال محدثا هديرًا رهيبًا في ليلة 10 أو 11 مايو عام 1978، وسقطت بيوغلو في حالة من الفوضى. كان (شيشك باساجي) يتغلغل به ذات يوم رائحة البنفسج والزنابق والميموزا، ولكن بعد سنوات الاربعينات تم تسليمه تدريجيا إلى المقاهي والحانات التي فاقت في النهاية عدد باعة الزهور. كان المبنى يحاول أن يقول أنه قد أعياه تعب مائة سنة وعامين، ولكن لم يستمع أحد. كلما ذهبت إلى بيوغلو، أحول رأسي إلى جهة أخرى عندما أمر به غير قادرة على النظر إلى حالته المزرية التي تمزق الفؤاد.

تم إعادة افتتاحه بعد عشر سنوات من انهياره بعد أن قام مجلس حي بيوغلو بترميم واجهته. لكن ممر "سيتي دي بيرا" القديم كان قد فقد إلى الأبد. أن (شيشك باساجي) بطاولاته المتشابهة والجرسونات الذين يرتدون زي متطابق ويعملون تحت صفوف من المصابيح المتدلية التي هي مجرد تقليد سيء ومزيف للفن الحديث، سلم روحه في النهاية.

"عيناي تبحث عن شخص أو شيء مألوف كي يدفئ روحي ويذكرني بالأيام الماضية. أرى السيدة أناهيد .. لم تعد قادرة على المشي، تجلس على كرسي عند ناصية الشارع. هناك أكورديون معلق برقبتها، تحاول ملء

Twitter: @ketab_n

وقتها بالتدقيق في الجالسين بصفوف الطاولات. التقت عيوننا للحظة، فابتسمت من السعادة لرؤية أحد معارفها القدامى، وبدا أنها ضغطت على مفاتيح الأكورديون بمزيد من الحيوية والإحساس. انتهى بنا الحال في تلك الليلة نحدق في بعضنا البعض ونستعيد الماضي غير البعيد".

الحديث عن الماضي يذكرني بمطعم (باب كافتيريا) في شارع (يشيل شام)*. بين عامي 1968 و 1970، خلال سنواتي المفضلة كمراهقة صغيرة تودع الطفولة كان ذلك المكان هو الأكثر شعبية في بيوجلو.

يا لها من متعة كنت استمدها من مشاهدة فيلم على شاشة كبيرة تبزغ من بين الستائر المخملية السميكة في سينما (إيميك)* التي لا تزال قادرة على البقاء. وعند انتهاء الفيلم اسرع إلى المنحدر اللطيف المؤدي إلى مطعم (باب كافتيريا) التي تنتظرني عند ناصية الشارع حيث وجبات الطعام اللذيذة والعاملين المبتسمين. لعب هذا المطعم دورا هاما في حياتي، وقد اعتاد أن يرتاده أشهر مخرجي السينما مثل يافوز أوزكان وأرتم إيلماز وعمر كافور وأورهان إلماس وممدوح أون، وممثلين مشهورين مثل كمال

* شارع شهير في اسطنبول كان مقرا للعديد من شركات الانتاج السينمائي (المترجمة).

* أقدم وأشهر دار سينما في تركيا، وكان هناك جدل واحتجاجات كبيرة للحيلولة دون هدم هذه الدار الأثرية وشاشتها في النهاية وتم هدمها في 2013. (المترجمة).

Twitter: @ketab_n

سونال وفاطمة جيريك وعديلة ناشط أوزكان وطارق أكان، وكذلك لاعبي كرة القدم مشهورين بنادي جالاتا سراي مثل ياسين جيكمين.

كنا نضع النقود في صندوق الأغاني المسجلة الموجود عند الزاوية اليمنى بجوار باب الدخول مباشرة ونستمع إلى أحدث اسطوانات الأغاني الأجنبية من نوع 45 لفة. وكان أصلان بك صاحب المكان يسافر إلى الخارج بانتظام لشراء أحدث التسجيلات من أجلنا .

افتتح مطعم (باب كافتيريا) في عام 1963، ومع نهاية الثمانينات بدأت شعبيته تتضاءل. حاول الصمود لكنه لم يستطع مقاومة وتيرة التغيير المذهلة فاستسلم لثقافة البيتزا والوجبات السريعة. ولم نستطع نحن تقبل أو هضم التغيرات التي حدثت في باب كافتيريا، فقررنا أن نودع المكان ونحوله إلى ذكرى. بعد ذلك بوقت قصير، أدرك المطعم أيضا أنه من المستحيل مجاراة تلك التغيرات ورحل باحثا عن الرومانسية في مكان أخر.

لقد كنتِ ذات يوم حبي بتلالك السبعة*، لكنك استسلمتي داخل روحك لبائعي الهوى وتكاثرتي وأصبحتِ مترامية الاطراف. في

* تأسست اسطنبول في البداية على سبعة تلال وبعد ذلك تشعبت طرقها واتسعت. حتى اليوم حيث تعتبر مناطق التلال أكثر الأماكن جمالا وعراقة بالمدينة، فضلا عن كونها مليئة بالمزارات السياحية الهامة. (المترجمة).

Twitter: @ketab_n

البداية كنت مجرد مراقب، أدفن حزني بداخلي عندما كنت تخدعيني. لم أكن أهتم إذا كنت قد أصبت بكل ضربة مطرقة ضربت جسدك الجميل الأنيق، كل جرافة داست عليك. بدا أنك تدفعيني بعيدا. لقد توقفتي عن غناء الأغاني التي أحبها: "ليالي على جزيرة هيبلي"، و"بالأمس نظرت إليك من قمة التل يا حبيبتي إسطنبول"، "جدف بعيدا يا حبيبي، دعنا نستلقي على المياه الزرقاء" و"كالاميس"* .

الظلال الداكنة التي بدأت تظهر على وجهك الجميل تغلغلت تدريجيا إلى عينيك وجسدك الرقيق الذي ما زلت لا يمكنني مقاومة لمسه. لم تعودي قادرة على تحمل ما يحدث لك جسديًا، والأهم من ذلك إني شعرت أنك تفقدين روحك. الدموع في عينيك والألم على وجهك يخبرونني بأنك تطلبين مني المساعدة. ولكن ماذا فعلت أنا؟ بدلا من مساعدتك في إنقاذ الأجزاء التي بقيت سليمة منكِ أخترت أن أضحي بك لتلك المعاول غير المرئية. هربت.

لقد اعتدتِ أن تشتكي خلال السنوات الماضية "روحي تؤلمني، جسدي يحترق ...". وفي الوقت الذي كنتِ تعانين به كنت أبحث أنا عن سبل لإبعاد نفسي عنك كي أتجنب مشاهدة أثار الشيخوخة تزحف على جسدك يوميا، ووجهك يذبل، وروحك تضعف وتضيع.

---

* حي باسطنبول.

Twitter: @ketab_n

في ذلك اليوم الذي قلت لك به "سأرحل الآن وأتركك"، أمطر حزنك علي وأغرقتني بدموعك.

في اليوم الأخير، بينما أتجول في أحب أرجائك إلى قلبي _ السلطان أحمد .. البازار المصري .. بيوغلو .. كيليدبي .. يشيلكوي .. جيهانغير ..نيشتاشي _ أظهرتي لي مقال صحفي وقد وضعت علامات تحت فقرات معينة به بالقلم الأسود.

هل أهلك من هنا أم من مكان آخر يا فتاتي؟

من أي جزء أنتم في إسطنبول؟

عمدة بولونوزكوي: دانيال أوختسك، من الجيل الخامس الذي ولد ونشأ في إسطنبول.

رئيس بلدية إسطنبول: ولد في آرتفين، جورجيا.

رئيس حي شيشلي: ولد في ارزينجان.

رئيس حي امينونو: ولد في ملاطية.

رئيس حي بنديك: ولد في ساكاريا.

رئيس حي عمرانية: ولد في باليكسير.

رئيس حي أوسكودار: ولد في طرابزون.

رئيس حي كاديكوي: ولد في موش.

Twitter: @ketab_n

رئيس حي غازي عثمان باشا: ولد في كاستامونو ...التي بها مطعم كونيالي الأكثر شهرة!

أما غازي عثمان باشا العظيم نفسه فقد ولد في مدينة توكات.

أتذكر إنني نظرت إلى وجهك وأنا أشعر بالخجل والعار بعد قراءة هذه المقالة. عندما رأيتِ ذلك التعبير على وجهي قلتي "أنتِ سلمتني لهم". رفض الشاي الذي كنت اشربه أن يمر عبر حنجرتي وشعرت باختناق. لقد كنتِ على حق. أنا التي جلبت لك هذا الوضع. فشلت في أن أكون وفية لحبي. ما خسرناه أصبح الآن بعيدا جدا لكلانا. فات الوقت للأشياء التي استسلمت لظلام الماضي أن تعود كيفما كانت.

الليلة الماضية بكيت بغزارة وأنا أتأمل شبه الجزيرة التاريخية من إسطنبول القديمة من شرفة شقة صديقي في جيهانغير. في الظلام الصامت من تلك الليلة، كان كل شيء _ المشهد الضبابي تحت الاضواء الصفراء بتوب كابي سراي، وصفارات سفن الركاب التي تمر عبر المياه الزرقاء لبحر مرمرة، والنوارس التي تصيح وتحلق فوق رأسي_ كلها تخبرني كم أحبك وكيف لم استطع أن ابتعد عنك أبدًا حقا.

لأن الخجل كان يغمرني، لم أتمكن من قول أي شيء لك عندما غادرت. على أي حال أنتِ لا تحبين الوداع أبدًا، ودائما على ثقة أن الناس سوف يعودون إليكِ.

لذلك اغفري لي يا حبيبتي كل الأخطاء التي ارتكبتها في حقك.

Twitter: @ketab_n

وانتظريني يا مدينتي الحزينة.

هذه قصيدتي إليكِ يا إسطنبول.

يا بلدي الحبيب إسطنبول.

ستيلا إيسمان

ولدت في إسطنبول عام 1953. تعمل مؤلفة وسيدة أعمال. تخرجت من كلية إدارة الأعمال بجامعة إسطنبول عام 1974 وبدأت العمل في القطاع الخاص. نشرت أول رواية لها "الجميلة" Bella عام 2002، تلتها رواية "حياة السنونو" Kırlangıçların Ömrü عام 2003. ثم رواية Bir Masaldı Geçen Yıllar 1926 – 1960 عام 2006. استقرت بالإقامة في شمال قبرص عام 2003، ونشر كتابها الرابع "جزيرة مزدحمة بعيدا" Orda Bir Ada Var Uzakta الذي تروي به انطباعاتها عن شمال قبرص عام 2011.

Twitter: @ketab_n

(12)
تَذكُر مدينة

أويا بايدار

كل مدينة لها لونها الفريد. رائحتها وصوتها وحزنها الخاص. وتبدو المواسم مختلفة في كل مدينة، في أوراق الخريف وزهور الربيع .. في الشمس والثلج والمطر .. في الفرح والحزن. وغالبا ما تتباين المدن في عاداتها، تختلف في اللحظات .. في الذكريات .. في النصر والهزيمة .. في كل سن وفي كل حب.

نيويورك لونها أزرق فاتح، وموسكو لونها أخضر كاكي، وأثينا لون الرمال، براغ أرجواني فاتح، ومدريد قرمزي، ومدينة بارما الإيطالية أصفر، امستردام فضي، أنقرة بيضاء كالثلج، باريس وردي، أوسلو رمادي وبرلين بني. أما إسطنبول، فإنه على امتداد الزمان منذ العصر البيزنطي، كانت إسطنبول دائما لونها كأشجار يهوذا بأزهارها البنفسجية الفاتحة.

Twitter: @ketab_n

بعض المدن رائحتها كرائحة عشب تم جزه حديثا، وبعضها كرائحة أعشاب بحرية، أو رائحة أسماك .. أوراق شجر متعفنة .. أشجار ياسمين .. زيزفون .. زنابق .. مياه بواليع .. سخام .. مطر .. ثلج .. دم .. قرنفل .. أزهار يوسفي .. زيت محروق .. زيتون .. أعشاب جافة .. بخور .. عفن .. رنجة .. زهور المنثور الصفراء .. كل منها تفوح منه رائحة الذكريات.

عند غروب شمس إحدى الليالي، حينما كانت تتأمل مدينة إسطنبول، لاحظت أن المدن تحمل أيضا خناجر تخترق قلب الإنسان. كان بالسماء والبحر تموجات برتقالية وأرجوانية تترقرق عبر سطح البحر الأزرق. وقد أضيئت أنوار الأبراج والقباب والمآذن، وبدأت الأضواء تتلألأ في الشفق.

عندما نطقت بهذه الكلمات "هذه المدينة تؤلم نفسي. تخترق قلبي كخنجر مدبب" لم يكن ذلك بعد مقطع موسيقي خيالي أو بيت شعر بديع. كانت هناك، ببقعة على الجسر تتيح مشاهدة أجمل منظر لمضيق البوسفور، حيث على أحد الجوانب تقف سراي بوسنة وجالاتا وأوسكودر وبرج الفتاة العذراء، وعلى الجانب الأخر الساحل المتعرج المؤدي إلى البحر الأسود. ربما فرت هذه الكلمات من فمها كصرخة. في تلك اللحظة، اخترقت المدينة قلبها حقا مثل خنجر. وشعرت بألم مبرح.

Twitter: @ketab_n

لسنوات ظلت المدينة رمزًا للأمل في العودة، ملجأ للذكريات والشاردين، المحطة الأخيرة للقطارات المنتظرة عند محطات أجنبية والتي لا تصل أبدًا. إسطنبول بشوارعها الجانبية، ومنحدراتها المرصوفة بالحصى، وجسورها التي تضربها رياح لودوس، وأشجار يهوذا بأزهارها التي على وشك التفتح، وقطط شوارعها، وباحات مساجدها التي يعدو بها الحمام، بطيور النورس الجائعة، والأسواق الصاخبة، والبدر الذي يضيء وجوه الفاتنات، والصيادين تحت الجسور والقصور الخشبية التي تفوح من حدائقها المظللة رائحة أشجار الماغنوليا والورود بأوراقها الملائمة لصنع المربى، والمصانع النشطة، وأحياء الصفيح الموحلة، والشوارع الرئيسية الذاخرة بالثروات والسلع، والضواحي والميادين التي تحمل بقع دم القتلى.

"هذه المدينة تؤذي نفسي. كل المدن التي أحبها تؤذيني، ولكن هذه المدينة أكثرها إيذاء على الإطلاق".

أمام النافذة التي تطل على إسطنبول، جلست في مكانها المعتاد تشاهد المدينة. كانت المدينة هناك أمام عينيها مباشرة، في كل مكان حولها، في البحر وفي كل مكان، تكتسب لونا ورديا في الشفق بضوءها الداخلي، وتتألق ببريقها الخاص. ومع ارتداء درع الليل تخفي جراحها المتقيحة تحت رداءها الحريري من أشجار يهوذا، تخفي كل شيء.

كانت المدينة هناك، أمام عينيها مباشرة. تنزف.

Twitter: @ketab_n

في قلب المدينة مباشرة، أمام النافذة التي تطل على سراي بوسنة والميناء وجالاتا جلست في مواجهة إسطنبول.

وتذكرت إسطنبول.

كانت التلال على ضفتي البوسفور لا تزال مغطاة بالأشجار الخضراء المورقة، والجسور لم تبنى بعد. أشجار يهوذا تزهر مع نهاية ابريل. وكان عندئذٍ أوان البنفسج والفراولة البرية والصبار التي تختبيء في الظل. في حدائق البيوت الخشبية في طفولتها والتي كان لها رائحة كرات العث والطين وقشر التفاح، كان لا يزال هناك الخوخ الياباني والماغنوليا والزهور الوردية.

من شرفات الفيلات التي يملكها أصدقاء المدرسة الأغنياء، وفي أي مكان تقريبا في المدينة، يمكن للمرء أن يغوص في المياه للسباحة. كان الناس يهرعون لزيارة الجزر قبل أن تذبل زهورنبات السنط، ومع حلول سبتمبر كانوا يصطحبون الكشافات ويندفعون لصيد سمكة (البلوفيش) الكبيرة الشرهه في مضيق البوسفور.

عندما كانت الأسر تقود سياراتها في وقت متأخر من الليل عبر الشوارع الخلفية في بيوغلو، كانت الأمهات تقوم بتغطية عيون أطفالهن كي لا يروا صور النساء العارية في شارع أبانوز فتثير أول فضول جنسي لديهم.

Twitter: @ketab_n

وكان الهامبرغر قد ظهر لتوه في المدينة، ولم تكن الكوكا كولا قد كسبت معركتها بعد ضد الليمونادة. وكانت الأكواخ الفقيرة (الجيسيكوندو) تبنى بين ليلة وضحاها دون تصريح حول المصانع المنشأة حديثا.

كما تغيرت المدينة سرا من الداخل، غيرت سكانها في الوقت نفسه، لكننا فشلنا في ملاحظة هذا التغير مع التغيير الحادث في أنفسنا. كنا نعيش في المدينة بنفس الطريقة التي نعيش بها الحياة بمشاكسة وفظاظة وبتهور الشباب الحاد. لقد ضيعنا المدينة بالضبط كما ضيعنا حياتنا، بالطيش والتبذير واللامبالاة والاستغراق في طلب المتعة كأنها الغاية القصوى في الحياة.

وسط الريف المعبأ برائحة الزهور البرية الصفراء المشرقة المثيرة للحنين، وعبر الشواطئ المؤدية إلى البحار الزرقاء العميقة كنا نسرع ونغوص في الطرق الترابية الموحلة للمصانع ومناطق سكن العمال والأكواخ الفقيرة (الجيسيكوندو). وفي طريقنا إلى حانة رخيصة للقاء أصدقائنا، نجتاز مسرعين الأبواب المزينة بالأضواء للفنادق الفاخرة التي تنفتح على عوالم مختلفة، ونحلم باليوم الذي تنفتح فيه تلك الأبواب أمام العمال والقرويين.

غمرتنا رياح تلك الفترة، فكنا نغني الأغاني الشعبية التي نحفظها عن ظهر قلب والتي انتقلت من القرى ووصلت إلى المدينة كي تغنى على طاولات المثقفين. كنا نغني "العروس في حقول القمح" و"سنرحل من جبال طوروس مع أهل قرية أفشار" و"سنشحذ فؤوسنا".

Twitter: @ketab_n

كانت المدينة هناك أمام عينيها مباشرة. كانت تعرف إنها تنزف من الداخل .. تبكي على البراءة المفقودة .. تصارع الموت. ودون حتى أن تترك ملحوظة، انتحرت في صمت.

كان هناك منزل به بئر في لاليلي. وكان هناك حديقة حيدر. وأنت؛ الشاب المشرق الذي تنبعث منه دائما رائحة القرنفل والسجائر. ودفتر ملاحظات مكتوبة بخط اليد لأبيات من شعر ناظم حكمت المحظور.

كان لابد أن نجد ذلك المنزل أولا ونصل إلى البئر. ثم نمشي عبر أفنية تخزين الأخشاب في مدينة أكسراي التي تبيع الأدوية أيضا، ومن هناك نتوجه إلى شاطئ البحر في حي يني كابي .. وهناك نجلس على طاولة رديئة على الأحجار حيث تلمس الأمواج أقدامنا، ومن المؤكد أن نجد أشخاص من عامة الشعب يحتسون الخمر في كؤوس شاي زجاجية على شكل زهرة التوليب، وأغنية الأرابيسك "Veremli Kizin Sarkisi" دائرة في المسجل والتي تحكي حكاية الفتاة مصابة بالسل.

كنا نذهب حتى إلى ساحة بايزيد. نسأل من الذي قتل اليوم. ثم نطبع الإعلانات التي من شأنها أن تغير العالم على آلة النسخ في الغرف الخلفية للاتحاد. ربما يصاب أحدنا بطلق ناري أثناء سيرنا بالشارع، من يدري!

Twitter: @ketab_n

وربما نلتقي في اليوم التالي في جنازة، إن لم يكن في إضراب أو مظاهرة احتجاج ضخمة. أذهب إلى محطة الأتوبيس وانتظرك هناك. ونتفرق عبر الأناضول في الاتوبيسات ليلا تفوح منا رائحة العرق ورائحة أفواهنا الكريهة ونام. وفي كل مرة، في نهاية كل طريق، نعود بالتأكيد إلى مدينتنا.

تمتزج المدينة مع أرواح من يحيون بها، مع قصص الحب والحروب والصراعات. يحبونها كصديق قديم، مسحورين بطقسها وجمالها وثرائها، ولكنهم يتعاملون معها كزخرفة ديكور أو إطار جميل. أنها جزء طبيعي من كيانهم، امتداد لوجودهم. لكنهم لا يعرفون بعد أن للمدن حياة خاصة بها، وأنها لا تتحمل أن يتم هجرها، وأنها يمكنها أن تلتهم أبنائها، وأنها يمكنها أن تخون وتنتحر.

لم يعد المنزل الذي به بئر موجودا كما كان بالماضي، ولا (الجيسيكوندو) في الجانب الأوروبي من إسطنبول. ما تبقى من الغابات الكثيفة على تلال مضيق البوسفور هو بضع بقع خضراء هنا وهناك تظهر بعض المقاومة ، وواحدة أو اثنتين من أشجار يهوذا وأشجار ميموزا هزيلة وأشجار مغنوليا لم تعد تزدهر. وتاهت القباب والمآذن والقصور بين ناطحات السحاب العملاقة والفنادق والساحات العامة.

Twitter: @ketab_n

وفي عالم يعرض كل شيء به في السوق، تمتلئ مراكز التسوق بجميع أنواع المنتجات من جميع أنحاء العالم. شاشات تلفزيون تنتقل بشكل مكوكي بين الواقع والأكاذيب، بما يجعل المرء ينسى ما هو حقيقي وما هو كاذب. وتصطف بالشوارع على الجانبين متاجر ذات واجهات لافتة للنظر، ومقاهي ذات أسعار باهظة، ومطاعم فاخرة، وأحدث موديلات السيارات، وسيارات ليموزين مشبوهة، وسيارات جيب عملاقة غليظة فخمة يقودها جيش من نساء متطابقات في الشكل، شعرهن مصبوغ باللون الاشقر ووجوهن فاترة. كما بنيت أندية ليلية صاخبة وكثيرة الإضاءة على مواقع(الجيسيكوندو) القديمة، وملاهي وصالات الديسكو، بينما يحمل سادة المدينة الجدد مسدسات كاتمة للصوت وبطاقات هوية مزيفة إلى جانب بطاقات النوادي والبنوك ...

الضواحي الغاضبة المحيطة بالمدينة من الجهات الأربع والتي أصابها جرح عميق في قلبها على استعداد لإحداث شغب. بينما يحمي الأمن بوابات المجتمعات التي تفصل نفسها عن بقية المدينة عن طريق الحراس الشخصيين والجدران العالية وأعجب ما توصلت إليها التكنولوجيا من أنظمة إنذار.

يوما ما ستتجمد هذه المدينة مثل حجر وتنهار.

كل شيء يسير نحو الانهيار. نحن جميعا سننهار. ستبقى فقط الصورة الظلية الأسطورية للمدينة، البحر والتلال على مضيق البوسفور

Twitter: @ketab_n

وأنقاض الجدارن والفسيفساء والرخام والسيراميك المزخرف والرياح. وتماما مثلما هو الحال بعد كل غزو وكل استسلام وكل دمار، سوف تنهض من حطامها، وتولد من جديد من رمادها.

أما بالنسبة للحال الآن، فإنها هنا أمامي تنزف بصمت. ومع الصمت وصبر الحجر تنتظر تدميرها بحيث يمكنها أن تولد من جديد على أيدي أشخاص جدد.

كانت المدينة هناك بجمالها الذي طعن بصدره. جمال يجعل المرء لا حيلة له. لون أشجار يهوذا، المشاعل والاسطول البحري، الشمعدان الرائع ذو السبعة اذرع الذي يضيء عند حلول الليل. هذا ما كانت عليه. لو لم تكن جميلة جدا، لم تكن لتؤذينا كثيرا. لو بإمكانها فقط أن تؤمن بأنها يمكن أن تحوز ذلك الجمال ثانية. لو كان لديها القوة لغناء أغنية "انتظرينا يا إسطنبول"، لم تكن لتعاني مثل هذا الحزن.

لابد من وجود كلمة سر للتذكر. شفرة من شأنها أن تفتح أبواب المدينة. مفتاح يمكنها من العودة إلى المدينة.

نظرت إلى المدينة التي تحيط بها. هربت الكلمات السحرية من متاهة عقلها وارتحلت عبر شوارع المدينة والساحات والتلال والضواحي والسنين، ثم وصلت إلى شفتيها: "الأمل والبراءة".

Twitter: @ketab_n

كررت الكلمات أمام المدينة: الأمل والبراءة. لكن المدينة صماء وبكماء. كأنها غريبة عنها تماما. كان الرمز قد تغير. لكن لم يخبرها أحد.

المدينة آلمت نفسها .. اخترقت قلبها كخنجر مدبب.

قالت: "لم اعد احمل مفتاح لأبواب المدينة. يجب أن أرحل".

وأغلقت ستائر نافذتها بإحكام.

Twitter: @ketab_n

أويا بايدار

ولدت عام 1940. كان أول كتابين لها "الأطفال فقد نسيت الله" Allah Cocuklari Unuttu عام 1961، و"عصر الحرب عصر الأمل" Savaş Çağı Umut Çağı عام 1964. درست علم الاجتماع في جامعة إسطنبول وبعد التخرج عملت كمدرس مساعد في نفس القسم. اعتزلت الكتابة الأدبية في الستينات حتى تتفرغ للبحث في النظم الاجتماعية والسياسية وأصبح ناشطة في الحركة الاشتراكية، لذا تم اعتقالها وطردها من عملها. وبعد إطلاق سراحها، كتبت أعمدة لصحف يني أورتام وبوليتيكا حتى عام 1980. اضطرت إلى الفرار من تركيا بعد انقلاب عام 1980، وعاشت في المنفى بشكل رئيسي في فرانكفورت وأيضا بموسكو حتى عام 1992.

حصلت مجموعتها القصصية الأولى Elveda Alyosa التي نشرت عام 1991 على جائزة سيت فائق للقصة القصيرة. وتشمل الجوائز الأخرى التي حصلت عليها جائزة يونس نادي عام 1993 عن رواية "رسائل القطط" Kedi Mektuplari. وجائزة أورهان كمال للرواية عن Sicak Külleri Kaldi عام 2000. وجائزة جودت قدرت الأدبية عن رواية "بوابة شجرة يهوذا" Kapısı Erguvan عام 2004. ونشرت روايتها "الكلمة المفقودة" Kayip Soz عام 2008 في بريطانيا عن دار بيتر أوين عام 2011. وهي تعيش في إسطنبول بجزيرة مرمرة.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

فهرس القصص

1	حزنٌ مُختَصَر	إيريندِيز أتاسو	3
2	الفجر في تارلاباشي (العالم في المنفى)	سفينتش تشوكوم	11
3	إضحاك مارلين مونرو	سبنم اسيجوتزل	24
4	زرٌ تفعيل النسيان	نازلي إيراي	47
5	في كآبة ويستيريا	سوزان سامانسي	63
6	نهاية سولماز	نيلوفر آجيكالين	72
7	التعاطف والحب والبراءة .. إلى آخره	صبا ألتينساي	121
8	مدينة حدودية	جيهان اكتاس	140
9	المتطفل	سيزار اتش أيواظ	176
10	لماذا قتلت نفسي في إسطنبول	ماين سوجوت	194
11	قصيدة لبلدي إسطنبول	ستيلا إيسمان	201
12	تَذكُر مدينة	أويا بايدار	218

Twitter: @ketab_n

#كتب_مختلفة
#تركيا

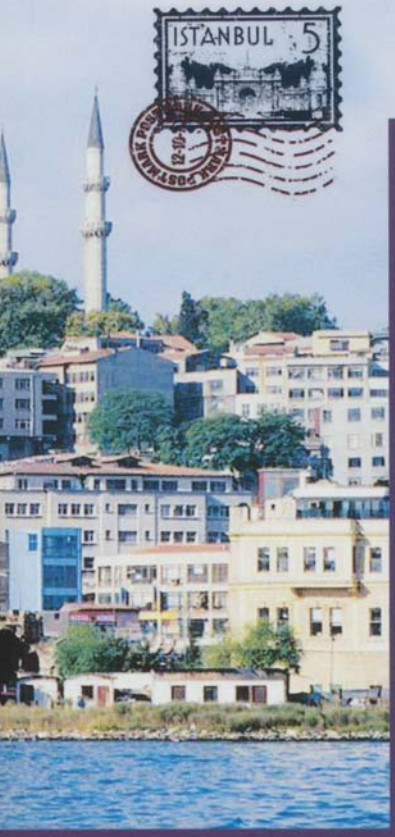

عندما أفكر في إسطنبول، ماذا أتذكر؟ الحمام الذي يطير بساحة بايزيد.

الطريق الأخضر الرائع في قصر دولما باشا. الجلوس بالمقاهي بالسلطان أحمد والاستماع إلى مؤذنو المساجد وهم يرفعون نداء الصلاة في تتابع. حديقة الشاي المفتوحة في ياكاسيك والمدارس الدينية القديمة بعمود قسطنطين. وأيضًا مجمع مسجد السليمانية. والعبارات التي تسبح عبر مضيق البوسفور ومحلات الكتب المستعملة التي تبهرني عندما أتجول بها وأغوص في بحر من الكتب ......

العربي للنشر والتوزيع
60 شارع القصر العيني 11451 - القاهرة
ت: 27954529 - 27921943 فاكس: 27947566
www.alarabipublishing.com.eg

ISBN 978-977-319-216-7
9 789773 192167 >

تصميم الغلاف: محمد سيد